

استدعاء ذاتي

مكتبة ٨٨١

بليك كراوتش

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

رواية

أدب أمريكا المعاصر

المكتبة

مكتبة | 881
سُرْمَن قَرَأ

استدعاء ذاتي

عنوان الكتاب: استدعاء ذاتي Recursion

المؤلف: بليك كراوتش Blake Crouch

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

مراجعة لغوية: محمد حمدي أبو السعود

مكتبة
t.me/t_pdf

المحرسة

للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - للمقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٠٧٤ / ٢٠٢٠

الترقيم الدولي: 978-977-313-822-6

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوظة لمركز المحرسة

2020

مكتبة | 881
سُرَّ مَنْ قَرَأَ

استدعاء ذاتي

بليك كراوتش

ترجمة
عبد الرحيم يوسف

رواية

16 7 2022

الطبعة الأولى 2020

مكتبة
t.me/t_pdf



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

كراوتش، بليك

استدعاء ذاتي: رواية / بليك كراوتش؛ ترجمة: عبد الرحيم يوسف. - ط 1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2020

476 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 6-822-313-977-978

1 - القصص الأمريكية

أ- يوسف، عبد الرحيم (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2020/20074

هذا عمل خيالي، الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث الواردة فيه إما نتاج لخيال المؤلف أو مستخدمة بطريقة خيالية، وأي تشابه مع أشخاص حقيقيين -أحياء أو أموات- أو أحداث أو أماكن حقيقية هو من قبيل الصدفة تمامًا.

إلى جاك

السفر الأول

ما الوقت إلا ذكرى في طور التشكل.

فلاديمير نابوكوف

مكتبة باري

t.me/t_pdf

2 نوفمبر 2018

يتوقف باري ساتون بسيارته في حارة سيارات الحريق عند المدخل الرئيسي لمبنى (بو)؛ وهو برج من طراز (الآرت ديكو) يتوهج بلون أبيض مع إضاءة كشافته الجدارية الخارجية. يخرج من سيارته الكراون فيك، ويهرول عبر الرصيف، ويندفع عبر الباب الدوار داخلا البهو.

الحارس الليلي واقف قرب صف المصاعد، يمسك بواحد منها مفتوحا بينما يسرع باري في اتجاهه، وحذاؤه يتردد صدى وقعته على الأرضية الرخامية.

يسأل باري بينما يخطو داخلا كابينة المصعد: "أي طابق؟"
"الحادي والأربعون. عندما تصعد إلى هناك، انعطف يمينا وسر
الطريقة كلها قاطعا الصالة."

"سيكون هناك المزيد من رجال الشرطة بعد لحظات. أخبرهم أنني قلت أن ينتظروا حتى أعطيهم إشارة."

يندفع المصعد إلى أعلى في سرعة، متناقضا مع عمر المبنى من حوله، وتتصلب أذنا باري بعد ثوان قليلة. وعندما تنفتح الأبواب أخيرا، يخرج مارا بلافتة لشركة قانونية. ثمة مصابيح مضاءة هنا وهناك، لكن الطابق يظل في أغلبه مظلمًا. يعدو فوق السجاد، مارًا بمكاتب صامتة، وحجرة اجتماعات، وحجرة استراحة، ومكتبة. ينفتح الرواق أخيرا على مساحة استقبال يقترن بها المكتب الأكبر.

في الضوء الخافت، تبدو التفاصيل كلها غارقة في ظلال رمادية. مكتب ضخم من الماهوجني مدفون تحت الملفات وأوراق العمل. منضدة دائرية مغطاة بدفاتر الملاحظات وأكواب القهوة الباردة مُرَّة الرائحة. بار به حوض ماء، وقد امتلأ البار بمخزون استثنائي من زجاجات ويسكي ماكالان رير. حوض سمك زجاجي متوهج يطن في الجانب البعيد من الحجرة ويضم سمكة قرش صغيرة وعدة أسماك استوائية.

وعندما يقترب باري من الأبواب الزجاجية الفرنسية، يُسكت هاتفه ويخلع حذاءه. يمسك المقبض ويفتح الباب بهدوء وينزلق خارجا إلى الشرفة.

ناطحات السحاب المحيطة في الجانب الغربي الشمالي لمانهاتن تبدو روحانية في أكفانها المضيئة من الضباب. ضوءاء المدينة عالية وقريبة - أبواق سيارات تتردد بين المباني وعربات إسعاف بعيدة تسرع نحو ثمة مأساة أخرى. برج مبنى (بو) في الأعلى بأقل من خمسين قدما - تاج من الزجاج والفولاذ والبناء القوطي.

تجلس المرأة على مبعدة خمسة عشر قدما إل جوار ميزاب ماء متآكل، ظهرها إلى باري، وساقاها تتدليان فوق الحافة.

يقترّب بوصات، والبلاطات المبتلة تسرب الماء عبر جوريه. لو أمكن أن يقترّب بما يكفي دون اكتشافه، سيجرها بعيدا عن الحافة قبل أن تعرف ما...

"أشم رائحة الكولونيا التي تضعها.." تقول دون أن تنظر خلفها. يتوقف.

تدير وجهها ناظرة إليه وتقول: "خطوة أخرى وأقفز."

من الصعب التحديد في الإضاءة المحيطة، لكن يبدو أنها في حوالي الأربعين. ترتدي سترة غامقة وتنورة بنفس اللون، ولا بد أنها كانت جالسة هنا في الخارج لفترة، لأن شعرها كان مبططا من بخار الماء في الضباب.

تسأل: "من تكون؟"

"باري ساتون. أنا محقق في شعبة السطو المركزية بشرطة نيويورك."

"أرسلوا شخصا من شعبة السطو...؟"

"تصادف أن كنت الأقرب. ما اسمك؟"

"آن قوس بيترز."

"هل يمكنني أن أدعوكي آن؟"

"بالتأكيد."

"هل يوجد أحد يمكنني أن أتصل به من أجلك؟"

تهز رأسها.

"سأخطو إلى هنا حتى لا تضطري إلى الاستمرار في لوي عنقك كي تنظري إليّ."

يتحرك باري مبتعدا عنها إلى زاوية تجعله أيضا عند حاجز الشرفة، على مبعده ثمانية أقدام من حيث تجلس. يلقي نظرة سريعة من فوق الحافة، تتقلص أحشاه.

تقول: "حسنا، دعنا نسمعها.."

"معذرة؟"

"ألست هنا كي تكلمني وتقنعني بالنزول؟ ابذل أقصى ما لديك."

كان قد قرر ما سيقوله وهو راكب في المصعد، مستذكرا تدريبه على حالات الانتحار. أما الآن، في هذه اللحظة مباشرة، فهو يشعر بأنه أقل ثقة. الشيء الوحيد الذي هو واثق منه أن قدميه تتجمدان. "أعرف أن كل شيء يبدو ميؤوسا منه بالنسبة لك في هذه اللحظة، لكن هذه مجرد لحظة، واللحظات تمر."

تحقق أن مباشرة إلى أسفل جانب المبنى، على ارتفاع أربع مائة قدم من الشارع، وكفاهها مبسوطتان على الحجر الذي يلي بفعل عقود من المطر الحمضي. كل ما عليها أن تفعله هو أن تدفع نفسها قليلا. وهو يشك أنها منقادة لمشاعرها، وتمشي على أطراف أصابعها نحو فكرة القيام بالفعل. مستجمعة تلك الطاقة النهائية اللازمة لهذا. يلاحظ أنها ترتعد.

يسأل: "هل يمكنني أن أعطيك سرتي؟"

"أنا واثقة للغاية أنك لا تريد الاقتراب بأي شكل أيها المحقق."

"ولم هذا؟"

"لديّ م ذ ز."

يقاوم باري الرغبة في الهروب. بالطبع سمع بـ (متلازمة الذاكرة الزائفة)، لكنه أبدا لم يعرف أو يقابل أحدا مصابا بها. ولم يتنفس

أبدا الهواء نفسه. وهو ليس واثقا الآن من أنه ينبغي أن يحاول الإمساك بها. لا يريد حتى أن يكون بهذا القرب. لا، اللعنة على هذا. إذا تحركت كي تقفز، سيحاول أن ينقذها، وإذا التقط متلازمة الذاكرة الزائفة أثناء العملية، فليكن. تلك هي المخاطرة التي تتخذها حين تصبح شرطيا.

يسأل: "منذ متى وهي لديك؟"

"ذات صباح، منذ شهر تقريبا، وبدلا من بيتي في ميدلبري، فيرمونت؛ كنت فجأة في شقة هنا في المدينة، بألم قاتل في رأسي ونزيف فظيع من أنفي. في البداية، لم تكن لدي فكرة عن أين كنت. ثم تذكرت... هذه الحياة أيضا. هنا والآن أنا عزباء، أعمل كمصرفية استثمار، وأعيش باسمي العائلي قبل الزواج. لكنني أملك..." - تلملم نفسها بوضوح كي تقاوم عواطفها - "ذكريات عن حياتي الأخرى في فيرمونت. كنت أمًا لولد في التاسعة من عمره اسمه سام. كنت أدير مشروعا لتنسيق حدائق البيوت مع زوجي: جو بيهрман. كنت أن بيهрман. كنا سعداء كما يحق لأي شخص أن يكون."

يسأل باري وهو يأخذ خطوة أقرب خفية: "وكيف يبدو الأمر؟"

"ما هذا الذي كيف يبدو؟"

"ذكرياتك الزائفة عن تلك الحياة في فيرمونت."

"أنا لا أذكر زفافي فقط. أذكر العراك حول تصميم الكعكة. أذكر أصغر تفاصيل بيتنا. ابننا. كل لحظة في ميلاده. ضحكه. الوحمة على خده الأيسر. يومه الأول في المدرسة وكيف كان يريد ألا أتركه. لكن عندما أحاول رسم صورة في خيالي لسام، يكون فيها باللونين الأبيض والأسود. لا لون في عينيه. أقول لنفسني إنهما كانتا زرقاوين. ولا أرى إلا اللون الأسود.

كل ذكرياتي من هذه الحياة في ظلال من اللون الرمادي، مثل اللقطات الثابتة في (الفيلم نوار)⁽¹⁾. تبدو حقيقية، لكنها ذكريات مسكونة بالأشباح. "وتنهار باكية: "يعتقد الجميع أن متلازمة الذاكرة الزائفة هي مجرد ذكريات زائفة عن اللحظات الكبيرة في حياتك، لكن ما يؤلم أكثر بكثير هو اللحظات الصغيرة. أنا لا أتذكر زوجي فقط، بل أتذكر رائحة أنفاسه في الصباح عندما كان يتقلب ويواجهني في الفراش. وكيف في كل مرة كان ينهض فيها قبلي كي يغسل أسنانه، كنت أعرف أنه سيعود إلى الفراش ويحاول ممارسة الجنس. تلك هي الأشياء التي تقتلني. أصغر التفاصيل الكاملة التي تجعلني أعلم أن هذا حدث."

يسألها باري: "وماذا عن هذه الحياة؟ ألا تساوي شيئاً بالنسبة لك؟" "ربما يصاب بعض الناس بمتلازمة الذاكرة الزائفة ويفضلون ذكرياتهم الحالية عن ذكرياتهم الزائفة، لكن لا يوجد أي شيء في هذه الحياة أريده. لقد حاولت، لمدة أربعة أسابيع طويلة. لا يمكنني التظاهر أكثر من ذلك." تحفر الدموع دروباً عبر كحل عينيها. "ابني لم يكن موجوداً أبداً. هل تفهم هذا؟ هو مجرد اختلال جميل في عقلي."

يجازف باري بخطوة أخرى نحوها، لكنها تلمحه هذه المرة.

"لا تقترب خطوة واحدة أكثر."

"أنت لست وحدك."

"أنا وحيدة إلى درجة لعينة."

(1) مصطلح سينمائي باللغة الفرنسية في الأصل يُستخدم للتعبير عن أفلام الجريمة والدراما البوليدية، خصوصاً تلك التي تركز بمحتواها على التصرفات المفعمة بالتهكم والتشاؤم والدوافع الجنسية. والتي اعتمدت على التصوير بالأبيض والأسود واللعب بالظلال والإضاءة.

"أنا لم أعرفك إلا منذ دقائق قليلة، وسأتحطم لو قمت بهذا. فكري في الناس الذين في حياتك والذين يحبونك. فكري كيف سيشعرون." تقول آن: "لقد تعقبت أثر جو.."

"من؟"

"زوجي. كان يعيش في بيت هناك في لونغ آيلاند. تصرف وكأنه لا يعرفني، لكنني أعرف أنه عرفني. كانت لديه حياة أخرى كاملة. كان متزوجا... لا أعرف ممن. ولا أعرف إن كان لديه أطفال. تصرف كما لو كنت مجنونة."

"أنا آسف يا آن."

"هذا يؤلم أكثر مما يُحتمل."

"انظري، لقد كنتُ حيث كنتِ. لقد أردتُ أن أنهى كل شيء. وأنا واقف هنا الآن حالا أقول لك إنني سعيد لأنني لم أفعل. أنا سعيد لأنه كانت لديّ القوة كي أنجو من ذلك. هذه اللحظة السيئة ليست كتاب حياتك. إنها مجرد فصل."

"ماذا حدث لك؟"

"فقدت ابنتي. لقد كسرت الحياة قلبي أيضا."

ترنو آن إلى الأفق المتوهج. "هل لديك صور لها؟ هل مازلت تتحدث مع الناس عنها؟"

مكتبة

"نعم."

t.me/t_pdf

"على الأقل كانت موجودة يوما ما."

ببساطة لا شيء يمكنه أن يقوله ردا على هذا.

تنظر آن إلى أسفل من بين ساقها مرة أخرى. وتركل فردة من حذاءها الخفيف.

وتراقبه وهو يسقط.

ثم ترسل الفردة الأخرى وراءها في سقوط عمودي.

"آن، من فضلك."

"في حياتي السابقة، حياتي الزائفة، قفزت زوجة جو، فراني، من هذا المبنى، من هذه الحافة في الحقيقة، منذ خمسة عشر عاما. كان لديها اكتاب سريري. أعرف أنه لام نفسه. قبل أن أترك بيته في لونج آيلاند، أخبرت جو أنني سأقفز من فوق مبنى (بو) الليلة، بالضبط مثل فراني. يبدو هذا سخيفا وبائسا، لكنني تمنيت أن يظهر هنا الليلة وينقذني. مثلما فشل في أن يفعل من أجلها. في البداية، ظننت أنك قد تكون هو، لكنه لا يضع كولونيا أبدا." تبتسم - بحزن - وتضيف: "أنا عطشانة."

يلقي باري نظرة عبر الأبواب الفرنسية الزجاجية والمكتب المظلم، ويرى شرطيّ دورية واقفين على أهبة الاستعداد قرب صالة الاستقبال. يعود بناظره إلى آن. "إذا لماذا لا تهبطين من هنالك، وسندخل معا ونأتي لك بكوب من الماء."

"هلا تأتي به إليّ هنا في الخارج؟"

"لا أستطيع أن أتركك."

ترتعش يداها الآن، ويلاحظ عزما مفاجئا في عينيها.

تنظر إلى باري وتقول: "هذا ليس خطأك. كان الأمر سينتهي دوّمًا بهذه الطريقة."

"آن، لا...."

"لقد اغمى ابني."

وبرشاقة عفوية، تنزلق ببساطة من فوق الحافة.

هيلينا

22 أكتوبر 2007

واقفة أسفل الدُش في السادسة صباحاً، محاولة أن تستيقظ بينما يغمر الماء الساخن جلدها، يحتاج هيلينا شعور حاد أنها عاشت هذه اللحظة نفسها من قبل. لا شيء جديد. فقد ابتليت بإحساس عيش نفس اللحظة من قبل منذ عشرينياتها. إضافة إلى ذلك، لا يوجد شيء مميز بطريقة خاصة في هذه اللحظة أسفل الدُش. وهي تتساءل إن كانت شركة (ماونتنسайд كاييتال) قد راجعت مقترحها بعد. لقد مر أسبوع. كان ينبغي أن يصلها شيء قبل الآن. كان ينبغي على الأقل أن يتصلوا بها داعين إياها إلى لقاء لو أنهم كانوا مهتمين.

تعد إناء قهوة وتصنع إفطارها المعتاد - فول أسود، ثلاث بيضات مقليات على الوجهين، ومرشوشة بكانتشاب خفيف. تجلس إلى طاولة

صغيرة قرب النافذة، تراقب السماء وهي تمتلئ بالضوء فوق حيفا على أطراف سان خوسيه.

لم تحظ بيوم تقوم فيه بالغسيل لأكثر من شهر، وكانت أرضية حجرة نومها مغطاة فعليا بالملابس القذرة. تنبش في الأكوام حتى تجد تيشيرتا وبنطلون جينز لا تخجل تماما من مغادرة البيت فيهما. يرن الهاتف بينما هي تدعك أسنانها بالفرشاة. تبصق وتمضمض وتلحق بالملكة في الرنة الرابعة بحجرة نومها.

"كيف حال فتاتي؟"

صوت أبيها يجعلها تبتسم دائما.

"أهلا بابا."

"ظننت أني لم ألحق بك. لم أرد أن أزعجك في المعمل."

"لا، لا بأس، ما الأمر؟"

"فقط أفكر فيك. هل هناك أي شيء عن مقترحك؟"

"لا شيء بعد."

"لدي بالفعل إحساس طيب أنه سيحدث."

"لا أعرف. هذه مدينة صعبة. كثير من المنافسة. كثير من الأشخاص الأذكياء فعلا يبحثون عن المال."

"لكنهم ليسوا في ذكاء فتاتي."

لا يمكنها تقبل المزيد من إيمان أبيها بها. ليس في صباح كهذا، بينما يلوح طيف الفشل عملاقا، وهي جالسة في حجرة نوم صغيرة قذرة ذات حوائط فارغة، في بيت عاطل من الزينة لم تأت إليه بشخص واحد طوال ما يزيد على العام.

تسأل كي تغير الموضوع: "كيف حال الطقس؟"

"تساقط الثلج ليلة أمس. أول ثلوج الموسم."

"كثير؟"

"بوصة أو اثنتان فقط. لكن الجبال بيضاء."

يمكنها تصورها - سلسلة جبال روكي الأمامية، جبال طفولتها.

"كيف حال ماما؟"

وهنا ثمة توقف لأقصر فترة ممكنة.

"أمك بخير."

"بابا."

"ماذا؟"

"كيف حال ماما؟"

تسمعه يتنهد ببطء. "مررنا بأيام أفضل."

"هل هي بخير؟"

"نعم. هي في الدور العلوي نائمة الآن."

"ماذا حدث؟"

"لا شيء."

"قل لي."

"ليلة أمس، لعبنا بأوراق اللعب لعبة (جين رومي) بعد العشاء، مثلما نفعل دائماً. وفقط هي... هي لم تعد تعرف إطلاقاً القواعد. جلست إلى طاولة المطبخ، تحرق في أوراقها، والدموع تسيل على وجهها. لقد لعبناها معاً طوال ثلاثين عاماً."

تسمع يده وهو يغطي بها السماعة.

هو يبكي، على مبعدة ألف ميل.

"بابا، أنا عائدة إلى البيت."

"لا يا هيلينا."

"أنت بحاجة لمساعدتي."

"لدينا عون جيد هنا. ونحن ذاهبان إلى الطبيب بعد ظهر اليوم. إذا كنت تريدين مساعدة أمك، احصلي على تمويلك واحصلي على مقعدك."

هي لا تريد أن تقول له، لكن المقعد مازال على مبعدة سنوات. على مبعدة سنوات ضوئية. إنه حلم، سراب.

تمتلئ عيناها بالدموع. "أنت تعرف أنني أفعل هذا من أجلها."

"أعرف يا حبيبة قلبي."

للحظة، كلاهما صامت، يحاول أن يبكي دون أن يعرف الآخر، ويفشلان على نحو بائس. هي لا تريد شيئاً أكثر من أن تقول له إن هذا سيحدث، لكن هذا سيكون كذبا.

تقول: "سأتصل عندما أعود الليلة.."

"طيب."

"من فضلك قل لأمي إنني أحبها."

"سأفعل. لكنها تعرف بالفعل."

بعد أربع ساعات، في عمق مبنى علم الأعصاب في مدينة (بالو ألتو)، هيلينا تفحص صورة من ذاكرة فأر لحظة شعوره بالخوف - خلايا عصبية مضاءة بالفلورسنت متصلة بشبكة عنكبوتية من نقاط الاشتباك العصبي - عندما يظهر الغريب في مدخل مكتبها. تتطلع من فوق شاشتها إلى رجل يرتدي بنطالا قطنيا من قماش تشينو وتبشirt أبيض، وله ابتسامة متعددة الظلال مشرقة أكثر من اللازم.

يسأل: "هيلينا سميث؟"

"نعم؟"

"أنا جي-وون تشيركوفر. هل لديك دقيقة لتحدث معا؟"

"هذا مختبر آمن. ليس من المفترض أن تكون هنا."

"أعتذر عن التطفل، لكنني أعتقد أنك ستودين الاستماع إلى ما يجب علي أن أقوله."

كان بمقدورها أن تطلب منه الرحيل، أو تستدعي الأمن. لكنه لا يبدو مصدر تهديد.

تقول: "حسنا.." وفجأة يسطع في ذهنها إدراك أن هذا الرجل يمثل شاهدا على الحجرة الحلم لكل مكتنز والمتمثلة في مكتبها - بلا نوافذ، ضيق، جدران من الطوب الخرساني المغطى بطبقة من الدهان، ويغدو كل شيء خانقا أكثر مع وجود صناديق المصرفيين المكدسة بارتفاع ثلاثة أقدام وفي صفين حول مكتبها؛ مليئة بآلاف الملخصات والمقالات. "آسفة على الفوضى. دعني آتي لك بمقعد."

"حصلت عليه."

يسحب جي-وون مقعدا مطويا ويجلس قبالتها، وعيناه تمران على الجدران، المغطاة تقريبا بصور عالية الدقة لذكريات الفأر والانبعاثات العصبية لمرضى الخرف والألزهايمر.

تسأله: "ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟"

"صاحب عملي مأخوذ جدا بمقال فن تصوير الذاكرة الذي نشرته في مجلة (نيورون)."

"هل لدى صاحب عملك اسم؟"

"حسنا، هذا يعتمد..."

"على...؟"

"الطريقة التي تسير بها هذه المحادثة."

"ولماذا حتى أجري محادثة مع شخص بينما لا أعرف من يتكلم بالنيابة عنهم؟"

"لأن أموال منحتك من جامعة ستانفورد ستنفذ في غضون ستة أسابيع."

ترفع حاجبا.

يقول: "رئيسي يدفع لي جيدا كي أعرف كل شيء عن الناس الذين يجدهم مهمين."

"أنت تعرف أن ما قلته للتو مزعج تماما، صحيح؟"

يمد جي-وون يده داخل حقيبته الجلدية، ويُخرج وثيقة في غلاف أزرق.

مقترحها.

تقول: "بالطبع! أنت مع ماونتنسайд كاييتال!"

"لا، وهم لن يقدموا لك تمويلا."

"إذاً كيف حصلت على هذا؟"

"لا يهم. لا أحد سيمولك."

"كيف تعرف؟"

"لأن هذا..." ويلقي مقترحها للمنحة على أطلال مكتبها. "مقترح خجول. إنه فقط مزيد مما كنت تفعلينه في ستانفورد طوال السنوات الثلاث الماضية. إنها ليست فكرة كبيرة بما يكفي. أنت في الثامنة والثلاثين، وهو ما يقارب سن التسعين في العالم الأكاديمي. ذات يوم في المستقبل غير البعيد ستستيقظين وتدرकिन أن أفضل أيامك وُلّت. أنك أضعيت..."

"أعتقد أنك ينبغي أن ترحل."

"لا أقصد إهانتك. إذا لم تمنعني في قولي، مشكلتك أنك خائفة من طلب ما تريدينه فعلا." يخطر لها أن هذا الغريب، لسبب ما، يستثير غضبها. وهي تعلم أنها لا ينبغي أن تستمر في التورط، لكنها لا تستطيع تفادي الأمر.

"ولماذا أنا خائفة من طلب ما أريده فعلا؟"

"لأن ما تريدينه بالفعل أكبر مما هو متاح. أنت لا تحتاجين رقما بست أصفار. تحتاجين رقما بثمانية أصفار. ربما تسعة. تحتاجين فريقا من المبرمجين لمساعدتك في تصميم خوارزمية من أجل فهرسة وعرض الذاكرة المعقدة. البنية التحتية للتجارب على البشر."

تحقق فيه من وراء المكتب. "لم أذكر قط التجارب على البشر في ذلك المقترح."

"ماذا لو أخبرتك أننا سنعطيك أي شيء تطلبينه؟ تمويل غير محدود. هل ستهتمين؟"

يدق قلبها أسرع وأسرع.

هل هكذا يحدث الأمر؟

تفكر في المقعد ذي الخمسين مليون دولار الذي كانت تحلم بصنعه منذ بدأت أمها تنسى الحياة. الغريب أنها لا تتخيله قط مكتمل الصنع، بل فقط كرسومات تقنية في طلب براءة الاختراع الذي سترسله ذات يوم، معنونا باسم: منصة ثلاثية الأبعاد لعرض الذكريات طويلة الأمد والواضحة والمسلسلة.

"هيلينا؟"

"لو قلت نعم، هل ستخبرني باسم رئيسك؟"

"نعم."

"نعم."

ويخبرها.

وبينما يسقط فكها حتى يضرب سطح المكتب، يسحب جي-وون وثيقة أخرى من حقيبته ويناولها لها من فوق صناديق المصرفيين.

تسأل: "ما هذا؟"

"عقد توظيف واتفاق سري. غير قابل للتفاوض. أعتقد أنك ستجدين البنود المالية سخية جداً."

مكتبة
t.me/t_pdf

باري

4 نوفمبر 2018

يحتل المقهى بقعة فاتنة على ضفاف نهر هرسون، في ظلال طريق ويست سايد السريع. يصل باري خمس دقائق مبكرا ليجد جوليا جالسة بالفعل إلى مائدة أسفل مظلة. يتشاركان عناقا قصيرا هشا، وكأنهما مصنوعان من الزجاج هما الاثنان.

يقول: "من الطيب أن أراك."

"أنا سعيدة لأنك رغبت في القدوم."

يجلسان. يجيئهما نادل ليتلقى طلبيهما من المشروبات.

يسألها باري: "كيف حال أنتوني؟"

"عظيم. مشغول بإعادة تصميم ردهة (مبنى لويس). هل عملك بخير؟"

لا يخبرها بأمر الانتحار الذي فشل في منعه ليلة أول أمس. وبدلاً من ذلك، يثرثران قليلاً حتى تصل القهوة.

إنه الأحد، والحشود الخارجة لتناول وجبة الإفطار المتأخر حاضرة بكامل قوتها. كل مائدة في الجوار تبدو مرجلاً يضج بأحاديث الصحة والضحك، لكنهما يرتشفان قهوتيهما بهدوء في الظل. لا شيء وكل شيء يقال.

ترف فراشة حول رأس باري حتى يهشها بعيداً عنه برفق. أحياناً، في وقت متأخر من الليل، يتخيل أحاديث مطولة مع جوليا. حوارات يقول فيها كل شيء كان يتقيح في قلبه طوال هذه السنوات - الأم، الغضب، الحب - وبعد ذلك ينصت إليها بينما تفعل المثل. تنقية أجواء إلى حد أنه يفهمها أخيراً وتفهمه.

لكن في اجتماعهما شخصياً، لا يبدو الأمر صحيحاً قط. لا يستطيع أن يجعل نفسه تبوح بما في قلبه، الذي يشعر دائماً أنه مقبوض ومحكم الغلق، محاط بما يشبه نسيج الندبة. لا يزعجه الارتباك كما كان من قبل. لقد عقد سلاماً مع فكرة أن جزءاً من الحياة يواجه نوبات فشلك، وأحياناً تكون هذه النوبات من الفشل هي الأشخاص الذين أحببتهم ذات يوم.

تقول جوليا: "أنساءل ماذا كانت لتفعل اليوم.."

"أمل لو كانت جالسة معنا الآن."

"أقصد بالنسبة للعمل."

"آه. محامية بالتأكيد."

تضحك جوليا - ضحكتها واحدة من أعظم الأصوات التي سمعها في حياته - وهو لا يتذكر آخر مرة سمعها فيها. جميلة لكنها أيضاً

ساحقة لمن يعاينها. كنافذة سرية تطل على داخل الشخص الذي كان يعرفه فيما مضى.

تقول جوليا: "كانت لتجادل حول أي شيء، وكانت تفوز عادةً."

"كنا خصمين سهلين."

"أحدنا هو من كان."

"أنا؟" يقولها بغضب مصطنع.

"قبل سن الخامسة، كانت قد اكتشفت أنك الطرف الضعيف."

"أتذكر المرة التي أقنعنا فيها بأن نتركها تتدرب على الرجوع بالسيارة إلى الخلف في الممر القصير من الشارع إلى البيت..."

"أقنعتك أنت."

".... وقادت سيارتي عبر باب الجراج؟"

تنخر جوليا مطلقة ضحكة مفاجئة. "كانت مضطربة جدا."

"لا، مخرجة." ولنصف ثانية، تستحضر عين عقله الذكرى. أو على الأقل جزءا منها. ميجان خلف عجلة قيادة سيارته الكامري القديمة، ونصفها الخلفي مخترق باب الجراج، ووجه ميجان أحمر والدموع تسيل متساقطة بينما تتشبث يداها في ذعر بعجلة القيادة. "كانت عنيدة وذكية وكانت لتصنع من حياتها شيئا مهما." ينهي قهوته ويصب فنجانا آخر من إبريق القهوة الفرنسية المعدني الذي يتشاركه.

تقول جوليا: "من اللطيف أن نتحدث عنها.."

"أنا سعيد لأنني استطعت أخيرا."

يجيء النادل لأخذ طلباتهما من الطعام، وتعود الفراشة، تحط على سطح المائدة إلى جوار منديل سفرة باري الذي مازال مطويا.

تفرد أجنحتها. تتمطى. يحاول أن يهش عن ذهنه فكرة أنها ميجان، الفكرة التي تطارده بشكل ما اليوم بالذات من بين كل الأيام. إنه تصور غبي، بالتأكيد، لكن الفكرة تلح عليه. مثل تلك المرة التي تبعه فيها عصفور أبي الحناء لثمانى مربعات سكنية في حيّ (نوهو). أو خلال تمشية قريبة مع كلبه في منتزه (فورت واشنطن)، عندما ظلت دعسوقة تحط على رسغه.

وعندما يصل الطعام، يتخيل باري ميجان جالسة على المائدة معهما. وقد لانت حواف المراهقة الخشنة. حياتها بأكملها أمامها. لا يمكنه أن يرى وجهها، مهما حاول جاهدا، فقط يديها، في حركة مستمرة بينما تتكلم، بنفس الطريقة التي تتحرك بها أمها عندما تكون واثقة من شيء ما ومتهلفة عليه.

هو ليس جائعا، لكنه يجبر نفسه على الأكل. يبدو وكأن هناك شيئا ما في بال جوليا، لكنها تكتفي بالتقاط بقايا طبقها من الفريّات⁽¹⁾، ويأخذ هو شربة من الماء وقضمة أخرى من شطيرته ويحرق في النهر البعيد.

ينبع نهر هدرسون من بحيرة صغيرة في جبال أديرونداك اسمها بحيرة تير أوف ذي كلاودس (دمعة الغيوم). ذهبوا إلى هناك ذات صيف عندما كانت ميجان في الثامنة أو التاسعة. عسكروا وسط أشجار الصنوبر. شاهدوا النجوم وهي تسقط. حاولوا أن يستوعبوا بعقولهم فكرة أن هذه البحيرة الجبلية الضئيلة هي منبع الهدسون. تلك ذكرى يعود إليها بشكل مهووس تقريبا.

(1) طبق إيطالي الأصل، سهل التحضير ويقدم عادة على الفطور، يتكون من بياض البيض وجبن الكريمة والطماطم المجففة وورق الريحان أو الحبق والخبز المحمص، ويشبه طبق العجة المصرية.

تقول جوليا: "تبدو مشغول البال."

"كنت أتذكر تلك الرحلة التي قمنا بها إلى بحيرة تير أوف ذي كلاودس. أتذكرين؟"

"بالطبع. استغرق الأمر منا ساعتين كي ننصب الخيمة وسط عاصفة مطيرة."

"ظننت أن الجو كان صحواً."

تهز رأسها. "لا، ارتعشنا في الخيمة طوال الليل ولم ينم أحد منا."
"أواثقة أنت من هذا؟"

"بلى. كانت تلك الرحلة أساس قراري بعدم الخروج إلى البرية مرة أخرى قط."

"صحيح."

"كيف لك أن تنسى هذا؟"

"لا أعرف." الحقيقة هي أنه يفعل هذا باستمرار. ينظر إلى الخلف دائماً، عائشاً في الذكريات أكثر مما يعيش في الحاضر، وكثيراً ما يبدل فيها كي يجعلها أجمل. كي يجعلها كاملة الأوصاف. الحنين إلى الماضي بالنسبة له مُسَكِّنٌ للألم بقدر ما يفعل الكحول. يقول أخيراً: "ربما بدت مراقبة النجوم الساقطة بصحبة فتاتي كذكرى أفضل."

تلقني بمنديل مائدتها على طبقها وتتكى بظهرها على مقعدها:
"مررت قرب بيتنا القديم مؤخراً. ياه! لقد تغير. هل فعلت هذا من قبل؟"

"من وقت لآخر."

في الحقيقة، هو ما زال يمر بسيارته إلى جوار بيتهم القديم في أي مرة يكون لديه عمل في جيرسي. فقداه هو وجوليا بسبب حجز

شركة الرهونات عليه بعد سنة من وفاة ميجان، واليوم يشبه بالكاد المكان الذي عاش فيه. الأشجار أطول وأكثر امتلاء وخضرة. وهناك ملحق أعلى الجراج، وعائلة شابة تعيش هناك الآن. أعيد تشكيل الواجهة كلها بالحجر، وأضيفت نوافذ جديدة. وجرت توسعة ممر دخول السيارات وإعادة تمهيده. أرجوحة الحبال التي كانت معلقة على شجرة البلوط أنزلت منذ سنين، لكن الحروف الأولى التي حفرها هو وميجان ذات مرة على قاعدة الجذع باقية. لمسها الصيف الماضي - بعد أن قرر بطريقة ما أن ركوب سيارة أجرة إلى جيرسي في الثانية صباحا بعد ليلة قضاها مع جوين وبقية أفراد قسم السطو المركزي كانت فكرة جيدة. كان شرطي من مدينة جيرسي قد وصل بعد أن اتصل المالكون الجدد برقم 911 للإبلاغ عن شخص متشرد في حديقتهم الأمامية. ورغم أنه كان يتعثر من الشُّكْر، إلا أنه لم يُقبض عليه. كان الشرطي يعرف بأمر باري، بما حدث له. اتصل بسيارة أجرة أخرى وساعد باري على الدخول إلى المقعد الخلفي. دفع أجرة العودة إلى مناهاتن مقدما وأرسله في طريقه.

يحمل النسيم القادم من الماء لسعة باردة، والشمس دافئة على كتفيه - تناقض ممتع. تسير المراكب السياحية جيئة وذهابا في النهر. ضوضاء المرور لا تتوقف على الطريق السريع في الأعلى. صفحة السماء مليئة بتقاطعات الخطوط البيضاء المتلاشية لألف طائرة نفاثة. إنه آخر الخريف في المدينة، واحد من آخر الأيام الطيبة في العام.

يفكر كيف سيحل الشتاء قريبا، وبعد ذلك سنة أخرى تمر سنة أخرى على كتلة التقطيع، ويتدفق الوقت أسرع وأسرع. لا تشبه الحياة ما توقع أن تكون عليه عندما كان صغيرا وعائشا في وهم أنه يمكن التحكم في الأمور. لا شيء يمكن التحكم فيه. فقط يمكن تحمُّله.

تأتي فاتورة الحساب وتحاول جوليا أن تدفع، لكنه يخطف الورقة ويلقي ببطاقته.

"شكرا يا باري."

"شكرا لك لدعوتك إليّ."

"دعنا لا نقضي عاما آخر دون أن يرى أحدا الآخر." ترفع كوبها المليء بالماء المثلج. "نخب عيد ميلاد ابنتنا."

"نخب عيد ميلاد ابنتنا." يمكنه أن يشعر بسحابة الأسى تتجمع في صدره، لكنه يشق أنفاسه عبرها، وعندما يتحدث مرة أخرى يكون صوته أقرب ما يكون إلى العادي. "ستة وعشرون عاما من العمر."

بعد الإفطار المتأخر، يسير إلى سنترال بارك. يبدو صمت شقته أشبه بخطر مهدد في يوم عيد ميلاد ميجان، الذي لم تمض آخر خمسة أعياد منه على نحو طيب.

دائما ما تقلب رؤية جوليا أحواله. لوقت طويل بعد أن انتهى زواجهما، كان يعتقد أنه يفتقد زوجته السابقة. كان يعتقد أنه لن ينساها. كان كثيرا ما يحلم بها ويصحو على ألم غيابها يأكله حيا. تجرحه الأحلام بعمق - نصفها ذكرى، ونصفها خيال - لأنها فيها كانت تبدو أشبه بجوليا الأيام الخوالي. الابتسامة. الضحك بلا تردد. خفة الوجود. كانت المرأة التي سرقت قلبه من جديد. وطوال الصباح التالي، كانت تسكن باله، وفداحة هذه الخسارة تحرق فيه من على، دون أن ترمش، حتى يرفع الدوار العاطفي الذي يخلفه الحلم قبضته أخيرا عنه كضباب ينجلي ببطء. حتى رأى جوليا مرة في أعقاب واحد من هذه الأحلام - صدفة غير متوقعة في حفل صديق قديم. لدهشته، لم يشعر بأي شيء بينما كانا يتحادثان بتكلف في

الشرفة. تداخل وجوده في حضرتها مع انسحاب الحلم؛ والحاصل أنه لم يعد يريد لها. كان كشفا محررا، حتى وهو يدمره. محرر لأنه كان يعني أنه لم يحب جوليا هذه - بل أحب جوليا التي كانت لها. ومدمر لأن المرأة التي سكنت أحلامه رحلت حقيقةً. ولم يعد من الممكن الوصول إليها مثلها مثل الموتى.

الأشجار في المنتزه ناحلة بعد صقيع قاس منذ عدة ليال، وأوراقها كلها محترقة بالصقيع وقد استحالَت إلى لمعة خريفية متأخرة.

يجد مكانا في غابة الأشجار المدعوة (رامبل)، يخلع حذاءه وجوربه، ويتكئ بظهره على شجرة مائلة تماما. يُخرج هاتفه ويحاول أن يقرأ السيرة الذاتية التي يكدح فيها لما يقرب من عام، لكن التركيز مراوغ. يطارده شبح آن قوس بيترز. الطريقة التي سقطت بها دون صوت، جسدها المتصلب والمنتصب. استغرق الأمر خمس ثوان، ولم يشح ببصره عندما اصطدمت بالسيارة ماركة لنكولن تاون، المصفوفة على الرصيف في الأسفل.

يمر الوقت به بين استعادة حديثهما تارة، وصراعه مع الخوف تارة أخرى. يقيس ضغط ذكرياته. يختبر دقتها. متسائلا:

كيف لي أن أعرف إن كانت واحدة منها قد تغيرت؟ ماذا ستبدو عليه؟ تتساقط أوراق الشجر الحمراء والبرتقالية عبر ضوء الشمس، متكدسة من حوله في الظل المرقط. من مكانه المميز بين الأشجار، يراقب الناس السائرين في الممرات، المتسكعين قرب البحيرة. أغلبهم مع آخرين، لكن بعضهم وحيدون مثله.

يرن هاتفه بصوت رسالة نصية من صديقه جويندولين آرثر، قائدة فريق هركيوليز، وهو وحدة تدخل سريع لمكافحة الإرهاب ضمن وحدة خدمات الطوارئ بشرطة نيويورك.

أفكر فيك اليوم. هل أنت بخير؟

يكتب ردا عليها:

نعم. رأيت جوليا للتو.

وكيف كان هذا؟

جيد. صعب. ماذا تفعلين؟

أنهيت جولة بالدراجة للتو. وأشرب في بار إيزاك.

أتريد بعض الصحبة؟

يا إلهي نعم. في طريقي.

إنها مسيرة تستغرق أربعين دقيقة إلى البار القريب من شقة جوين في حي هيلز كيتشين، بارٌّ فضيلته الوحيدة الواضحة هي عمره الطويل البالغ خمسة وأربعين عاما. سقاة سيئو المزاج يقدمون مشروبات مملّة مصنوعة في المكان ويصبونها من صنبور، ولا كأس ويسكي واحد من زجاجة لا تستطيع شراءها في أي متجر بأقل من ثلاثين دولارا. الحماّمات مقرفة ومازالت تحتوي ماكينات توزيع واقيات ذكرية مخزنة. جهاز تشغيل الموسيقى يضم أغاني روك السبعينيات والثمانينيات فقط، وإذا لم يغذ أحد الصندوق بالمال، فلا موسيقى هناك. تجلس جوين في الطرف البعيد من البار، مرتدية شورت راكبي الدراجات وتيشيرت بروكلين ماراثون باهت، ممسكة بهاتفها ضاغطة خانة الرفض في تطبيق مواعدة بينما يقترب منها باري.

يقول: "ظننت أنك أقلعت عن هذا."

"لفترة، أقلعت عن جنسكم بأكمله، لكن معالجي يسوط مؤخرتي طوال الوقت كي أجرب مرة أخرى."

تنزلق هابطة من فوق مقعد البار وتعانقه، ورائحة العرق الخفيفة من أثر جولتها بالدراجة تمتزج مع آثار الاستحمام ومزيل العرق؛ لينتج عن كل ذلك شيء أشبه بالكراميل المملح.

يقول: "شكرا على سؤالك عني."

"لا ينبغي أن تكون وحيدا اليوم."

هي أصغر منه بخمسة عشر عاما، في منتصف ثلاثينياتها، وبطول ستة أقدام وأربع بوصات؛ هي أطول امرأة يعرفها شخصا. وبشعرها الأشقر القصير وملامحها الإسكندنافية؛ هي ليست جميلة بالضبط، لكنها ذات جلال ملكي. كثيرا ما تبدو صارمة دون جهد. أخبرها مرة أن لها وجها ملكيا مريحا.

تقابلا وتوثقت علاقتهما خلال سطو على بنك تحول إلى موقف احتجاج رهائن منذ بضعة أعوام. في ليلة الكرسماس التالية، تورطا في واحدة من أكثر اللحظات إحراجا في حياة باري. كانت واحدة من حفلات أجازات شرطة نيويورك الكثيرة، وخرجت الليلة عن سيطرتهم معا. أفاق في شقتها في الساعة الثالثة صباحا والحجرة مازالت تدور به. كان خطأه أن حاول الانسلال خارجا بينما لم يكن مستعدا بعد للعودة إلى وعيه. تقيأ على الأرضية بجوار سريرها، وأثناء محاولته تنظيفها استيقظت جوين وصرخت فيه: "سأنظف قرفك في الصباح، فقط اذهب!" لا يتذكر شيئا عن الجنس، إن كانا قد قاما به أو حاولا، ولا يمكنه إلا أن يأمل أنها تقاسمه نفس الفجوة الرحيمة في ذاكرتها.

بغض النظر عن ذلك، تجاهل كلاهما الأمر من وقتها.

يأتي الساقى ليأخذ طلب باري ويناول جوين كأسا آخر من بوربون (وايلد تري). يشربان ويتحدثان في أشياء تافهة لفترة، وعندما يلاحظ باري أخيرا أن العالم بدأ في التراخي، تقول جوين: "سمعت أنك شهدت حالة انتحار نتيجة متلازمة الذاكرة الزائفة ليلة الجمعة."

"نعم."

ويخبرها بالتفاصيل كاملة.

تقول: "كن صادقا معي، إلى أي حد أنت مفزوع؟"

"حسنا، جعلت نفسي خبير إنترنت في متلازمة الذاكرة الزائفة بالأمس."

"ثم؟"

"منذ ثمانية شهور، حددت (مراكز السيطرة على المرض) أربعاً وستين حالة بأعراض متشابهة في الشمال الشرقي. في كل حالة، يتقدم مريض بشكاوى من ذكريات زائفة حادة. ليست مجرد ذكري واحدة أو اثنتين. تاريخ بديل متخيل بالكامل يغطي مساحات من حياتهم حتى تلك اللحظة. عادة ما يعود بهم إلى شهور أو أعوام. وفي بعض الحالات، عقود."

"إذاً هل يفقدون ذكرياتهم عن حياتهم الحقيقية؟"

"لا، تغدو لديهم فجأة مجموعتان من الذكريات. مجموعة حقيقية، ومجموعة زائفة. في بعض الحالات، أحس المرضى وكأن ذكرياتهم ووعيهم قد انتقلوا من حياة إلى أخرى. وفي حالات أخرى، عانى المرضى من 'اقتحام' مفاجئ لذكريات خاطئة من حياة لم يعيشوها قط."

"وما السبب في هذا؟"

"لا أحد يعرف. لم يتعرفوا على شذوذ فسيولوجي أو عصبي واحد لدى هؤلاء الذين تأثروا. الأعراض الوحيدة هي الذكريات الزائفة نفسها. آه، وحوالي عشرة في المائة من الأشخاص الذين أصيبوا بهذا يقتلون أنفسهم."

"يا إلهي!"

"يمكن أن يكون الرقم أعلى. أعلى بمسافة. ذلك حاصل الحالات المعروفة."

"حالات الانتحار مرتفعة في أحياء نيويورك الخمسة هذا العام."

يشير باري إلى الساقى طالبا دورا آخر من المشروبات.

تسأل جوين: "هل هو مُعَدِّ؟"

"لم أستطع العثور على إجابة قاطعة. لم تجد (مراكز السيطرة على المرض) أي عامل مسبب للمرض، لذا لا يبدو أنه يُنقل عن طريق الدم أو الهواء. لكن.. هناك مقالة في مجلة نيو إنجلاند للطب تكهنت بأنه ينتشر بالفعل من خلال الشبكة الاجتماعية لحامله."

"مثل الفيسبوك؟ كيف يمكن لهذا حتى..."

"لا، أقصد عندما يصاب شخص بمتلازمة الذاكرة الزائفة، يصبح بعض من الأشخاص الذين يعرفهم مصابين. سيشاركهم آباؤهم نفس الذكريات الزائفة، لكن بدرجة أقل. أشقاؤهم وشقيقاتهم وأصدقاؤهم المقربون. كانت هناك تلك الحالة لشخص استيقظ ذات يوم بذكريات لحياة مختلفة كلية. أنه متزوج من امرأة مختلفة. يعيش في بيت مختلف، مع أطفال مختلفين، ويعمل بوظيفة مختلفة. أعادوا تكوين قائمة ضيوف زفافه من ذاكرته - الزفاف الذي تذكره، لكنه لم يحدث قط. حددوا أماكن ثلاثة عشر شخصا من قائمته، وجميعهم أيضا كانت لديهم ذكريات عن هذا الزفاف الذي لم يحدث قط. هل سمعت أبدا بشيء يُدعى (تأثير ماندبلا)؟"

"لا أعرف. ربما."

يأتي الدور التالي من المشروبات. يشرب باري كأسه من ويسكي (أولد جراند داد) ويلحقه بزجاجة بيرة (كورز) بينما يخبو الضوء القادم عبر النوافذ الأمامية مع تقدم المساء.

يقول: "من الواضح أن آلاف الناس يتذكرون موت نيلسون مانديلا في السجن خلال الثمانينيات، برغم أنه عاش حتى عام 2013".

"لقد سمعت بهذا. إنه يشبه تماما موضوع (بيرنستاين بيرز)."

"لا أعرف ما هذا."

"أنت عجوز جدا."

"اللعة عليك."

"كانت هناك كتب الأطفال تلك عندما كنت طفلة، وكثير من الناس يذكرون أن اسمها كان يُدعى (بيرنستاين بيرز)، S-T-E-I-N، بينما كان هجاء حروفها الحقيقي بيرنستاين. S-T-A-I-N."

"غريب."

"مخيف في الحقيقة، لأنني أنا أيضا أذكرها بيرنستاين." تجرع جوين كأسها من الويسكي دفعة واحدة.

"أيضا هناك حالات شعور بعيش نفس اللحظة من قبل في ازدياد، ولا أحد واثق إن كانت متعلقة بمتلازمة الذكريات الزائفة."

"وماذا يعني هذا؟"

"ينتاب الناس إحساس، يصل أحيانا إلى درجة منهكة - أنهم يعيشون سلسلة كاملة من حياتهم مرة أخرى."

"أشعر بهذا أحيانا."

"وأنا أيضا."

تقول جوين: "ألم تقل امرأتك التي قفزت أن امرأة زوجها الأولى قد ألقت بنفسها أيضا من فوق مبنى بو؟"

"نعم، لماذا؟"

"لا أعرف. فقط يبدو... بعيد الاحتمال."

ينظر باري إليها. البار يزداد امتلاءً وصخباً.

يسألها: "إلى ماذا تُلْمَحِين؟"

"ربما لم تكن لديها متلازمة الذاكرة الزائفة. ربما كانت هذه العاهرة مجرد مجنونة. ربما لا يجب أن تقلق إلى هذا الحد."



بعد ثلاث ساعات، أهدرها في بار مختلف - مكسو بالخشب وأشبه بحلم ساخن لعشاق البيرة، وقد برزت رؤوس جواميس وغزلان محنطة معلقة على الحوائط ومليون صنوبر تغطي الرفوف الخلفية. تحاول جوين أن تصطحبه إلى العشاء، لكن المضيئة تراه يتمايل واقفاً أمام منصتها وترفض أن تقدم لهما مائدة. وعندما يعودان إلى الخارج، تبدو المدينة وقد حلت قلوغها، وباري يضع كل تركيزه على جعل المباني من حوله لا تدور حول نفسها بينما تمسك جوين بذراعه الأيمن، وتقوده في الشارع.

فجأة يدرك أنهما واقفان عند ناصية شارع لا يعلمه إلا الله، متحدثين إلى شرطي. تظهر جوين لشرطي الدورية نجمتها وتوضح له أنها تحاول أن توصل باري إلى بيته لكنها تخشى من أن يتقيأ في عربة الأجرة.

بعد ذلك يسيران مرة أخرى، متعثرين، وألق ساعات الليل المستقبلية الطابع لميدان تايمز سكوير يدور في دوامات مثل كرنفال سيء. يلمح الوقت: 11:22 مساءً، ويتعجب أي ثقب أسود سقطت فيه الساعات الست الأخيرة.

يقول موجهًا كلامه إلى لا أحد: "لا أريد العودة إلى البيت."

بعد ذلك يجد نفسه محدقا في ساعة رقمية تخبره أنها 4:15. يحس وكأن شخصا ما نخر جمجمته بينما كان نائما، وأن لسانه جاف كقطعة من الجلد. هذه ليست شقته. إنه راقد على الأريكة في حجرة معيشة جوين.

يحاول العودة ولصق أجزاء المساء معا لكن القطع مبعثرة. يتذكر جوليا والمنتزه. الساعة الأولى من البار الأول مع جوين. لكن كل شيء بعد هذا مضرب ومشوب بالندم.

يدق قلبه بعنف في أذنيه. وعقله يعدو كأنه في سباق.

إنها ساعة الوحدة في الليل، الساعة التي يألّفها أكثر من اللازم - عندما تنام المدينة لكنك لا تنام، وكل حشرات حياتك تثور في رأسك بكثافة غير محتملة.

يفكر في أبيه الذي مات عندما كان صغيرا، والسؤال الأبدي: هل كان يعرف أنني أحبه؟
وميجان. دائما ميجان.

عندما كانت ابنته مازالت فتاة صغيرة، كانت مقتنعة أن وحشا يعيش في صندوق السحّارة أسفل سريرها. لم يكن يمر ببالها قط طوال النهار، لكن في اللحظة التي تهبط فيها الشمس ويضعها في فراشها لتنام الليل، كان من المحتم أن تناديه. وكان يسرع إلى حجرتها ويركع إلى جوار سريرها ويذكرها أن كل شيء يبدو أكثر رعبا في الليل. إنه مجرد وهم. خدعة يلعبها الظلام علينا.

كم يبدو غريبا إذًا، بعد عقود ولّت وبعد أن ابتعدت حياته كل هذا البعد عن المسار الذي اختطه، أن يجد نفسه وحيدا على أريكة في شقة صديقة، محاولا أن يهدئ مخاوفه بنفس المنطق الذي كان يستخدمه مع طفلته منذ كل هذه الأعوام.

كل شيء سيبدو أفضل في الصباح.
سيكون هناك أمل مرة أخرى عندما يعود النور.
اليأس مجرد وهم، خدعة يلعبها الظلام.
ويغلق عينيه ويريح نفسه بذكرى رحلة التخييم إلى بحيرة (دمعة
الغيوم). إلى تلك اللحظة المثالية.
فيها، كانت النجوم تلمع.
كان ليبقى هناك إلى الأبد إن استطاع.

هيلينا

1 نوفمبر 2007

اليوم الأول

تنقبض بطنها وهي تراقب الخط الساحلي لشمال كاليفورنيا يتضاءل مبتعدا. هي تجلس خلف الطيار، تحت هدير المراوح، تشاهد مجرى المحيط تحتها، أسفل مزالق الهليكوبتر بخمسائة قدم. ليس يوما طيبا في البحر. تتدلى السحب منخفضة؛ والماء رمادي مرقط بالزبد. وكلما ابتعدوا أكثر عن البر، كلما أصبح العالم أكثر عتمة.

من خلال الزجاج الأمامي المليء بخطوط المطر، ترى شيئا يتجسد في البُعد - بناء يبرز من الماء، وهو مازال على مبعدة ميل أو اثنين.

تقول في ميكروفونها: "هل هذا هو؟"

تميل إلى الأمام رغم حزام الكتف، وتراقب بفضول شديد بينما تبدأ الهليكوبتر اقترابها، مبطنة الآن، هابطة نحو هيكل ضخ من الحديد والفولاذ والخرسانة يقف على ثلاث أرجل في المحيط مثل حامل عملاق ثلاثي القوائم. يدفع الطيار العصا ويميلوا يسارا في دورة بطيئة حول البناء، الذي تقوم منصته الرئيسية فوق البحر بحوالي عشرين طابقا. وما زالت بضع رافعات متدلية من الجوانب - آثار قديمة من أيام التنقيب عن النفط والغاز. لكن فيما عدا ذلك، تجردت التجهيزات من ملامحها الصناعية وتحولت. على المنصة الرئيسية، ترى ملعب كرة سلة كاملا. حمام سباحة. مشتا زجاجيا. وما يبدو مضمارا للعدو حول السياج المحيط بكل هذا.

يهبطون على مهبط طائرات. يبدأ محرك عمود الدوران التوربيني في الهدوء تدريجيا، وعبر نافذتها، تراقب هيلينا رجلا في سترة قصيرة صفراء يهرول نحو الهليكوبتر. وعندما يفتح باب الكابينة، تتحسس أصابعها متلعثمة آلية القفل ثلاثي النقاط في أحزمة أمانها حتى تنفك أخيرا.

يساعدها الرجل على الخروج من الهليكوبتر، والنزول إلى الزلاجة، وبعد ذلك إلى سطح المهبط. تتبعه نحو مجموعة سلام تنزل من مهبط الطائرات إلى المنصة الأساسية. تهب الريح عبر غطاء رأس سترتها الخفيفة وفانلتها، وعندما تصل إلى السلام يخفت صوت الهليكوبتر، مخلفا الصمت الفاجر فاه للمحيط المفتوح.

يهبطان من الدرجة الأخيرة على سطح خرساني مترامي الأطراف، وهناك يلوح هو؛ متحركا نحوهما عبر المنصة.

يدق قلبها بعنف.

لحيته شعثناء، وشعره الأسود ثائر وتراقص به الريح. يرتدي بنطالا من الجينز الأزرق وقميصا ثقيلًا حائل اللون، وهو ماركوس سليد بلا شك - المخترع، محب الخير، قطب المال والأعمال، مؤسس شركات تكنولوجيا رائدة أكثر مما يمكنها أن تتذكر، تتماس مع قطاعات متعددة مثل الحوسبة السحابية⁽¹⁾ والنقل والمواصلات والفضاء والذكاء الاصطناعي. هو واحد من أغنى وأكثر مواطني العالم نفوذا. ترك دراسته قبل إتمام الشهادة الثانوية. وفي الرابعة والثلاثين من عمره فقط.

يتسم ويقول: "هذا هو ما نفعله!"

تهدي حماسه أعصابها، وعندما يصلان أمام أحدهما الآخر، لا تكون واثقة مما يجب عليها أن تفعله. مصافحة؟ عناق مهذب؟ يقوم سليد بالاختيار عنها مع حزن دافئ.

"مرحبا في فوكس ستیشن."

"فوكس؟"

"كما في جاي فوكس - أتذكرين؟ أتذكرين الخامس من نوفمبر⁽²⁾؟"

"آه، صحيح. بسبب الذاكرة؟"

(1) الحوسبة السحابية هي مصطلح يشير إلى المصادر والأنظمة الحاسوبية المتوافرة تحت الطلب عبر الشبكة والتي تستطيع توفير عدد من الخدمات الحاسوبية المتكاملة دون التقيد بالموارد المحلية بهدف التيسير على المستخدم.

(2) الإشارة هنا إلى احتفال ليلة الخامس من نوفمبر في بريطانيا على وجه الخصوص في ليلة تسمى ليلة الألعاب النارية أو ليلة جاي فوكس، يرجع تاريخها إلى ليلة الخامس من نوفمبر عام 1605 عندما ألقي القبض على جاي فوكس أحد أعضاء ما يُسمى بمؤامرة البارود التي كان مقصودا بها تفجير مبنى البرلمان البريطاني. وعندئذ احتفل الناس بإطلاق الألعاب النارية ابتهاجا بنجاة جيمس الأول ملك إنجلترا من محاولة اغتياله.

"بسبب أن خلخلة الوضع الراهن هي متعة لي. لا بد أنك تشعرين بالبرد، دعينا ندخل." يتحركان الآن، متوجهين نحو بناء علوي من خمسة طوابق على الجانب الآخر من المنصة.

تقول هيلينا: "ليس ما كنت أتوقعه تماما."

"اشتريتها منذ بضعة أعوام من شركة إكسون موبيل عندما جف حقل النفط. في البداية كنت سأجعل منها بيتا لي."

"تقصد حصنا للعزلة؟"

"تماما. لكن عندئذ أدركت أن بمقدوري العيش هنا واستخدامها أيضا كمنشأة بحثية نموذجية."

"ولماذا نموذجية؟"

"للمليون سبب، لكن أهمها هي الخصوصية والأمن. لي أيادٍ في عدد من المجالات المليئة بتجسس الشركات، والأمر يتعلق بيئة قابلة للسيطرة قدر الإمكان، أليس كذلك؟"

يمران بحمام السباحة، المغطى خلال هذا الفصل من العام، وقماش المشمع يخفق بقوة في ريح نوفمبر.

تقول: "أولاً، أشكرك. ثانياً، لماذا أنا؟"

"لأن بداخل رأسك تكنولوجيا يمكنها تغيير البشرية."

"وكيف هذا؟"

يسألها: "ماذا هنالك أغلى من ذكرياتنا؟ إنها تحدتنا وتشكل هوياتنا."

"أيضا، ستكون هناك سوق بقيمة خمسة عشر مليار دولار لأدوية الألزهايمر في العقد التالي."

يبتسم ماركوس فقط.

تقول: "فقط كما تعرف، هدي الأساسي هو مساعدة الناس. أريد أن أجد طريقة لإنقاذ الذكريات من أجل العقول المتهورة التي لم تعد قادرة على استعادتها. كبسولة زمنية للذكريات الجوهرية."

"أفهم هذا. أمكنك أن تفكري في أي سبب يحول دون أن يجعل هذا مشروعاً خيراً وتجارياً في نفس الوقت؟"

يعبران المدخل إلى مشتل كبير، الجدران داخله مغطاة بالبخار وتقطر بما تكثف منه.

"إلى أي حد نحن بعيدون عن البر؟" تسأله وهي تنظر عبر المنصة في الخارج إلى البحر، حيث تتماوج غيمة كثيفة في اتجاههم.

"مائة وثلاثة وسبعون ميلاً. كيف ستتلقى عائلتك وأصدقائك خبر أنك ستختفين من على وجه الأرض كي تقومي ببعض الأبحاث فائقة السرية؟"

هي ليست واثقة من الطريقة التي ترد بها على هذا. لقد انحلت حياتها مؤخراً تحت أضواء المعامل الفلورسنتية وتمحورت حول التعامل مع البيانات الخام. ولم تتمكن قط من تحقيق سرعة الإفلات⁽¹⁾ من جاذبية عملها التي لا تقاوم - من أجل أمها، لكن من أجلها أيضاً للأمانة. العمل هو الشيء الوحيد الذي يجعلها تشعر أنها حية، ولقد تساءلت، في أكثر من مناسبة، إن كان هذا يعني أنها مكسورة.

(1) في الفيزياء، سرعة الإفلات تُعرف على أنها السرعة التي تكون عندها طاقة الحركة لجسم ما مساوية لطاقته الوضعية، أي أن مجموعهما يساوي صفرًا، وهذا يعني أن الجسم حقق سرعة الهروب ليس على السطح ولا في مدار مغلق.

تقول: "أعمل كثيرا، لذا ليس لديّ إلا ستة أشخاص فقط كي أخبرهم. بكي أبي، لكنه يبكي دائما. لم يندهش أحد حقيقةً. يا إلهي، هذا يبدو مثيرا للشفقة، أليس كذلك؟"

ينظر سليد إليها ويقول: "أعتقد أن التوازن هو من أجل الأشخاص الذين لا يعرفون لماذا هم موجودون."

تفكر في هذا. في المدرسة الثانوية، وفي الكلية، كان يجري تشجيعها مرارا وتكرارا كي تعثر على شغفها - سبب يجعلها تنهض من الفراش وتتنفس. من خلال خبراتها، قلة من الأشخاص هم من عثروا على سبب الوجود ذاك.

ما لم يخبره بها قط المعلمون والأساتذة هو الجانب المظلم من العثور على هدفك. الجزء الذي يستهلكك. الذي يصبح مدمرا للعلاقات والسعادة. ومع ذلك، هي لن تقبل له بديلا. تلك هي الإنسانية الوحيدة التي تعرف كيف تكونها.

يقتربان من مدخل البناء العلوي.

يقول سليد: "انتظري لحظة.. انظري." ويشير نحو حائط الضباب وهو يتقدم ببطء عبر المنصة. يصبح الهواء باردا وصامتا. لا يمكن لهيلينا حتى أن ترى مهبط الطائرات. إنهما محبوسان في قلب غيمة.

ينظر سليد إليها. "هل تريدين أن تغيري العالم معي؟"

"لهذا أنا هنا."

"حسنٌ. دعينا نذهب كي نرى ما شيدت من أجلك."

باري

5 نوفمبر 2018

إدارة شرطة مدينة نيويورك

الدائرة الرابعة والعشرون، 151 دابلو شارع 100.

نيويورك، إن واي 10025

*تليفون

*رئيس الشرطة

(212) 555-1811

جون ر. بول

[س] تقرير شرطة تمهيدي

[] تقرير إضافي

موقع

يوم

توقيت

تاريخ

مسلسل

2000 ويست 102ND

الجمعة

2130

03/11/07

01457C

الطابق 41

استدعاء ذاتي | 49

رواية الشرطة

بينما كنت أنا، بو ريفيلي، أقوم بدوريتي، استجبت للإشارة 10-56A عند مبنى بو في شرفة مكاتب هلتكويست إل أي سي. وجدت امرأة تقف على الحافة. عرفت نفسي كضابط شرطة ورجوتها أن تنزل. رفضت أن تذعن وحذرتني ألا أقرب منها وإلا قفزت. سألتها عن اسمها وأخبرتني أنها تُدعى فراني بيهرمان [أنثى بيضاء، تاريخ الميلاد: 63/06/12، العنوان: 509E شارع 110]. لم يبدو أنها تحت تأثير أي مخدرات أو كحوليات. سألتها إن كان هناك أي شخص يمكنني أن أتصل به من أجلها. قالت "لا". سألتها لماذا تريد أن تنهي حياتها. قالت إنه لا شيء يجلب لها السعادة، وأن زوجها وأسرته سيكونون أفضل حالا دونها. أكدت لها أن هذا غير صحيح.

عند هذه النقطة، توقفت عن الرد على أسئلتني وبدأ أنها تستجمع شجاعته كي تقفز. كنت على وشك محاولة إزاحتها بدنيا عن الحافة عندما تلقيت اتصالا لاسلكيا من بو ديكارلو، يبلغني أن زوج السيدة بيهرمان [جو بيهرمان، ذكر أبيض، تاريخ الميلاد 61/12/3، العنوان: 509E شارع 110] كان قادمًا في المصعد ليرى زوجته. أبلغت السيدة بيهرمان بهذا.

وصل السيد بيهرمان إلى السطح. اقترب من زوجته وأقنعها بالهبوط إلى أرض الشرفة.

رافقت السيد والسيدة بيهرمان وهبطنا إلى الشارع، ونقلتها عربة الإسعاف إلى مستشفى أخوات الرحمة للفحص والتقييم.

الضابط المسؤول

تقرير بو ريفيلي

دائخا بقوة من أثر الشراب وجالسا على مكتبه وسط مقصورات العمل، يقرأ باري تقرير الحادث لمرة ثالثة. يجعل التقرير عقله يشبث في كل الاتجاهات الخاطئة، لأنه النقيض التام لما قالت آن فوس بيزتز أنه قد حدث بين زوجها وزوجته الأولى. فقد اعتقدت أن فراني قفزت.

يضع التقرير جانبا، ويوقظ شاشته، ويدخل إلى قاعدة بيانات إدارة المركبات بولاية نيويورك، ورأسه تنبض خلف عينيه.

يُظهر بحثه عن جو وفراني بيهрман آخر عنوان معروف لهما في 6 باينوود لين في مونتوك.

ينبغي أن يترك هذا ليسقط على جانب الطريق. أن ينسى أمر متلازمة الذاكرة الزائفة وأن فوس بيزتز ويتعامل مع أبراج العمل الورقي القائمة ويفتح ملفات القضايا المتكدسة على مكتبه. لا توجد جريمة هنا تسوغ وقته. فقط... تضاربات.

لكن الحقيقة هي - أنه الآن شاعر بفضول مجنون.

لقد كان محققا طوال ثلاثة وعشرين عاما لأنه يحب حل الألغاز، وهذا اللغز، هذه المجموعة المتناقضة من الأحداث، تهمس له - اختلال يشعر بلزوم تقويمه.

كان بمقدوره أن يستصدر أمرا كتابيا كي يقود سيارته الكراون فيك إلى آخر لونج آيلاند من أجل شيء لم تُنفذ عقوبته على نحو حاسم، عمل شرطي قضائي، ورأسه تؤلمه أكثر من أن يقود كل هذه المسافة على أي حال.

هكذا يدخل على موقع (إدارة نقل ميريلاند) ويدرس الجداول.

هناك قطار يغادر محطة بن إلى مونتوك خلال أقل من ساعة.

هيلينا

18 يناير 2008 – 29 أكتوبر 2008

اليوم 79

الحياة على منصة نفط سليلد أشبه بأن تتلقى أجرا كي تقيم في منتجع خمس نجوم يصدف أيضا أن يكون مكان عملك. تستيقظ كل صباح في المستوى الأعلى من البناء العلوي، حيث تقع كل مساكن فريق العمل. سكنها عبارة عن شقة فسيحة واقعة عند زاوية بها نوافذ من الأرض إلى السقف مصنوعة من زجاج صاى للمطر. زجاج يحيل قطرات الماء إلى ذرات صغيرة بحيث أنه حتى في أسوأ الأجواء تظل رؤيتها للبحر السرمدي غير معاقة. مرة كل أسبوع، ينظف مدبرو المنازل شقتها ويأخذون غسيلها. يعد طاهٍ حاصل على نجمة

ميشلان⁽¹⁾ أغلب الوجبات، مستخدما في الغالب سمكا طازجا جرى صيده للتو، وفاكهة وخضراوات محصودة من المشتل.

يصر ماركوس على أن تمارس التدريبات الرياضية خمسة أيام في الأسبوع كي تبقي روحها المعنوية عالية وذهنها حادا. توجد صالة ألعاب رياضية في المستوى الأول، تستخدمها عندما يكون الطقس سيئا، وفي الأيام الهادئة النادرة في الشتاء، تذهب للركض على المضمار المحيط بالمنصة. وهي تحب هذه العدوات أكثر؛ لأنها تشعر كما لو أنها تقوم بالدوران عند قمة العالم.

مساحة معمل أبحاثها 10.000 متر مربع - الطابق الثالث بأكمله من بناء فوكس ستيشن العلوي - وقد حققت إنجازا في الأسابيع العشرة الماضية أكثر مما حققته خلال خمس سنوات بأكملها من انقطاعها للعمل في ستانفورد. أي شيء تحتاجه، تحصل عليه. ليس هناك من فواتير تدفعها، ولا علاقات تحافظ عليها. لا شيء لتفعله غير أن تتابع بحثها مركزة ذهنها عليه وحده.

حتى الآن، كانت تتعامل مع الذكريات لدى الفئران، مشتغلة على مجموعات خلايا محددة تمت هندستها وراثيا لتكون حساسة للضوء. وبمجرد أن تُصنّف مجموعة خلايا وترتبط بذكرى مخزنة (مثلا: صدمة كهربية) تقوم هيلينا بإعادة تنشيط ذكرى خوف الفأر عن طريق استهداف تلك المجموعات من الخلايا الحساسة للضوء بشعاع ليزر خاص معالج بالبصريات الوراثية يجري إدخاله عن طريق أسلاك رفيعة عبر جمجمة الفأر.

عملها على منصة النفط لعبة مختلفة تماما.

(1) ميشلان نظام تقييم للمطاعم تقدمه شركة ميشلان الفرنسية للإطارات في دليل يحصل اسمها لأكثر من قرن.

هيلينا تقود المجموعة التي تتعامل مع المشكلة الأساسية، التي يصدف أيضا أن تكون مجال تخصصها - اختيار وتصنيف مجموعات الخلايا العصبية المتصلة بذكرى معينة، وبعد ذلك إعادة بناء نموذج رقمي للمخ يسمح لها بتتبع الذكريات ورسم خريطة لها.

مبدئيا، لا يختلف هذا عما كانت تفعله بعقول الفئران، لكن نظم الحجم أكثر تعقيدا.

أما التكنولوجيا التي تتعامل معها الفرق الثلاث الأخرى فهي صعبة، لكنها ليست رائدة - تكنولوجيا متطورة، نعم، لكن مع طاقم العاملين المناسبين ودفتر شيكات ماركوس الكبير، سيكونون قادرين على خلقها دون عقبات خطيرة.

لديها عشرون شخصا يعملون تحت قيادتها عبر أربع مجموعات. تترأس هي (فريق رسم الخرائط). أما (فريق التصوير) فقد كُلف بالعثور على طريقة لتصوير الإطلاقات العصبية لا تتضمن دفع شعاع ليزر عبر جمجمة شخص إلى داخل مخه. وقد استقروا على صنع جهاز يستخدم شكلا متقدما من تخطيط الدماغ المغناطيسي، (ميج) اختصارا. نظام سكويد (جهاز تدخل كمي فائق التوصيل) سيكشف مجالات مغناطيسية متناهية الصغر تنتجها خلايا عصبية مفردة تنطلق في المخ البشري، وصولا إلى مستوى تحديد موضع كل خلية عصبية. ويسمونه ميكروسكوب (ميج).

(فريق إعادة التنشيط) يصنع جهازا هو بالأساس شبكة عريضة من المحفزات الكهرومغناطيسية التي تشكل قشرة حول الرأس من أجل دقة تحديد ثلاثية الأبعاد ودقة استهداف لمئات الملايين من الخلايا العصبية المطلوبة لإعادة تنشيط ذكرى واحدة.

وأخيرا، (فريق البنية التحتية) يصنع الكرسي اللازم للتجارب على البشر.

لقد كان يوما طيبا. بل ربما كان يوما عظيما. قابلت سليد وجي-وون ومديري المشروع لمراجعة التقدم، والكل متقدم عن الموعد المحدد. الساعة الرابعة عصرا في يوم من الأيام الأخيرة في يناير، يوم من أيام الشتاء العابرة تلك التي تشهد دفئا وسماء زرقاء صافية. الشمس تغوص في المحيط، محولة السحب والبحر إلى ظلال من الرمادي والوردي لم ترها هيلينا من قبل قط، وهي جالسة على حافة المنصة، ميممة وجهها شطر الغرب، وساقاها تتأرجحان فوق المياه. أسفلها بمائتي قدم، تنتفخ الأمواج وتصطدم بالسيقان الهائلة لهذا الحصن في البحر.

لا يمكنها أن تصدق أنها هنا.

لا يمكنها أن تصدق أن هذه حياتها.

اليوم 225

اكتمل ميكروسكوب (ميغ) تقريبا، وتقدم العمل في جهاز إعادة التنشيط بقدر المستطاع بينما ينتظر الجميع رسم الخرائط كي يحيطوا بمشكلة التصنيف.

هيلينا محبطة من التأخير. على العشاء مع سليد في جناحه الفخم، تصارحه أن الفريق متعثّر لأن ما يعوقهم مشكلة غاشمة القوة. فيما أنهم ينتقلون صاعدين من عقول الفئران إلى عقول البشر، فإن القدرة الحاسوبية التي يعملون بها غير كافية لرسم خريطة شيء معقد بشكل غير عادي مثل بنية الذاكرة البشرية. وإذا لم تستطع أن تكتشف طريقا مختصرا، لن تكون لديهم ببساطة دوائر وحدة المعالجة المركزية للتعامل مع الأمر.

"هل سمعت من قبل ب (دي - ويث)؟" يسألها سليد بينما تأخذ هيلينا رشفة من بورجونيا أبيض؛ أفضل نبيذ تذوقته على الإطلاق.

"آسفة، لم أسمع بها من قبل."

"إنها شركة تأسست في كولومبيا البريطانية. منذ سنة، أطلقوا معالج نموذج كميّ. تطبيقه محدد للغاية، لكنه مثالي لنوعية مشكلة رسم خريطة مجموعة البيانات الهائلة التي نواجهها."

"وكم ثمنه؟"

"ليس رخيصاً، لكنني كنت مهتما بالتكنولوجيا، لذلك طلبت بضعا من نماذجهم المتقدمة في الصيف الماضي من أجل مشاريع مستقبلية."

يبتسم، وشيء ما في الطريقة التي يتفحصها بها من وراء المائدة يتركها بإحساس مخيف أنه يعرف عنها أكثر مما ينبغي أن تتراح إليه. ماضيها. نفسياتها. ما يحفزها في الأساس. لكنها بالكاد تستطيع أن تلومه إن كان في الواقع قد أزال بعضاً من الطبقات. فهو يستثمر أعواماً وملايين في عقلها.

عبر النافذة خلف سليلد، ترى بقعة ضوء وحيدة، على مبعدة أميال وأميال في البحر، وتفاجأ، ليس للمرة الأولى، بكم هم وحيدون تماماً هنا.

اليوم 270

أيام منتصف الصيف طويلة ومشمسة، وقد توقف التقدم بينما ينتظرون وصول معالجيّ التلدين الكميّ. تفتقد هيلينا والديها بشدة، وقد أصبحت مكالماتهم التي تحدث مرة واحدة في الأسبوع أهم وقت في وجودها هنا. يمتلك البُعد تأثيراً غريباً على علاقتها بأبيها. تشعر أنها أقرب إليه مما كانت خلال أعوام، منذ ما قبل المدرسة الثانوية. أصغر تفاصيل حياتهم في كولورادو تحمل أهمية مفاجئة. تتشرب التفاصيل التافهة، وكلما زادت مللاً كلما كان أفضل.

تمشيتهما في سفوح الجبال خلال عطلة نهاية الأسبوع. التقارير عن كمية الثلج الذي مازال باقيا في أعالي الريف. حفلة موسيقية شهدها في مدرج (ريد روكس). نتائج لقاءات طبيب الأمراض العصبية لأمها في دينفر. الأفلام التي شاهدها. الكتب التي قرأها. ثروة الجيران في الحي.

تأتي أغلب التحديثات من والدها.

أحيانا تكون أمها صافية الذهن، تكون ذاتها القديمة، وتتحدثان كما كانتا دائما.

الأغلب هو أن دوروثي تجاهد كي تُجري محادثة.

تشعر هيلينا بحنين غير عقلائي لكل ما هو من كولورادو. للمنظر الممتد من فوق سطح بيت والديها عبر السهل نحو فلات آيرونز، بداية جبال روكي. للون الأخضر، حيث النباتات الوحيدة التي يمكن رؤيتها على المنصة هي الحديقة الصغيرة في المشتل. لكن أكثر ما تحن إليه هو أمها. إنها تتوق لأن تكون معها خلال ما ينبغي أن يكون أكثر وقت مرعب في حياتها.

أصعب جزء هو عدم استطاعتها مشاركة أي تفصيلة من تقدمها الهائل في العمل، والخاضع جميعه لاتفاق حديدي غير معلن. وهي تتشكك في أن سليد يتنصت عليها في كل محادثة. بالطبع، عندما سأله أنكر ذلك، لكنها مازالت تتشكك.

بسبب مخاوف متعلقة بالسرية، غير مسموح بالزوار في المنصة، ولا يُمنح لأي فرد من فريق العمل أي إذن بالمغادرة إلى البرّ قبل أن ينتهي عقده، باستثناء الطوارئ العائلية أو الطبية.

وقد أصبحت أمسيات الأربعاء ليالي محددة للحفلات في محاولة لتطوير مستوى ما من الصداقة الحميمة في مكان العمل. وهي بمثابة

تحدٍ لهيلينا، الانطوائية المتشددة التي عاشت إلى وقت قريب حياة العالم المنعزل. يلعبون كرة الطلاء والكرة الطائرة وكرة السلة على المنصة. حفلات شواء في الهواء الطلق إلى جوار حمام السباحة وبراميل مزودة بصنابير ومليئة ببيرة مشحونة من البرّ. يشغلون الموسيقى بصوت عال ويسكرون. بل وأحيانا يرقصون. الملاعب ومنطقة الشواء كلها محاطة بألواح زجاج عالية لمنع وابل الريح المستمر تقريبا. لكن حتى مع هذه الحواجز، غالبا ما يكون عليهم أن يصيحوا كي يسمعو بعضهم البعض.

في حالة الطقس السيء، يتجمعون في الجناح الجماعي خارج الكافيتريا ليلعبوا ألعاب الطاولة، أو لعبة الاستغماية في البناء العلوي. باعتبارها رئيسة لكل من على المنصة تقريبا باستثناء سليد، تشعر هيلينا بالتردد من الاقتراب من الأشخاص في فريقها. لكنها في صحراء من الماء لأبعد ما يمكن لأي شخص أن يراه، جانحة فوق المحيط بعشرين تابقا. وتجنب الصداقة والحميمية يبدو وكأنه سيقودها إلى طريق العزلة الذهانية.

حدث خلال لعبة استغماية، في خزانة بياضات بالدور العلوي، أن ضاجعت سيرجي - مهندس الكهرباء العبقري والرجل الجميل الذي يسحقها دائما في لعبة كرة المضرب. كانا واقفين متقاربين أكثر من اللازم في الظلام بينما يعدو الباحثون بجوار مكان اختباءهما، وفجأة وجدت نفسها تُقبله وتجذبه نحوها وهو يشد سروالها القصير إلى أسفل ويثبتها في مواجهة الحادث.

أحضر ماركوس سيرجي من موسكو. قد يكون أنقى عالم في المجموعة، وهو بالقطع الأكثر منافسة.

لكنه ليس الفتى الذي تشعر نحوه بالإعجاب على سطح المنصة. لعله راجيش، مهندس البرمجيات الذي تعاقد معه سليد مؤخرا قبل

وصول أجهزة دي- ويفث. ثمة دفء وأمانة في عينيه يجذبان هيلينا إليه. وهو عذب الحديث وفائق الذكاء. وخلال الإفطار بالأمس، اقترح أن يبدأوا تكوين نادٍ للكتب.

اليوم 302

يصل المعالجان الكميان على سفينة حاويات ضخمة. الأمر أقرب لصبيحة الكريسماس، الكل واقفون على السطح، يراقبون بافتتان مروع بينما ترفع رافعة المنصة ما قيمته 30 مليون دولار من القدرة الحوسبية صاعدة به مائتي قدم إلى المنصة الأساسية.

اليوم 312

يعود العمل على رسم الخرائط، المعالجان الجديدان قائمان ويعملان، والشفرة التي تجري كتابتها هي التي سترسم خريطة ذكرى ما وتُحمّل إحداثياتها العصبية داخل جهاز إعادة التنشيط. لقد ولّى الإحساس بالتعطّل. ثمة قوة دفع من جديد، ومزاج هيلينا يتحول من الوحدة إلى الانتعاش، لكن أيضا مع إحساس بالتعجب من معرفة سليد بالغيب. ليس فقط على المستوى الكلي في التنبؤ باتساع رؤيتها، لكن الأكثر إدهاشا على مستوى التفاصيل - حقيقة أنه عرف الأداة النموذجية للتعامل مع الكمية الهائلة من البيانات المرتبطة برسم خريطة للذاكرة البشرية. وعرف أن معالجا واحدا لن يكفي. فاشترى اثنين.

في عشائها الأسبوعي مع سليد، تخبره أنه إذا استمر التقدم بهذه الوتيرة، سيكونون مستعدين لتجربتهم الأولى على البشر خلال شهر.

يشرق وجهه. "بجد؟"

"بجد. وأنا فقط أعلمك الآن أني سوف أكون أول من يجربها."

"آسف. هذا طريق خطر للغاية."

"كيف يكون هذا قرارك؟"

"بألف طريقة. علاوة على ذلك، بدونك سنضيع."

"ماركوس، أنا مصرة."

"انظري، يمكننا مناقشة هذا لاحقًا، لكن الآن دعينا نحتفل."

يتجه إلى ثلاجة نبيذه ويخرج زجاجة شيفال بلانك 47. يستغرق الأمر منه لحظة كي يزيل السدادة الرقيقة، وبعد ذلك يفرغ الزجاجة داخل دورق من الكريستال.

يقول: "لم يبق كثير من هذا في العالم."

في اللحظة التي ترفع فيها هيلينا الكأس إلى أنفها وتتشقق الرائحة الحلوة الحريفة للعنب العتيق، يتغير مفهومها عما يمكن أن يكون عليه النبيذ على نحو لا رجعة فيه.

"نخبك، ونخب هذه اللحظة.." يقول سليد وهو يلمس بكأسه كأسها في رقة.

مذاقه أشبه بما كان يطمح إليه كل ما شربته في حياتها من نبيذ، وفي رأسها يعاد ضبط مقاييس ما هو جيد وعظيم ومتجاوز للحد. إنه شيء من العالم الآخر.

دافئ وغني وفاخر ونضر على نحو مذهل.

مزيج مطبوخ على مهل من الفاكهة الحمراء والزهور والشيكولاتة

و...

"كنت أنوي أن أسألك عن شيء ما.." يقول سليد، مقاطعا أفكارها الخيالية.

تنظر إليه من وراء المائدة.

"لماذا الذاكرة؟ من الواضح أنك كنت مستغرقة في هذا قبل أن تمرض أمك."

تدير النبيذ في كأسها، وترى انعكاسهما جالسين إلى المائدة في صفى النوافذ التي تطل على ظلام المحيط.

"لأن الذاكرة... هي كل شيء. لو تحدثنا بمنطق الفيزياء، ليست الذاكرة إلا تجمعا محددًا من الخلايا العصبية تنطلق معا - سيمفونية من النشاط العصبي. لكن في الحقيقة، هي المصفاة بيننا وبين الواقع. أنت تعتقد أنك تتذوق هذا النبيذ، وتسمع الكلمات التي أقولها، في الحاضر، لكن لا يوجد شيء كهذا. فالنبضات العصبية من براعمك التذوقية وأذنيك يجري بثها إلى مخك، الذي يقوم بمعالجتها وتحويلها إلى ذاكرة عاملة - لذلك قبل أن تعرف أنك تمر بخبرة ما، تكون بالفعل في الماضي. ذكرى بالفعل." تميل هيلينا إلى الأمام، وتطرقع بأصابعها. "فقط ما يفعله مخك ليترجم مثيرا بسيطا كهذا أمر مدهش. تصل المعلومات البصرية والسمعية إلى عينيك وأذنيك بسرعات مختلفة، وبعد ذلك يعالجها مخك بسرعات مختلفة. ينتظر مخك حتى تتم معالجة أبطأ جزء من المثير، ثم يعيد ترتيب المدخلات العصبية على نحو صحيح، ويجعلك تعاينها معا، كحدث متزامن - بعد حوالي نصف ثانية مما حدث بالفعل. نظن أننا ندرك العالم مباشرةً وعلى الفور، لكن كل شيء يمر به هو إعادة بناء منقحة بحرص ومتأخرة قليلا كتأخر شريط الصوت."

تركه جالسا يفكر في هذا للحظة بينما تأخذ رشفة رائعة أخرى من النبيذ.

يسألها سليد: "ماذا عن الذكريات الواضحة؟ الذكريات فائقة الحيوية المشربة بالأهمية والعاطفة الشخصية البالغة؟"

"صحيح. يتعلق هذا بوهم آخر. مفارقة الحاضر الزائف. ما نظن أنه 'الحاضر' ليس في الحقيقة لحظة. إنه امتداد من الوقت الحالي - امتداد اعتباطي. آخر ثانيتين أو ثلاث ثوان، عادةً. لكن أفرغ حمولة من الأدرينالين داخل نظامك، واجعل اللوزة الدماغية تتسارع، وستخلق تلك الذكرى فائقة الحيوية، حيث يبدو وكأن الزمن يتباطأ، أو يتوقف كليةً. إذا غيرت الطريقة التي يعالج بها مخك حدثًا ما، فأنت تغير المدة الزمنية لـ 'الآن'. تغير بالفعل النقطة التي يصبح فيها الحاضر ماضيًا. إنها مع ذلك طريقة أخرى لقول إن مفهوم الحاضر مجرد وهم، مصنوع من ذكريات وتشيده عقولنا."

تعود هيلينا بظهرها إلى الوراء، مرتبكة من حماسها، شاعرة فجأة أن النبىذ يصعد إلى رأسها. تقول: "لهذا كانت دراسة الذاكرة، لهذا كانت دراسة علم الأعصاب." وتدق بإصبعها على صدغها. "إذا كنت تريد أن تفهم العالم، عليك أن تبدأ بفهم - الفهم الصحيح - كيف يمر به ونعائنه."

يومئ سليد برأسه ويقول: "من الواضح أن العقل لا يعرف الأشياء على الفور، لكن فقط عن طريق تدخل الأفكار التي يملكها عنها." تضحك هيلينا مندهشة. "إذا فقد قرأت جون لوك."

"ماذا؟" يتساءل سليد. "فقط لأنني رجل تكنولوجيا نظنين أي لم أمسك كتابًا في حياقي قط؟ ما تتحدثين عنه هو استخدام علم الأعصاب لاختراق حجاب الإدراك - لكي نرى الواقع كما هو حقيقةً." "وهو، بالقطع، مستحيل. لا يهم مقدار ما نفهمه عن كيفية عمل مداركنا، في النهاية لن نهرب أبدا من محداداتنا." فقط يبتسم سليد.

تُظهر هيلينا شارتها وهي تعبر مدخل الطابق الثالث وتتوجه رأساً عبر ممر ساطع الإضاءة نحو قسم الاختبار الرئيسي. هي متوترة مثلما كانت منذ يومها الأول هنا، ومعدتها مضطربة بشدة حتى أنها لم تتناول إلا القهوة ويضع قطع من الأناناس على الإفطار.

في الليلة الماضية، نقل فريق البنية التحتية الكرسي الذي كانوا يصنعونه من ورشتهم إلى قسم الاختبار الرئيسي، حيث تقف هيلينا الآن على عتبته. جون وراشيل يقومان بتثبيت قاعدة الكرسي في الأرضية.

كانت تعرف أن هذه اللحظة ستكون لحظة عاطفية، لكن قوة رؤية كرسيها لأول مرة تحتاحها كالعاصفة. حتى الآن، تكوّن نتاج عملها من صور لمجموعات خلايا عصبية، وبرامج سوفتوير متطورة، وطن من التشكك اللعين. لكن الكرسي شيء. شيء يمكنها لمسه. التجلي المادي للهدف الذي كانت تسعى إليه لعشر سنوات طوال، عجل بها مرض أمها.

تسألها راشيل: "ما رأيك؟ لقد جعلنا سليد نغير التصميمات ليفاجئك."

كانت هيلينا لتستشيط غضبا من سليد على هذا التغيير الأحادي الجانب للتصميم لو لم يكن ما صنعاه مثاليا هكذا. إنها مذهولة. في عقلها، كان الكرسي دائما جهازا نفعيا، وسيلة لغاية. لكن ما صنعاه من أجلها متقن وأنيق، يُذكر بمقاعد (إيمز) الفاخرة، إلا أنه قطعة واحدة في مجمله.

ينظر المهندسان إليها الآن، لا شك أنهما يحاولان التأكد من ردة فعلها، أن يريا إن كانت رئيستهما سعيدة بعملهما.

تقول: "لقد تفوقتما على نفسيكما."

قبل الغداء، كان الكرسي قد نُصبَ تماما. ميكروسكوب (ميج)، المرُكَّب بسلاسة على مسند الرأس، يشبه خوذة متدلية. وحزمة الأسلاك الخارجة منه قد انتظمت هابطة ظهر الكرسي إلى داخل منفذ في الأرضية، بحيث يكون المظهر العام هو لجهاز أملس نظيف الحواشي. فازت هيلينا بمعركتها مع سليد كي تكون أول من يحتل المقعد بحجب معرفتها حول كم سيحتاجون إلى عدد كبير من المشبكيات العصبية لكي يعيدوا تنشيط ذاكرة واحدة بطريقة صحيحة. بالطبع رد سليد مجادلا بأن عقلها وذاكرتها أثمن بكثير من القيام بمثل هذه المخاطرة، لكنها لم تكن معركة له أو لأي أحد على الإطلاق فرصة في الفوز بها.

وهكذا، في الساعة الواحدة وسبع دقائق مساء، تسترخي على الجلد الناعم وتميل إلى الوراء. لينور، واحدة من تقنيي التصوير، تُنزل بحرص الميكروسكوب على رأس هيلينا، وتنطبق الحشوة على مقاس رأسها تماما. ثم تثبت حزام الذقن. يراقب سليد من ركن الحجرة، يسجل بكاميرا فيديو محمولة وعلى وجهه ابتسامة عريضة؛ كما لو أنه يصور ميلاد أول أطفاله.

تسأل لينور: "هل يبدو هذا جيدا؟"

"نعم."

"سأغلق عليك بالداخل الآن."

مكتبة
t.me/t_pdf

تفتح لينور مقصورتين مثبتتين في مسند الرأس وتحل سلسلة من قضبان التيتانيوم المتداخلة، تدخلها في الفتحات الموجودة على السطح الخارجي للميكروسكوب لتثبيته.

تقول لينور: "حاولي أن تحركي رأسك الآن."

"لا أستطيع."

يسألها سليد: "كيف تشعرين وأنت جالسة في مقعدك؟"

"أشعر نوعا ما بالرغبة في التقيؤ."

تراقب هيلينا بينما يصطف الجميع خارجين من قسم الاختبار وداخلين غرفة تحكم ملحقة متصلة بصريا بجدار من الزجاج. بعد لحظة، يأتي صوت سليد عبر سماعة في مسند الرأس: "هل يمكنك أن تسمعيني؟"

"نعم."

"سنخفض الإضاءة الآن."

وعلى الفور يكون كل ما تستطيع رؤيته هو وجوه فريقها، متوهجة بضوء أزرق خافت قادم من دسنة شاشات.

يقول سليد: "حاولي أن تسترخي."

تأخذ نفسا عميقا من أنفها وتُخرجه ببطء بينما يبدأ النظام الهندسي لمكشافات (سكويد) في الأزيز بنعومة فوقها، طنين ناعم يبدو أشبه بمليار جهاز تدليك بحجم النانو على فروة رأسها.

لقد تجادلوا إلى ما لا نهاية حول أي نوع من الذكريات ينبغي أن يكون هو أول ما يرسموا خريطة. شيء بسيط؟ معقد؟ حديث؟ قديم؟ سعيد؟ مأساوي؟ بالأمس، قررت هيلينا أنهم كانوا يفكرون في الموضوع أكثر من اللازم. كيف للمرء أن يُعرّف ذكرى بأنها "بسيطة" على أي حال؟ هل يوجد حتى شيء كهذا عندما يتعلق الأمر بالشرط الإنساني؟ مثلا طائر القطرس الذي هبط على المنصة خلال عدوها هذا الصباح. إنه مجرد رفة فكر في عقلها ستُلقى يوما ما داخل قفر النسيان حيث تموت الذكريات المنسية. ومع ذلك فهي تضم رائحة البحر. وريش الطائر الأبيض المبلل يلتصق في نور الشمس المبكرة. ودق

قلبها المتسارع نتيجة مجهود الجري. انزلاق العرق البارد هابطا على جانبيها وحرقته في عينيها. وتعجبها في تلك اللحظة حول المكان الذي كان يعتبره الطائر موطنًا في ذلك التشابه اللانهائي للبحر.

إذا كانت كل ذكرى تضم كونه ما ذا تعني حتى كلمة بسيطة؟

صوت سليد: "هيلينا؟ هل أنت مستعدة؟"

"نعم."

"هل انتقيتِ ذكرى؟"

"نعم."

"إذا ساعد تنازليا من خمسة، وعندما تسمعين الرنين... تذكرى."

باري

5 نوفمبر 2018

في الصيف، يكون القطار مساحة للوقوف فقط، محتشدا بسكان مانهاتن القاصدين هامبتونز. لكنه أصيل نوفمبري بارد، والسحب الرمادية الداكنة تهدد بسقوط أول ثلوج الموسم، ولدى باري أريكة العربة في قطار سكة حديد لونج آيلاند كاملة تقريبا له وحده.

وبينما يحدد عبر النافذة، مراقبا أضواء بروكلين وهي تتضاءل مبتعدة من خلال الزجاج القذر، تثقل رأسه وتتراخى عيناه.

عندما يفيق، يكون الليل قد حل. المنظر خارج النافذة الآن مظلم، نقاط من الضوء، وانعكاسه هو نفسه في الزجاج.

مونتوك هي المحطة الأخيرة في الخط، وهو يخطو نازلا من القطار قبل الثامنة مساء بقليل إلى مطر ثلجي ينهمر مائلا عبر نور أعمدة الإضاءة. يُحكم شد حزام معطفه الصوفي الواقى من المطر ويرفع

ياقته، بينما تخرج أنفاسه بخارا في الصقيع. يسير بمحاذاة خطوط السكة الحديد إلى مبنى المحطة، الذي كان قد أُغلق مع حلول الليل، ويصعد داخل سيارة الأجرة التي طلبها وهو في القطار.

كان أغلب وسط مدينة مونتوك قد أُغلق مع بداية الموسم. جاء باري إلى هنا مرة من قبل، منذ عشرين عاما، مع جوليا وميجان، في عطلة نهاية أسبوع صيفية مزدحمة عندما كانت الشوارع والشواطئ تغص بالمصطافين.

باينوود لين طريق معزول مغطى بالرمال، متصدع ومبرقش بجذور الشجر. بعد نصف ميل، تصطدم المصابيح الأمامية لسيارة الأجرة بمدخل له بوابة، حيث تُثبت لوحة تحمل الرقم الروماني "VI" على واحد من الأعمدة الحجرية.

يقول للسائق: "أوقف السيارة عند الصندوق.."

تندفع السيارة إلى الأمام، ونافذة باري تطنُّ وهي تهبط داخل الباب.

يمد يده ويضغط زر النداء. هو يعرف أنهما في البيت. قبل أن يغادر نيويورك، اتصل تليفونيا، متظاهرا أنه من شركة (فيديكس) يحاول ترتيب توصيل متأخر.

تجيب امرأة: "بيت بيهрман."

"معك المحقق ساتون من إدارة شرطة نيويورك. هل زوجك في البيت يا سيدتي؟"

"هل كل شيء بخير؟"

"نعم. أحتاج إلى الحديث معه."

ثمة صمت قصير، يتبعه صوت محادثة هامسة.

ثم يأتي صوت رجل عبر السماعة: "معك جو. ما الأمر؟"

"أفضل أن أخبرك شخصيا. وعلى انفراد."

"كنا على وشك الجلوس لتناول العشاء."

"أعتذر عن التطفل، لكنني أخذت قطارا للتو من المدينة إلى هنا."

ممر السيارات الخاص حارة واحدة تلتف عبر امتدادات من العشب والأجام الكثيفة في تصاعد تدريجي نحو بيت جاثم أعلى منحدر طفيف. من على بُعد، يبدو البيت مشيدا بأكمله من الزجاج، ومساحته الداخلية متوهجة كواحة في الليل.

يدفع باري إلى السائق نقدا، شاملا 20 دولارا إضافية لكي ينتظره. ثم يخطو خارجا إلى المطر ويصعد السلم نحو المدخل. يفتح الباب الأمامي عندما يصل إلى شرفة الردهة. يبدو جو بيهрман أكبر سنا من صورته في رخصة القيادة، شعره الآن مخطط بالفضي ويحمل في وجهه الذي أتلفته الشمس ما يكفي من الوزن كي يجعل ألغاده تتدلى.

أما فراني فقد شاخت بجمال أكبر.

لثلاث ثوان طوال يشعر بالشك إن كانوا سيدعونه إلى الدخول، لكن عندئذ تتراجع فراني أخيرا، وتقدم له ابتسامة مجبرة، وتدخله إلى بيتهما.

المساحة الخالية من الجدران أعجوبة من الراحة والتصميم ذي النسب النموذجية. في ضوء النهار، يتخيل أن الجدار المكون من نوافذ يقدم منظرا رائعا للبحر والغابة المحمية المحيطة. رائحة شيء يُخبز في المطبخ تتخلل البيت وتذكر باري بما كان عليه الحال حين تُطبخ الأشياء من البداية بدلا من إعادة تسخينها في ميكرويف أو إحضارها إليه في أكياس بلاستيكية على يد الغرباء.

تضغط فراني يد زوجها وتقول: "سأبقي كل شيء في درج التدفئة".
ثم تلتفت إلى باري. "هل يمكن أن آخذ معطفك؟"

يقوده جو إلى داخل مكتب به جدار واحد من الزجاج وبقيّة
الجدران مغطاة بالكتب. وعندما يجلسان أحدهما قبالة الآخر إلى
جوار مدفأة تعمل بالغاز، يقول جو: "عليّ أن أقول لك إنه من
المخيف قليلا أن تأتيك زيارة غير متوقعة من محقق في وقت العشاء."
"آسف إن كنت قد أفرزعتك. أنت لست في مشكلة أو أي شيء."

يبتسم جو: "كان من الأفضل أن تبدأ بهذا."

"سأدخل في الموضوع مباشرة. منذ خمسة عشر عاما، صعدت
زوجتك إلى الطابق الواحد والأربعين من مبنى بو في الجانب الغربي
الأعلى و..."

"هي أفضل كثيرا الآن. شخص مختلف تماما." رفة من ضيق، أو
خوف، تعبر وجه جو، الذي تلون قليلا. "لماذا أنت هنا؟ لماذا أنت
في بيتي فيما كان ينبغي أن تكون ليلة وديعة مع زوجتي، تنبش في
ماضيها؟"

"منذ ثلاثة أيام، كنت أقود سيارتي عائدا إلى بيتي، وجاء اتصال
لاسلكي بإشارة 56A-10 - أي محاولة انتحار. استجبت ووجدت امرأة
تجلس على حافة شرفة الطابق الحادي والأربعين لمبنى بو. قالت
أنها تعاني من م ز ذ. أتعرف ما هي؟"

"ذلك الشيء المتعلق بالذاكرة الزائفة."

"وصفت لي تلك الحياة الكاملة التي لم تحدث قط. كان لديها زوج
وابن. عاشوا في فيرمونت. وكانت تدير مع زوجها مشروعا لتنسيق
حدائق البيوت. قالت إن اسمه جو. جو بيهрман."

يغدو جو ساكنا جامدا للغاية.

"كان اسمها آن فوس بيترز. ظنت أن فراي قد قفزت من المكان الذي كانت جالسة فيه. أخبرني أنها جاءت هنا وتكلمت إليك، لكنك لم تعرفها. أما السبب في اختيارها تلك الحافة فكان تمسكها بأمل أنك قد تأتي لإنقاذها، معوضاً فشلك في إنقاذ فراي. لكن من الواضح أن ذاكرة آن كانت معيبة؛ لأنك فعلتها وأنقذت فراي. قرأت تقرير الشرطة هذا الأصيل."

"ماذا حدث الآن؟"

"لم أستطع إنقاذها."

يغلق جو عينيه ويفتحهما. "ماذا تريد مني؟" يسأله وصوته بالكاد أعلى من الهمس.

"هل كنت تعرف آن فوس بيترز؟"

"لا."

"إذاً كيف لآن أن تعرفك؟ كيف عرفت أن زوجتك قد صعدت إلى نفس الحافة بنية الانتحار؟ لماذا اعتقدت أنها كانت زوجتك؟ أنه كان لديكما أنتما الاثنان ولد اسمه سام؟"

"ليس لدي فكرة، لكنني أود أن تغادر الآن."

"سيد بيهрман..."

"من فضلك. لقد أجبت على أسئلتك. ولم أرتكب أي خطأ. اذهب."

ورغم أنه لا يستطيع أن يخمن السبب، إلا أنه متأكد من شيء واحد - جو بيهрман يكذب.

ينهض باري من المقعد. يمد يده في سترته ويخرج بطاقة شخصية يضعها على المنضدة بين المقاعد. "إذا غيرت رأيك، أمل أن تتصل بي."

جو لا يرد، لا ينهض، لا ينظر حتى إلى باري. يضم يديه في حجره - ليمنعهما من الارتعاش، باري متأكد - ويحرق عن قصد في النار.

بينما يركب باري متجها إلى مونتوك، يراجع الجداول في تطبيق (إدارة نقل ميريلاند) الخاص به. أمامه فقط ما يكفي من الوقت لتناول لقمة سريعة والعودة بقطار 9:50 مساء إلى المدينة.

عربة الطعام فارغة تقريبا، ينزلق باري معتليا مقعدا بلا ظهر إلى جوار الطاولة، ومازال الأدرينالين الناتج عن حوارته مع جو يجري داخله.

قبل أن يأتي طعامه، يدخل رجل برأس حليق ويجلس إلى مائدة بين مقعدين. يطلب قهوة ويجلس هناك يقرأ شيئا في هاتفه. لا.

يتظاهر بقراءة شيء في هاتفه.

عيناه منتبهتان أكثر من اللازم، والبروز أسفل سترته الجلدية يشير إلى جراب مسدس معلق في كتفه. لديه تلك الحدة المستترة لشرطي أو جندي - عيانان لا تهدأ قط، مندفعتان دائما، متعاملتان دائما، رغم أن رأسه لا تتحرك قط. إنه حال لا يمكنك أن تخطئه.

لكنه لا ينظر إلى باري قط.

أنت فقط مصاب بالبارانويا.

ينهي باري نصف طبقه من (ويثوس رانتشيروس⁽¹⁾) وهو يفكر في جو وفراني بيهرمان عندما يندلع وميض من الألم خلف عينيه.

(1) طبق إفطار يتكون من البيض الذي يتم تقديمه على طراز المأكولات التقليدية الكبيرة في منتصف الصباح في المزارع الريفية المكسيكية.

تبدأ أنفه في النزيف، وبينما يوقف الدم بمنديل مائدة، تتزاحم في عقله مجموعة مختلفة تماماً من ذكريات الأيام الثلاثة الماضية. كان يقود سيارته عائداً إلى البيت ليلة الجمعة، لكن لم تأت قط إشارة 56A-10 عبر اللاسلكي. ولم يصعد قط إلى الطابق الحادي والأربعين لمبنى بو. لم يقابل قط آن فوس بيترز. لم يرها قط وهي تسقط. لم ينظر قط إلى تقرير الشرطة المتعلق بمحاولة انتحار فراني بيهرمان. لم يشتر قط تذكرة قطار إلى مونتوك. لم يجر مقابلة قط مع جو بيهرمان.

بالنظر إلى الأمر من منظور معين، كان للتو جالسا في مقعده الكبير في شقته المكونة من حجرة نوم واحدة في حي (واشنطن هايتس) يتفرج على مباراة كرة سلة لفريق نيكس، والآن هو فجأة في عربة طعام في مونتوك بأنف دام.

عندما يحاول النظر إلى هذه الذكريات البديلة في عينها مباشرة، يجد أنها تحمل سمًا مختلفًا عن أي ذكرى عرفها من قبل. فهي هامدة وجامدة، مكسوة بأصباغ من الأسود والرمادي، بالضبط كما وصفتها آن فوس بيترز.

هل أصابتني عدوى هذا منها؟

لقد توقفت أنفه عن النزف، لكن يديه بدأتا في الارتعاش. بعد أن يلقي بعض النقود على الطاولة، يتوجه خارجا إلى الليل، محاولاً أن يبقى هادئاً، لكنه يترنح.

هناك بضعة أشياء في وجودنا يمكننا الاعتماد عليها كي تعطينا الإحساس بالبقاء، بالأرض أسفل أقدامنا. الناس يخذلوننا. أجسادنا تخذلنا. نحن نخذل أنفسنا. لقد اختبر كل هذا. لكن ما الذي تشبث به، لحظة بعد لحظة، إذا كان يمكن للذكريات أن تتغير هكذا

ببساطة؟ ماذا، إذًا، هو الحقيقي؟ وإذا كانت الإجابة لا شيء، أين يتركنا هذا؟

يتساءل إن كان قد جُنَّ، إن كان هذا ما يبدو عليه الحال عندما تفقد عقلك.

إنها أربعة مربعات سكنية تفصل بينه وبين محطة القطار. لا سيارات في الطريق، المدينة ميتة، وكمخلوق من مدينة لا تنام قط؛ يجد صمت هذه القرية العاطلة مخيفًا.

يستند إلى عمود إنارة، منتظرًا أن تنفتح أبواب القطار، واحد من أربعة أشخاص على الرصيف، من ضمنهم الرجل الذي كان في عربة الطعام.

المطر الذي يضرب يديه يتحول إلى ثلج ذائب، أصابعه مجمدة، لكنه يريد لها كذلك.

البرد هو الشيء الوحيد الذي يبقيه مرتبطًا بالواقع.

هيلينا

31 أكتوبر 2008 – 14 مارس 2009

اليوم 366

بعد يومين من أول استخدام للمقعد، تجلس هيلينا في غرفة التحكم، محاطة بفريق التصوير، تحقق في شاشة ضخمة تعرض صورة ثابتة ثلاثية الأبعاد لمخها، ونشاط التشابك العصبي ممثلاً بظلال متفاوتة من الأزرق الزاهي.

تقول: "الدقة المكانية مذهلة يا شباب. أبعد مما تخيلت على الإطلاق."

يقول راجيش: "فقط انتظري.."

ينقر مفتاح المسافة، وتغدو الصورة متحركة. تتوهج الخلايا العصبية وتخفت مثل تريليون حشرة مضيئة تلمع في مساء صيفي. مثل احتراق النجوم.

وعندما تعمل الذاكرة، يُكَبَّر راجيش الصورة إلى مستوى الخلايا العصبية الفردية. خيوط من الكهرباء تتحرك مقوسة من تشابك عصبي إلى آخر. يبطئ الحركة ليبين النشاط في نطاق المللي من الثانية، ومازال التعقيد متعذر الفهم.

عندما تنتهي الذكرى، يقول: "وعدت أن تخبرنا بماهية ما كنا ننظر إليه."

تبتسم هيلينا: "كنت في السادسة من عمري. وكان والدي قد أخذني للصيد بالشص في ذلك المجرى الذي كان يحبه في منتزه جبل روكي الوطني."

يسألها راجيش: "هل يمكن أن تكوني محددة فيما يتعلق بالضبط بما كنت تتذكرينه خلال هذه الثواني الخمس عشرة؟ هل كانت تلك الظهيرة بأكملها؟ لحظات معينة؟"

"كنت لأصفها بالومضات، والتي في مجموعها تشكل العودة العاطفية إلى الذكرى."

"مثلاً..."

"صوت خرير الماء فوق الصخور في قاع المجرى. أوراق شجر حور صفراء تطفو في التيار، وكيف تبدو كعملات ذهبية. يدا أبي الخشتان وهما تجربان ذبابة الطعم. توقع أن تعلق سمكة في الخطاف. التمدد في العشب على الضفة، والتحديق إلى أسفل في المياه. السماء الزرقاء الساطعة والشمس تأتي خلال الشجر في شظايا من الضوء. سمكة أمسكها أبي وهي ترتعش في يديه وشرحه أن اللون الأحمر تحت فكها السفلي هو السبب في أنهم يسمونها سمكة السلمون المرقط السفاح. لاحقاً ذلك الأصيل، دخل خطاف في إبهامي." ترفع هيلينا الإصبع المقصود ليريهم الندبة البيضاء الضئيلة. "لم تكن لتخرج بسبب النصل، لذلك فتح أبي مطواته وقطع الجلد. أذكر بكائي، وهو يطلب مني

أن أبقى ساكنة، وعندما خرج الخطاف أخيراً، أمسك إبهامي في الماء المثلج حتى شعرت بالخدر فيه. وشاهدت الدم وهو يتدفق من الجرح إلى التيار."

يسألها راجيش: "ما هي صلتك العاطفية بتلك الذكرى؟ السبب الذي اخترتها من أجله."

تنظر هيلينا داخل عينيه الواسعتين السوداوتين وتقول: "ألم خطاف الصيد، لكن في الأساس لأنها أفضل ذكرى لدي عن أبي. اللحظة التي كان فيها هو ذاته بأكثر الأشكال جوهرية."

اليوم 370

يعيدون هيلينا إلى المقعد ويجعلونها تستعيد الذكرى مرة بعد مرة، مفتتة إياها إلى أقسام حتى يتمكن فريق راجيش من ربط النماذج التشابكية الفردية بلحظاتها المحددة.

اليوم 420

تحدث أول محاولة إعادة تنشيط عشية الكريسماس الثاني الذي تشهده هيلينا على المنصة. يضعونها في الكرسي ويزودونها بخوذة ملحقة بشبكة من المنبهات الكهرومغناطيسية. كان سيجي قد برمج الجهاز بإحداثيات متشابكة لقسم واحد من ذكرى رحلة صيد هيلينا. وعندما تخبو الأضواء في قاعة الاختبار الرئيسية، تسمع هيلينا صوت سليل في سماعة مسند الرأس.

"مستعدة؟"

"نعم."

لقد قرروا جميعاً ألا يخبروا هيلينا متى سينطلق جهاز إعادة التنشيط، أو أي قسم من الذكرى قد اختاروه، حيث القلق من أنها

حال ترقبها للذكرى؛ فهناك احتمالات بأن تستعيدها بنفسها دون قصد.

تغلق هيلينا عينيها وتبدأ تمرين تصفية الذهن الذي كانت تتدرب عليه لأسبوع حتى الآن. ترى نفسها تسير داخل غرفة. هناك دكة في المنتصف، من النوع الذي قد يجده المرء في متحف للفنون. تجلس وتفحص الحائط المواجه لها. من الأرضية إلى السقف، ينتقل بصورة تدريجية من الأبيض إلى الأسود، مارا بظلال من الرمادي الذي يزداد عمقا بخفة. تبدأ من أسفل، وتأخذ وقتها في الفحص صاعدة ببطء بطول الحائط، ملاحظة تماما لون كل قسم قبل الانتقال إلى التالي، كل منطقة لاحقة أعمق بالكاد من المنطقة السابقة عليها -

اللدغة المباغنة لخطاف شائك يطعن إبهامها، صوتها صرخة حادة من الألم، فقاعة حمراء من الدماء تملأ المساحة حول الخطاف بينما أبوها يأتي مهرولا.

"هل فعلتموها؟" تسأل هيلينا، وقلبها يتخبط في صدرها.

يسألها سليد: "هل أحسست بشيء؟"

"نعم، الآن للتو."

"صفيه."

"ومضة ذكرى حية للخطاف وهو يخرق إبهامي. أكان هذا أنتم يا شباب؟"

تنفجر الهتافات من غرفة التحكم.

تبدأ هيلينا في البكاء.

يبدأون تسجيل وتصنيف الذكريات الذاتية لكل شخص على المنصة، ملتزمين في صرامة بالذكريات الوامضة.

تسمح لهم لينور بتسجيل ذكرياتها عن صبيحة يوم 28 يناير من عام 1986.

كانت في الثامنة من عمرها وفي زيارة لعيادة طبيب الأسنان. كان مدير العيادة قد أحضر تلفازا من البيت ووضعه في حجرة الانتظار. كانت لينور جالسة مع أمها قبل موعدها، تشاهد تغطية إطلاق المكوك التاريخي عندما تفككت المركبة الفضائية فوق المحيط الأطلنطي.

كانت المعلومات التي جرى تشفيرها بأقوى ما يكون بالنسبة لها هي التلفاز الصغير على حامل متحرك. ولقطات الكاميرا للسحب البيضاء المنعقدة بعد لحظات من الانفجار. وأمها تقول: "آه يا إلهي!". القلق الحاد في عيني د. هنتر. وواحدة من إخصائيي صحة الأسنان تأتي من الخلف لتحقق في التلفاز بينما الدموع تجري سائلة على وجهها وأسفل القناع الجراحي الذي كانت مازالت ترتديه.

يتذكر راجيش المرة الأخيرة التي رأى فيها أباه قبل الانتقال إلى أمريكا. كان قد قاما برحلة سفاري، هما الاثنان فقط، في وادي سبيتي، عاليا في جبال الهيمالايا.

يتذكر رائحة ثيران التبت. حدة وشدة ضوء الشمس الجبلي. اللسعة المجمدة للنهر. الدوار الذي أصابه من الهواء الخالي من الأوكسجين على ارتفاع 4000 متر. كل شيء بُني وقاحل، باستثناء

البحيرات الأشبه بعيون زرقاء باهتة، والمعابد بأعلام صلواتها زاهية الألوان، والامتدادات العلوية لأعلى القمم اللامعة بالثلوج الساطعة. لكن بشكل خاص الليلة التي أخبره فيها والده بما كان يعتقد فعلًا عن الحياة، عن راج، وأم راج، وكل شيء، في لحظة عابرة من الهشاشة بينما جلس كلاهما أمام نار معسكر تنطفئ رويدا رويدا.

اليوم 452

يجلس سيرجي في المقعد متذكرا اللحظة التي ضربت فيها دراجة بخارية ظهر سيارته. الاصطدام المفاجئ للمعدن بالمعدن. رؤية الدراجة وهي تتشقلب في الطريق السريع من نافذة السائق الجانبية. الخوف، الرعب، طعم الصدا في مؤخرة حلقه وإحساس بالوقت يتباطأ إلى درجة الزحف.

ثم إيقافه سيارته في منتصف شارع موسكو المزدحم وخروجه إلى رائحة الزيت والغاز المتسربين من الدراجة المحطمة، وسائق الدراجة جالس في منتصف الطريق، وأغطية ساقه الجلدية ممزقة ويبرز منها الجلد، وهو يحدق مصعوقا في يديه، اللتين بُترت أغلب أصابعهما، ثم يصرخ عندما رأى سيرجي، ويحاول سائق الدراجة الوقوف والقتال، ثم يصرخ عندما ترفض ساقه، التي التوت تحته على نحو مستحيل، أن تستجيب.

اليوم 500

إنه يوم من أول الأيام المعتدلة في السنة. طوال الشتاء، كانت المنصة تتلقى ضربات عاصفة إثر عاصفة، مختبرة حدود حتى عتبة هيلينا الخاصة ببيئات العمل الخائفة. لكن اليوم دافئ وصحو، والبحر هادئ بما يكفي لسطحه كله أن يتمدد لامعا تحت المنصة.

هي وسليد يتحركان على مهل حول مضمار الجري.

يسألها: "كيف تشعرين حيال التقدم الذي حققناه؟"

"عظيم. إنه يمضي أسرع بكثير مما كنت أمل. أعتقد أننا ينبغي أن ننشر شيئا."
"فعلا."

"أنا مستعدة لأن آخذ ما تعلمناه وأبدأ تغيير حياة الناس."

ينظر إليها، تبدو أنحف وأصلب مما كانت منذ تقابلا أول مرة قبل عام ونصف تقريبا. كما أنها قد تغيرت أيضا. إنها في أعظم شكل بدني في حياتها، ولم يكن عملها قط أكثر متعة.

لا شيء من انخراط سليد في هذا المشروع توافق مع توقعاتها. منذ وصولها إلى المنصة، لم يغادرها هو إلا مرة واحدة، وكان مشاركا عن قرب خلال كل خطوة من خطوات العملية. لقد حضر هو وجي-وون كل اجتماع للفريق. وقدم مشورته في كل قرار مادي. كانت تظن أن رجلا مشغولا مثل سليد سيقفز بالباراشوت فقط من فترة لأخرى، لكن هوسه بالموضوع نافس هوسها.

والآن يقول: "أنت تتحدثين عن النشر، وأنا أشعر كأننا اصطدما بحائط." يدوران حول الزاوية الشمالية الشرقية من المضمار ويتوجهان غربا. "إن خبرة إعادة تنشيط الذكرى شيء محبط."

"أنا مصدومة من سماعك تقول هذا. كل من مر بإعادة التنشيط خرج يحكي عن خبرة ذاكرة أكثر وضوحا وقوة بكثير من أي شيء استدعاه بنفسه. إن إعادة التنشيط تثير كل العلامات الحيوية، أحيانا إلى درجة التوتر الشديد. لقد رأيتَ خرائط سجلاتهم الطبية. لقد جعلتَ ذكرياتك تشتعل. أتعترض على هذا؟"

"لا أتعترض على أنها خبرة أقوى من تذكر شيء بنفسه، لكنها ليست تقريبا بنفس الديناميكية التي كنت أملها."

تشعر بدفقة من الغضب تلون وجهها بالحمرة. "نحن نحقق تقدما بمعدل مذهل، ونحقق طفرات علمية في فهمنا للذاكرة والإنجرامات⁽¹⁾ ستشعل العالم لو وافقت على السماح لي بالنشر. أريد أن أبدأ رسم خرائط الذكريات لموضوعات الاختبار ذات المرحلة الثالثة من الأزهامر، وعندما يصلون إلى المرحلة الخامسة أو السادسة، نعيد تنشيط الذكريات التي حفظناها لهم. ماذا لو كان هذا هو الطريق إلى إحياء التشابك العصبي؟ إلى العلاج؟ أو على أقل القليل، لحفظ الذكريات الأساسية للأشخاص الذين تخذلهم أدمغتهم؟"

"هل تصنعين هذا من أجل أمك يا هيلينا؟"

"بالطبع أفعل هذا! إنها ستصل إلى نقطة في العام التالي لن تكون فيها أي ذكريات باقية كي نرسم خرائطها. ماذا تظن أني أفعل هنا؟ لماذا تعتقد أني كرست حياتي لهذا؟"

"أحب ولعك، وأريد أن أقضي على هذا المرض أيضا. لكن أولاً، أنا أريد: منصة ثلاثية الأبعاد لعرض الذكريات طويلة الأمد والواضحة والمبسطة." بالضبط عنوان طلب براءة الاختراع الذي حلمت به منذ سنوات، الطلب الذي لم تقدمه بعد.

"كيف تعرف بأمر براءة اختراعي؟"

وبدلا من الرد عليها، يطرح سؤالاً آخر: "هل تعتقدين أن ما بنيتيه حتى الآن مقارب بأي شكل لثلاثي الأبعاد؟" "لقد أعطيت هذا المشروع كل شيء لدي."

(1) الإنجرام engram وحدة من المعلومات المعرفية داخل الدماغ، تُعتبر نظريا الوسيلة التي يتم بها تخزين الذكريات كتغيرات فيزيائية حيوية أو كيميائية حيوية في المخ استجابة للمنبهات الخارجية.

"من فضلك توقفني عن أن تكوني في وضع من تدافع عن نفسها دائماً. التكنولوجيا التي صنعتها غموضجية. أنا فقط أريد أن أساعدك على جعلها تحقق كل ما يمكن أن تحقّقه."

يدوران حول الزاوية الشمالية الغربية، متوجهين جنوباً الآن. فريقا التصوير ورسم الخرائط يتنافسان على الفوز بمباراة في ملعب الكرة الطائرة. راجيش يرسم لوحة بألوان الماء في الهواء الطلق إلى جوار حمام السباحة المغطى بالشمع. وسيرجي يقوم برميات حرة في ملعب كرة السلة.

يتوقف سليد عن المشي وينظر إلى هيلينا: "وجّهي فريق البنية التحتية بإنشاء حوض عزل. سيحتاجون إلى التنسيق مع سيرجي للعثور على طريقة لتثبيت جهاز إعادة التنشيط وجعله مقاوماً للماء كي نضع موضوع اختبار يطفو بداخله."

"لماذا؟"

"لأنه سيخلق النسخة النقية من إعادة تنشيط الذاكرة التي أبحث عنها."

"كيف أمكن لك أن تعرف...؟"

"بمجرد أن تنجز هذا، ابتكري وسيلة لإيقاف قلب موضوع الاختبار بمجرد دخوله حوض العزل."

تنظر إلى سليد كما لو أنه فقد عقله.

يقول: "كلما زاد الضغط الذي يتحمّله الجسد البشري خلال إعادة التنشيط، كلما زادت خبرة الذاكرة قوةً. هناك غدة في حجم حبة الأرز مدفونة عميقاً داخل أدمغتنا وتُدعى الغدة الصنوبرية، والتي تلعب دوراً في خلق مادة كيميائية اسمها ثنائي ميثيل التريبتامين، أو دي إم تي. هل سمعتِ بها؟"

"إنها واحدة من أقوى مخدرات الهذيان المعروفة للإنسان."

"بجرعات ضئيلة تُطَلَّق داخل أدمغتنا ليلاً، تكون الـدي إم تي مسؤولة عن أحلامنا. لكن في لحظة الموت، تطلق الغدة الصنوبرية سيلاً حقيقياً من الـدي إم تي. أوكازيون تصفية العمل. وهذا هو السبب في أن الناس يرون أشياء عندما يموتون، مثل العدو عبر نفق نحو النور، أو أن تمر حياتهم بأكملها كالبرق أمام عيونهم. ولكي نحصل على ذكرى غامرة أشبه بالحلم، نحتاج إلى أحلام أكبر. أو إذا شئت إلى المزيد والمزيد من الـدي إم تي."

"لا أحد يعرف ما تمر به عقولنا الواعية عندما نموت. ولا يمكنك التأكد من أن هذا سيكون له أي تأثير على تجسد الذكرى. قد نقتل الناس فقط."

"متى أصبحت متشائمة هكذا؟"

"مَن بالضبط تعتقد أنه سيتطوع ليموت من أجل هذا المشروع؟"

"سنعيدهم إلى الحياة. استفتِ أعضاء فريقك. سأدفع جيداً بالنظر إلى المخاطرة. وإذا لم تحسلي على ما يكفي من تسجيلات الالتحاق من أجل التجارب، سأبحث في مكان آخر."

"هل ستتطوع بالدخول في حوض العزل وأن تتعرض لإيقاف قلبك؟"

يبتسم سليد ابتسامة سوداء: "عندما تكتمل العملية؟ بالقطع. عندئذ، وعندئذ فقط، يمكنك أن تأتي بأملك إلى المنصة، وتستخدمي كل معداتي وكل معرفتك لترسمي خريطة ذكرياتها وتنقيدها."

"ماركوس، من فضلك..."

"عندئذ، وعندئذ فقط."

"إن الوقت ينفد منها."

إدًا أبدئي العمل."

تراقبه وهو يمضي. قبل ذلك، كان الأمر دائما بعيدا أسفل سطح الوعي بما يكفي لتجاهله. والآن ها هو يحدد بها في مواجهتها مباشرة. لا تعرف كيف، لكن سليلد يعرف أشياء لا ينبغي له أن يعرفها، أو لعله لا يمكن أن يعرفها - التفاصيل الكاملة لنسختها من إسقاط الذاكرة، وحتى اسم طلب براءة الاختراع الذي كانت ستقدمه يوما ما. المعالجات الكمية التي عرفها بطريقة ما قامت بحل مشكلة رسم الخرائط. والآن هذا التصور المجنون عن إيقاف القلب كوسيلة لتعميق الخبرة الغامرة. بل والأكثر رعبا، الطريقة التي يلقي بها سليلد هذه التلميحات الصغيرة، وكأنه تقريبا يريد أن يعرف أنه يعرف أشياء لا ينبغي له معرفتها. كأنه يريد أن يقلق من مدى سلطته ومعرفته. يخطر لها أنه إذا استمر هذا الاحتكاك، قد يأتي يوم يلغي فيه سليلد قدرتها على الوصول إلى منصة الذاكرة. ربما يمكنها إقناع راج بأن ينشئ لها حساب مستخدم ثانويا سريا تحسبا للأمر. لأول مرة منذ خطت بقدمها على هذه المنصة، تتساءل بينها وبين نفسها إن كانت آمنة هنا.

باري

5 - 6 نوفمبر 2018

"سيدي؟ معذرةً سيدي؟"

يصحو باري من النوم، يفتح عينيه، كل شيء مشوش للحظة ولا فكرة لديه لمدة خمس ثوان مربكة عن مكانه. ثم يميز الحركة الرجراجة للقطار. وأعمدة النور تندفع في ملح البصر من وراء النافذة أمامه في الممر. وجه الكمساري العجوز.

"هل يمكن أن أرى تذكرتك؟" يسأل الرجل العجوز بأسلوب مهذب تربى في زمن آخر. يفتش باري متعجلاً في معطفه حتى يجد هاتفه في قاع جيب داخلي. يفتح تطبيق إم تي إيه، ويرفع تذكرته بحيث يمكن للكمساري أن يمسخ الرمز الشريطي.

"أشكرك سيد ساتون. آسف على إيقاظك."

وبينما ينتقل الكمساري إلى العربة التالية، يلاحظ باري إشعارات بأربع مكالمات فائتة على شاشة عرض هاتفه - كلها من نفس الرمز الخاص بالمنطقة 934.

ورسالة بريد صوتي واحدة.

يضغط على زر التشغيل، ويضع الهاتف على أذنه. "هاي، معك جو... جو بيهрман. إممم... هل يمكن من فضلك أن تتصل بي بمجرد أن يصلك هذا؟ أحتاج بالفعل للحديث معك."

يعيد باري الاتصال على الفور، ويرد جو قبل الرنة الثانية: "المحقق ساتون؟"

"نعم."

"أين أنت؟"

"في القطار العائد إلى نيويورك."

"عليك أن تفهم، لم أعتقد قط أن أي شخص سيكتشف الأمر. لقد وعدوني أنه لن يحدث أبدا."

"عم تتحدث؟"

"كنت خائفا. جو يبكي الآن. "هل يمكنك العودة؟"

"جو. أنا في قطار. لكن يمكنك أن تكلمني الآن."

للحظة، لا يفعل الرجل شيئا غير التنفس أنفاسا ثقيلة في الهاتف. يظن باري أنه يسمع امرأة أيضا تبكي في الخلفية، لكنه ليس متأكدا.

يقول جو: "لم يكن ينبغي أن أفعلها. أعرف ذلك الآن. كانت لدي تلك الحياة العظيمة مع ابن جميل، لكنني لم أستطع أن أنظر إلى نفسي في المرأة."

"لماذا؟"

"لأني لم أكن هناك من أجلها، وهي قفزت. لم أستطع أن أسامح..."
"من التي قفزت؟"
"فراني."

"عم تتحدث؟ فراني لم تقفز. لقد رأيتها للتو في بيتك."
عبر وصلة الروابط الإستاتيكية، يسمع باري انهيار جو.
"جو، هل كنت تعرف أن قوس بوترز؟"

"نعم."

"كيف؟"

"كنت متزوجا منها."

"ماذا؟"

"قفزت أن نتيجة غلطتي. رأيت إعلانا ضمن الإعلانات المبوبة. كان يقول: 'هل تود أن تعيد التجربة؟' وكان هناك رقم هاتف اتصلت به. هل أخبرتك أن أنها تعاني من متلازمة الذاكرة الزائفة؟"

"صحيح." والآن أنا أعاني منها. "ويبدو كأنك تعاني منها أيضا. يقولون إنها تنتقل في الدوائر الاجتماعية."

يضحك جو، لكن الصوت مليء بالندم وكرهية الذات. "م ز ذ
ليست ما يظنه الناس فيها."

"وأنت تعرف ماهية م ز ذ؟"

"بالطبع."

"قل لي."

يسود الهدوء في الخط، وللحظة يظن باري أنه قد فقد الإشارة.

"جو، هل أنت موجود؟ هل فقدتك؟"

"أنا هنا."

"ما هي م ز ذ؟"

"إنها الأشخاص الذين على شاكلتي، الذين فعلوا ما فعلته. ولن يحدث إلا أن يزداد الأمر سوءاً."

"لماذا؟"

"أنا..." ثمة وقفة طويلة. "لا يمكنني التفسير. إنه شيء مجنون. يجب أن تذهب وترى بنفسك."

"وكيف لي أن أفعل هذا؟"

"بعد أن اتصلت بهذا الرقم، أجروا حواراً شخصياً معي عبر الهاتف، وبعد ذلك أخذوني إلى فندق في مانهاتن."

"هناك الكثير من الفنادق في مانهاتن يا جو."

"ليست مثل هذا الفندق. لا يمكنك فقط أن تذهب إلى هناك. هم يدعونك. المدخل الوحيد عبر جراج تحت الأرض."

"هل تعرف رقم الشارع؟"

"إنه في الشارع خمسين الشرقي، بين ليكسنجتون والثالث. توجد عربة طعام تسهر طوال الليل في نفس المربع السكني."

"جو..."

"هؤلاء أشخاص نافذون. عانت فراني من انهيار عصبي عندما تذكرت، وعرفوا. ظهروا. هددوني."

"من هم؟"

ما من إجابة.

"جو؟ جو؟"

أغلق الخط.

يحاول باري الاتصال به من جديد، لكن الاتصال يأخذه مباشرة إلى البريد الصوتي.

ينظر من النافذة خارجا - لا شيء يراه غير ظلام تكسره بين الفينة والفينة أضواء بيت أو محطة تمر سريعا.

يحول تركيزه إلى تلك الذكريات البديلة التي وجدته في عربة الطعام. مازالت موجودة. ذكريات لم تحدث قط، لكنها تبدو حقيقية مثلها بالضبط مثل بقية ذكرياته، ولا يمكنه أن يضبط المفارقة في ذهنه. ينظر حوله في العربة - هو الراكب الوحيد.

الصوت الوحيد هو النبض الثابت للقطار المتسارع بامتداد خط السكة الحديد.

يلمس مقعده، ويجري بأصابعه على النسيج.

يفتح محفظته وينظر إلى رخصة قيادته الصادرة عن ولاية نيويورك، وبعد ذلك ينظر إلى شارته الصادرة عن إدارة شرطة نيويورك.

يأخذ نفسا، ويقول لنفسه: أنت باري ساتون. أنت في قطار من مونتوك إلى مدينة نيويورك. ماضيك هو ماضيك. لا يمكن أن يتغير. الحقيقي هو هذه اللحظة. القطار. برودة زجاج النافذة. وخطوط المطر ترتسم على الناحية الأخرى منه. وأنت. هناك تفسير منطقي لذكرياتك الزائفة، لأي كان ما حدث لجو وآن فوس بيترز. للأمر كله. إنه مجرد لغز سيحل. وأنت ماهر جدا في حل الألغاز.

وكل هذا الهراء.

لم يكن قط أكثر خوفا من هذا في حياته.

عندما يخطو خارجا من محطة بن، يكون الوقت قد تجاوز منتصف الليل. الثلج ينهمر من سماء وردية، وقد تجمع فعلا بارتفاع بوصة في الشوارع.

يرفع ياقته، ويفتح مظلته، ويتجه شمالا من الشارع الرابع والثلاثين.

الشوارع والأرصفة خاوية.

والثلج يخمد ضوضاء مانهاتن محولا إياها إلى صمت نادر.

خمس عشرة دقيقة من المشي السريع توصله إلى تقاطع الجادة الثامنة والشارع الخمسين الغربي، حيث يقطع الطريق شرقا عبر الشوارع الواسعة، والجو الآن أكثر برودة حتى أنه يسير في العاصفة، والمظلة مائلة مثل درع أمام الرياح والثلج.

يتوقف عند ليكسنجتون ليدع ثلاث كاسحات ثلج تمر ويحرق في لافتة من النيون الأحمر أمامه في الشارع:

مطعم ماكلاشان

إفطار

غداء

عشاء

مفتوح سبعة أيام

24 ساعة

يعبر باري، وعندئذ يكون واقفا أسفلها، يشاهد الثلج وهو يتساقط عبر الإضاءة الحمراء ويفكر أنها لا بد أن تكون عربية الطعام تلك التي ذكرها جو في الهاتف.

كان قد سار ما يقرب من أربعين دقيقة، وقد بدأ يرتعد، والثلج يتخلل حذاءه. خلف المطعم، يمر بمخباً يجلس فيه رجل متشرد يهتمهم لنفسه ويهتز إلى الوراء وإلى الأمام، وذراعااه ملفوفان حول ساقيه. ثم محل بقالة لاتيني صغير، ومتجر خمور، ومحل ملابس فاخر للسيدات، وبنك - كلها مغلقة في الليل.

قرب نهاية كتلة المباني، يتوقف عند مدخل ممر سيارات مظلم، ينزل في نفق إلى داخل مساحة تحت الأرض أسفل مبنى على الطراز القوطي الحديث محشور بين ناطحتي سحاب عاليتين مبنيتين من الفولاذ والزجاج.

يخفض مظلته، ويسير هابطاً ممر السيارات، إلى داخل الظلمة منخفضة الإضاءة أسفل مستوى الشارع. بعد أربعين قدماً، ينتهي الممر عند باب جراج مصنوع من الفولاذ المقوى. هناك لوحة مفاتيح، وأعلامها كاميرا مراقبة.

طيب، اللعنة. يبدو أن هذه نهاية الخط لهذه الليلة. سيعود غداً، ويظل مراقباً للمدخل، ويرى إن كان بمقدوره القبض على أي شخص يأتي أو...

ينتفض قلبه لصوت تروس بادئة في الدوران. يعود بنظره إلى باب الجراج، الذي يرتفع ببطء عن الأرض، ويمتد ضوء من الجانب الآخر عبر الرصيف، واصلاً بالفعل إلى أطراف حذاء باري المبلل.

يغادر؟

يبقى؟

قد لا يكون هذا حتى هو المكان الصحيح.

الباب في منتصف طريق الصعود ومازال يرتفع، ولا يوجد أحد على الجانب الآخر.

يتردد، ثم يعبر العتبة إلى داخل بناء متواضع لصف السيارات تحت الأرض، تشغله ستة سيارات.

تردد أصداء خطواته من الخرسانة بينما تشتعل مصابيح الهالوجين فوق رأسه.

يرى مصعدا، وإلى جواره باب من المحتمل أن يؤدي إلى درج. يضيء المصباح أعلى المصعد.

يرن جرس.

يغطس باري خلف سيارة لنكولن إم كاي إكس ويراقب عبر الزجاج الملون لنافذة الركاب الأمامية بينما تنفتح أبواب المصعد. فارغ.

ما هذا بحق الجحيم؟

لا ينبغي أن يكون هنا. لا شيء من هذا له أي علاقة بملف قضاياها الفعلي، ولا جريمة هناك، على حد علمه، قد ارتكبت. تقنيا، هو يقوم بالتعدي على ممتلكات الآخرين.

اللعنة على هذا.

الجدران بالداخل من معدن أملس بلا ملامح، ومن الواضح أنه يجري التحكم في المصعد من مصدر خارجي.

تنغلق الأبواب.

يرتفع المصعد.

قلبه يدق بقوة.

يبتلع باري ريقه مرتين ليخفف الضغط عن أذنيه، وبعد ثلاثين ثانية تتوقف كابينة المصعد وقفة مرتجة.

أول شيء يسمعه، بينما تنفرج الأبواب، هو صوت مايلز ديفيس -
واحدة من الأغاني الهادئة النموذجية في ألبوم *Kind of Blue* - يطفو
فوق صدى موحش عبر ما يبدو أنها ردهة فندق.

يخطو خارج المصعد على أرضية من الرخام. ثمّة أشغال من
الخشب داكنة وكثيية في كل مكان. أرائك جلدية، ومقاعد مطلية
بورنيش أسود. وثمّة أثر لدخان سيجار في الهواء.
ثمّة شيء سرمدى في المكان.

قبالته مباشرة يقوم مكتب استقبال بلا طاقم عمل وفي خلفيته
صناديق بريد عتيقة كانت تُستخدم في عصر آخر، وعلى القرميد
أعلاها نُحت الحرفان HM.

يسمع القعقعة الخافتة لمكعبات ثلج تستقر في أوان زجاجية، وبعد
ذلك أصوات تطفو قادمة من بار يتوارى خلف ستار من النوافذ.
رجلان، جالسان على مقعدي بار بحشيات من الجلد، منخرطان في
الحديث بينما تقوم نادلة ترتدي صديريا أسود بتلميع الأكواب.
وإذ يتحرك باري نحو البار، تزداد رائحة السيجار قوة، ويغدو
الهواء مضيقا بالدخان.

يصعد باري على واحد من المقاعد العالية ويستند على البار
المصنوع من خشب الماهوجني الصلب. عبر النوافذ القريبة، تبدو
أبنية وأضواء المدينة متسرلة ببياض العاصفة الثلجية.
تدنو منه الساقية.

جميلة - عينان سوداوان وشعر أشيب قبل أوانه مرفوع بأعواد
الأكل الصينية. اسمها على بطاقة الصدر: تونيا.

تسأله تونيا: "ماذا تشرب؟"

"هل يمكن أن أتناول الويسكي؟"

"هل تريد نوعا معينا؟"

"ديلرز تشويس"

تمضي لتصب مشروبه، ويلقي باري نظرة على الرجلين الجالسين على مبعدة بضعة مقاعد. يشربان البوربون من زجاجة نصف فارغة تقف بينهما على البار.

الرجل الأقرب إليه يبدو في بداية سبعينياته، بشعر أشيب خفيف ونحول يوحى بمرض عضال. يتصاعد الدخان حلزونيا من سيجار في يده، تبدو رائحته أشبه بمطر يسقط على صحراء.

الرجل الآخر أقرب إلى عمر باري - بلا ملامح مميزة، حليق الوجه، بعينين متعبتين. يسأل الرجل الأكبر سنا: "منذ متى وأنت هنا يا أمور؟"

"حوالي أسبوع."

"هل حددوا لك موعدا بعد؟"

"غدا في الحقيقة."

"بجد؟ مبروك."

يضربا كأسيهما برفق.

"متوتر؟" يسأل الرجل الأصغر.

"حسن، في بالي ما سيحدث. لكنهم يقومون بعمل شامل فعلا في تجهيزك لكل شيء."

"هل هذا صحيح - لا يوجد تخدير؟"

"للأسف نعم. متى وصلت إلى هنا؟"

"أمس." يسحب أمور نفسا من سيجاره.

تظهر تونيا حاملة كأس الويسكي، وتضعه أمام باري على منديل ورقي منقوش عليه كلمتا HOTEL MEMORY بلون ذهبي.

يسأل الرجل الأصغر: "هل قررت ما ستفعل عندما تعود؟"

يرشف باري السكوتش - مزيج الشيري والكراميل والفاكهة المجففة والكحول.

"لديّ بعض الأفكار." يرفع أمور يده التي تمسك السيجار. "لا مزيد من هذا." يشير إلى الويسكي. "والأقل من ذاك. كنت مهندسا معماريا فيما مضى، وكان هناك ذلك المبنى الذي ندمت دائما على عدم متابعته. كان يمكن أن يغدو درة أعمال. وأنت؟"

"لست متأكدا. أشعر بالذنب للغاية."

"لماذا؟"

"أليست هذه أناية؟"

"تلك ذكرياتنا نحن. لا أحد غيرنا له الحق فيها." يتلح أمور آخر ما في كأسه من الويسكي. "من الأفضل لي أن أذهب إلى النوم. غداً يوم كبير."

"نعم، وأنا أيضا."

ينزلقان هابطين من فوق مقعديهما، يتصافح الرجلان ويتمنى أحدهما للآخر حظا طيبا. يرقبهما باري وهما يسيران مبتعدين عن البار إلى صف من المصاعد.

وعندما يلتفت من جديد نحو البار، يجد الساقية في مواجهته.

"ما هذا المكان يا تونيا؟" يسألها، لكنه يشعر بإحساس غريب في فمه وتخرج كلماته ببطء رخو.

"سيدي، أنت لا تبدو بخير."

يشعر بشيء يرتخي خلف عينيه.

شيء ينحل.

ينظر إلى شرابه. ينظر إلى تونيا.

تقول: "سيساعدك في الوصول إلى غرفة.."

يهبط باري عن المقعد، وهو يترنح قليلا في وقفته، ويلتفت ليقابل تحديقة ممتة العينين من الرجل الذي كان في عربة الطعام. وحول رقبته وشم منمق ليدي امرأة تخنقه.

يمد باري يده نحو مسدسه، لكن الأمر أشبه بالخوض في شراب مركز، ويبدأ فينس بالفعل في داخل معطفه، تحل بمهارة جراب الكتف الذي يؤمن سلاح خدمته، وتسحب المسدس هابطة به من خلف بنطال الجينز. يُخرج هاتف باري من جيبه، ويلقي به إلى تونيا.

"أنا من إدارة شرطة نيويورك..." يقول باري بحروف مدغمة.

"كذلك كنت أنا."

"ما هذا المكان؟"

"أنت على وشك أن تعرف."

يشدد الدوار.

يمسك فينس بذراع باري ويقوده بعيدا عن البار نحو صف المصاعد وراء مكتب الاستقبال. يستدعي المصعد ويسحب باري داخله. بعد ذلك يتعثر باري عبر ممر فندق بينما العالم يذوب من حوله.

يترنح فوق السجاد الأحمر الناعم، مارا بشمعدانات جدارية مصنوعة من مصابيح قديمة تلقي نورا عتيقا على الجدران المكسوة بالخشب بين الأبواب.

رقم 1414 مضاء على الباب من مصباح في الجدار المقابل يحرك الرقم على شكل العدد 8 ببطء حول ثقب الباب.

يدخل فينس الحجره محركا باري نحو سرير عريض بأربعة أعمدة، دافعا إياه فوق الفراش، حيث يتكور باري في وضع الجنين.

يذوي سريعا وهو يفكر: لقد أفسدت الأمر الآن، أليس كذلك؟

ينغلق باب الغرفة بقوة.

وحيد، وغير قادر على الحركة.

أضواء المدينة المغلفة بالجليد تنزف عبر الستار الشفاف فوق حائط النوافذ، وآخر شيء يراه قبل أن يفقد الوعي هو الوحدات المزخرفة على شكل V لمبنى كرايسلر، وهي تضوي مثل جواهر في العاصفة.

فمه جاف.

ذراعه الأيسر يوجعه.

تتبلور الأشياء المحيطة في بؤرة التركيز.

باري ممدد على مقعد جلدي - أسود، أنيق، فائق الحداثة - مربوط إليه بأحزمة أيضا. كاحلاه، رسغاه، واحد عبر وسطه وآخر فوق صدره. ثمة قسطرة وريدية في ساعده الأيسر - من هنا يأتي الألم - وعربة معدنية إلى جوار مقعده، تأتي منها الأنبوبة البلاستيكية الموصولة بمجرى دمه.

الحائط المواجه له مبطن ببوابة حاسوبية وتشكيلة من المعدات الطبية، تتضمن (وهو ما أثار رعبا كبيرا لديه) عربة إنعاش. مدسوسا في مخبأ في الجانب البعيد من الحجره، يرى شيئا أبيض أملس بأنابيب وأسلاك داخله فيه، يبدو أشبه ببيضة عملاقة.

رجل لم يره باري من قبل جالس على مقعد دون ظهر إلى جواره. له لحية طويلة شعثة، وعينان زرقاوتان قاسيتان تشعان ذكاءً، وحدة مزعجة.

يفتح باري فمه، لكنه مازال أكثر نعاسا من أن يصيغ كلمات.

"أمازلت تشعر بالدوخة؟"

يومي باري برأسه.

يلمس الرجل زرا في العربة إلى جوار المقعد. يراقب باري بينما يندفع سائل شفاف عبر الخط الوريدي الداخل إلى ذراعه. تسطع إضاءة الحجر. ويشعر بالانتباه على الفور، كأنه حُقن للتو بحقنة من الإسبريسو، ومع الوعي يأتي الخوف.

يسأله الرجل: "أفضل؟"

يحاول باري أن يحرك رأسه، لكنها مشلولة. لا يمكنه حتى أن يلتفت ملليمتر في أي من الاتجاهين.

يقول باري: "أنا شرطي."

"أعرف. أعرف الكثير عنك، أيها المحقق ساتون، بما في ذلك حقيقة أنك رجل محظوظ جدا."

"لماذا تقول هذا؟"

"بسبب ماضيك، قررت ألا أقتلك."

هل هذا شيء جيد؟ أم أن هذا الرجل يتلاعب به فقط؟

يسأله باري: "من تكون؟"

"لا يهم. أنا على وشك أن أمنحك أعظم هدية في حياتك. أعظم هدية يمكن لشخص أن يتمنى الحصول عليها على الإطلاق. إذا لم

تَمَانع.. يقول، بذلك التهذيب المرعب على نحو متناقض. "لديّ بضع أسئلة قبل أن نبدأ."

يزداد انتباه باري مع الوقت، ويتلاشى الارتباك مع عودة آخر جزء من الذاكرة - التعثر في ممر الفندق والدخول إلى الحجرة رقم 1414.

يسأله الرجل: "هل ذهبت إلى بيت جو وفراني بيهرمان بصفة رسمية؟"

"كيف عرفت أي ذهبت إلى هناك؟"

"فقط أجب على السؤال."

"لا. كنت أرضي فضولي."

"هل عرف أي من زملائك أو رؤسائك بأمر رحلتك إلى مونتوك؟"

"لا أحد يعرف."

"هل ناقشت مع أي أحد أمر اهتمامك بأن فوس يبرز وجو بيهرمان؟"

رغم أنه تحدث مع جوين عن متلازمة الذاكرة الزائفة يوم الأحد، إلا أنه يشعر بالثقة في افتراضه ألا أحد يمكن أن يعرف بأمر محادثتهما.

لذا يكذب: "لا."

لدى باري برنامج التتبع مُفعَّلًا في هاتفه. ليست لديه فكرة عن المدة التي قضاها فاقدا الوعي، لكن بافتراض أن الوقت مازال في الصباح الباكر من يوم الثلاثاء، لن يلاحظ غيابه عن العمل حتى وقت متأخر من بعد الظهر. نظريا، بعد ساعات من الآن. ليس لديه

أي مواعيد في جدولته. لا خطط للشرب أو العشاء. يمكن أن تمر عدة أيام قبل أن يحدث غيابه أثرا على رادار أي شخص.

يقول باري: "سيأتي الناس للبحث عني.."

"لن يجدوك أبداً."

يتنفس باري ببطء، مدعماً نفسه في مواجهة الذعر المتصاعد. يحتاج إلى إقناع هذا الرجل بإطلاق سراحه، بلا شيء غير الكلمات والمنطق.

يقول باري: "أنا لا أعرف من تكون. لا أعرف ما يدور حوله أي من هذا. لكن لو أطلقت سراحني الآن، لن تسمع بي مرة أخرى أبداً. أقسم لك."

ينزلق الرجل هابطاً من فوق المقعد ويتحرك عبر الحجرة إلى البوابة الحاسوبية. يقف أمام شاشة ضخمة وينقر على لوحة مفاتيح. بعد لحظة، يسمع باري الجهاز الملتصق برأسه، أيا كان، يبدأ في إصدار طنين قابل للإدراك بالكاد، مثل أجنحة بعوضة.

"ما هذا؟" يسأل باري مرة أخرى، ومعدل نبضات قلبه يصل إلى درجة عالية، والخوف يسد أي تفكير أفضل لديه. "ماذا تريد بي؟"

"أريدك أن تحكي لي عن آخر مرة رأيت فيها ابنتك حية."

في ثورة غضب نقية وعمياء، يتصلب باري رغم الأحزمة الجلدية، مناضلاً بكل ما لديه كي يفك رأسه مما يمسك بها في مكانها أيا كان. يصدر الجلد صريراً. لا تتزحزح رأسه. تتجمع حبات العرق على وجهه وتسيل هابطة داخل عينيه بحرقان ملحي يعجز عن مسحه.

يقول باري: "سأقتلك.."

مكتبة
t.me/t_pdf

يميل الرجل إلى الأمام، على مبعدة بوصات، وفي عينيه برودة لهب أزرق. يشم باري رائحة الكولونيا الغالية التي يضعها، والمرارة المحمصة للقهوة في أنفاسه.

يقول الرجل: "أنا لا أحاول السخرية منك، أنا أحاول مساعدتك."
"اللعة عليك."

"أنت جئت إلى فندقي أنا."

"نعم، وأنا واثق أنك أخبرت جو بيهрман بالضبط بما يقوله كي يوقع بي هنا."

"أقول لك شيئاً - دعنا نقوم بهذا الاختيار بشكل مباشر قدر المستطاع. أنت تجيب بصدق عندما أسأل سؤالاً، أو ستموت حيث تجلس."

محبوساً في مقعده، لا يملك باري أي اختيار غير مسابرة في اللعبة، كي يبقى حياً حتى يرى مخرجاً، فرصة، مهما كانت صغيرة، للتحرر.
"طيب."

يرفع الرجل رأسه إلى السقف ويقول: "أيها الحاسوب، ابدأ الجلسة."

يرد صوت أنثوي آلي: جلسة جديدة تبدأ الآن.

ينظر الرجل في عيني باري.

"والآن، احك لي عن آخر مرة رأيت فيها ابنتك حية، ولا تترك تفصيلة واحدة."

هيلينا

29 مارس 2009 – 20 يونيو 2009

اليوم 515

واقفة في دهليز قاعة التحميل الغربية بالمبنى العلوي، تغلق هيلينا سحّاب سترتها الواقية من الطقس السيء، مفكرة في أن الرياح تبدو كشبح له صوت عميق، يزأر في الجانب الآخر من الباب. طوال الصباح، وهي تهب بسرعة ثمانين ميلا في الساعة - وهي سرعة قوية بما يكفي لأن تُطير شخصا بحجمها من فوق المنصة.

بعد أن تسحب الباب لتفتحه، تحديق في عالم مغبش من مطر يهب مائلا وتربط الحلقة الموجودة في أحزمة ظهرها بالحبل القوي الممدود عبر المنصة. ورغم توقعها لقوة الريح، إلا أنها غير مستعدة للهبوب الحاد الذي يكاد يقتلعها من وقفاتها. تميل على الحبل، محتضنة نفسها، وتحرك خارجا.

المنصة متسرבלة بالرمادي، وكل ما يمكنها سماعه هو جنون الريح المعربد وإبر المطر تصفع غطاء رأس سترتها مثل محمل الكريات.⁽¹⁾

يستغرق الأمر منها عشر دقائق لعبور المنصة، في سلسلة من الخطوات المقطوعة بشق الأنفس في مواجهة فقد مستمر للتوازن. وأخيرا تصل إلى بقعتها المفضلة على المنصة - الزاوية الشمالية الغربية - وتجلس معلقة ساقها على الجانب، مراقبة أمواجاً بارتفاع ستين قدما تتحطم على قواعد المنصة.

غادر آخر عضوين في فريق البنية التحتية بالأمس، قبل وصول العاصفة. لم يكتف زملاؤها بالاعتراض على توجيهات سليد الجديدة بـ "وضع الناس في حوض عزل وإيقاف قلوبهم". باستثناءها هي وسيرجي، استقالوا بشكل جماعي وطلبوا العودة إلى البر فوراً. كلما شعرت بالذنب بسبب البقاء، تفكر في أمها والآخرين من أمثالها، لكنه عزاء صغير.

علاوة على ذلك، هي متأكدة تماماً من أن سليد لن يسمح لها بالمغادرة بغض النظر عن ذلك.

كان جي-وون قد طار إلى البر ليجد أفراداً من أجل الفريق الطبي ومهندسين جدد لبنوا حوض العزل، تاركاً هيلينا وحيدة على المنصة مع سليد والطاقم الأساسي.

هنا على المنصة في الخارج، يبدو الأمر وكأن العالم يصرخ في أذنها. ترفع وجهها إلى السماء، وترد الصرخة.

(1) محمل الكرة هو نوع من محامل العناصر المتدرجة التي تستخدم الكرات للحفاظ على الفصل بين سباقات المحامل. الغرض من الكرات هو تقليل الاحتكاك الدوراني ودعم الأحمال نصف القطرية والمحورية.

شخص ما يطرق بابها. تتحسس طريقها في الظلام، تضيء المصباح وتهبط من الفراش مرتدية بنطلون بيجاما وفانلة سوداء بدون أكمام. يخبرها المنبه الموضوع على مكتبها أن الساعة 9:50 صباحاً.

نتنقل إلى حجرة المعيشة وتتجه نحو الباب، ضاغطة على الزر الموجود على الحائط ليرفع الستائر المعتمدة.

سليد واقف في الممر مرتدياً بنطالاً من الجينز وفانلة بغطاء رأس - أول مرة تقع عيناها عليه منذ أسابيع.

يقول: "اللعنة، أيقظتك".

تنظر إليه بعينين نصف مغمضتين تحت وهج ألواح الضوء في السقف.

يسألها: "هل تمنعين في دخولي؟"

"هل لديّ اختيار؟"

"من فضلك يا هيلينا."

تراجع خطوة وتسمح له بالدخول، وتسير وراءه في المدخل القصير، إلى جوار حجرة التواليت، وإلى مساحة المعيشة الأساسية.

تسأله: "ماذا تريد؟"

يتخذ مجلسه على مسند مقعد ضخم، إلى جوار النوافذ التي تطل على عالم من بحر لانهائي.

يقول: "يخبرونني أنك لا تأكلين ولا تمارسين الرياضة. أنك لم تتحدثي مع أحد أو تخرجي منذ أيام."

"لماذا لا تدعني أكلّم والدي؟ لماذا لا تدعني أرحل؟"

"أنت لست بخير يا هيلينا. لست في حالة ذهنية تسمح بحماية سرية هذا المكان."

"قلت لك إني أريد الخروج. أمي في مركز رعاية. لا أعرف كيف حالها. أبي لم يسمع صوتي منذ شهر. أنا متأكدة أنه قلق..."

"أعلم أنك لا يمكنك فهم هذا الآن، لكني أنقذك من نفسك."

"آه، عليك اللعنة."

"تراجعت لأنك رفضت الاتجاه الذي كنت آخذ هذا المشروع إليه. وكل ما كنت أفعله هو أن أعطيك الوقت لتعيدي التفكير قبل أن تلقي بكل شيء بعيدا."

"كان مشروعني أنا."

"هو مالي أنا."

ترتعد يداها. من الخوف. من الغضب.

تقول: "لا أريد أن أفعل هذا بعد الآن. لقد دمرت حلمي. لقد منعني من محاولة مساعدة أمي والآخرين. أريد العودة إلى البيت. هل ستستمر في إبقائي هنا ضد رغبتي؟"

"بالطبع لا."

"إذاً يمكنني المغادرة؟"

"هل تذكرين ما سألتك إياه في أول يوم وصلت فيه إلى هنا؟"

تهز رأسها، والدموع تطفر من عينيها.

"سألتك إن كنت تريدين تغيير العالم معي. نحن واقفون على أكتاف كل ما أنجزتيه من عمل رائع، ولقد جئت هنا هذا الصباح لأخبرك أننا كدنا نصل. انسي كل ما حدث في الماضي. هيا نجتاز خط النهاية معا."

تحقق فيه من وراء منضدة القهوة، والدموع تنسال على وجنتيها.

يسألها: "بم تشعرين؟ أخبريني."

"كانك سرقت هذا الشيء مني."

"لا يمكن أن يوجد شيء أبعد عن الحقيقة من هذا. لقد تدخلت عندما لوّحت لي رؤيتك. هذا هو ما يفعله الشركاء. اليوم أكبر أيام حياتي وحياتك. إنه كل ما كنا نعمل في اتجاهه. لهذا جئت هنا. حوض العزل جاهز. وجرى تعديل جهاز إعادة التنشيط ليعمل بداخله. وسنجري اختبارا جديدا خلال عشر دقائق، وهذا هو الاختبار الكبير."

"من هو موضوع الاختبار؟"

"لا يهم."

"يهم بالنسبة لي."

"مجرد شخص ينال عشرين ألف دولار في الأسبوع ليقدم تضحية كبرى من أجل العلم."

"وهل أخبرته إلى أي حد هذا البحث خطير؟"

"هو على وعي تام بالمخاطر. انظري، إذا كنت تريدين العودة إلى البيت، احزمي حقائبك وكوني عند مهبط الطائرات عند الظهر."

"وماذا عن عقدي؟"

"لقد وعدتيني بثلاث سنوات. ستخرقين العقد. ستخسرين تعويضاتك وأرباح المشاركة وكل شيء. كنت تعرفين بالقواعد الأساسية السارية. لكن إن أردت أن تنتهي ما بدأت، انزلي معي إلى المعمل الآن فوراً. سيكون يوماً لسجلات الأرقام القياسية."

باري

6 نوفمبر 2018

مربوطا إلى مقعد في كابوس حي، يقول باري: "كان يوم الخامس والعشرين من أكتوبر. منذ أحد عشر عاما."

يسأل الرجل: "ما هو أول شيء تتذكره عندما تفكر فيه؟ أقوى صورة أو إحساس؟"

باري عالق في أغرب تجاور للمشاعر. يريد أن يكسر هذا الرجل نصفين، لكن تذكر ميجان في تلك الليلة يكاد أن يكسره.

يجيب بصوت رتيب: "العثور على جثتها."

"آسف إذا لم أكن واضحا. ليس بعد رحيلها. قبله."

"آخر مرة تحدثت إليها."

"هذا هو ما أريدك أن تتحدث عنه."

يحدث باري عبر الحجرة، وهو يصر على أسنانه.

"من فضلك استمر أيها المحقق ساتون."

"أنا جالس في مقعدي في حجرة المعيشة بيتي، أشاهد نهائيات كأس العالم للبيسبول."

"هل تتذكر من كان يلعب؟"

"ريد سوكرس وروكيز. الشوط الثاني. كان الريد سوكرس قد فازوا بالشوط الأول. وسيكسبون النهائي للمرة الرابعة على التوالي."

"من كنت تشجع؟"

"لم أكن مهتما في الحقيقة. أظن أنني أردت أن أرى الروكيز يتعادلون، لتبقى مباراة النهائي ممتعة. لماذا تفعل هذا بي؟ ما الغرض الذي...؟"

"إذا أنت تجلس في مقعدك..."

"وربما أشرب زجاجة من البيرة."

"هل كانت جوليا تتفرج معك؟"

يا يسوع. هو يعرف اسمها.

"لا. أعتقد أنها كانت تشاهد التلفاز في حجرة نومنا. كنا قد تناولنا العشاء بالفعل."

"كأسرة؟"

"لا أذكر. ربما." يشعر باري فجأة بضغط في صدره، حدته ساحقة تقريبا. يقول: "لم أتحدث عن تلك الليلة طوال سنوات."

يكتفي الرجل بالجلوس على مقعده، يتخلل لحيته بأصابعه ويتفحص باري بمرود، منتظرا منه أن يكمل.

"أرى ميجان تأتي من الرواق. لا أذكر بشكل مؤكد ما كانت ترتديه، لكن لسبب ما أراها في ذلك البنطال من الجينز وسويتر بلون التركواز كانت ترتديه دائما".

"كم عمر ابنتك؟"

"أقل بعشرة أيام من السادسة عشرة. وتقف أمام منضدة القهوة - أعرف أن هذا حدث بالتأكيد - وهي واقفة ما بيني وبين التلفاز واضعة يديها على وركيها وعلى وجهها تلك النظرة شبه القاسية".
تتجمع الدموع عند حواف عينيه.

يقول الرجل: "ما زال الأمر مؤثرا على نحو لا يصدق بالنسبة لك، هذا جيد."

"من فضلك.. يقول باري. "لا تجعلني أفعل هذا."

"استمر."

يأخذ باري نفسا، باحثا كالأعمى عما يمسك به لتحقيق التوازن العاطفي.

يقول أخيرا: "كانت المرة الأخيرة التي سأنظر خلالها في عيني ابنتي. ولم أعرف ذلك. ظللت أحاول النظر حولها كي أرى التلفاز."

لا يريد أن يبكي أمام هذا الرجل. يا يسوع، أي شيء إلا هذا.

"استمر."

"سألت إن كان بإمكانها الذهاب إلى دي كيو⁽¹⁾. كانت عادة تذهب إلى هناك ليلتين أو ثلاث كل أسبوع كي تقوم بواجباتها المدرسية، وتتسكع مع أصدقائها. مضيت في الاستجابات العادية. هل قالت أمك أنها موافقة؟ لا، كانت قد جاءت إليّ بدلا من ذلك. هل انتهيت

(1) سلسلة مطاعم ديري كوين التي تُختصر عادة إلى DQ.

من واجباتك؟ لا، لكن جزءاً من أسباب رغبتها في الذهاب هو أن تقابل ميندي، شريكها في العمل بمادة البيولوجيا، لتناقشا مشروعاً كانتا تعملان عليه. ومن أيضاً سيكون هناك؟ قائمة من الأسماء، كنت أعرف أغلبها. أتذكر أنني نظرت في ساعتى - كانت الثامنة والنصف وما زالت المباراة في أشواطها الأولى - وأخبرتها أنها تستطيع الذهاب، لكنى أريدها في البيت في وقت لا يزيد عن العاشرة. جادلت لتجعلها الحادية عشر. قلت 'لا، إنها عشية يوم دراسي، وأنت تعرفين موعد حظر التجول' وبعد ذلك كفت عن الجدال وتوجهت إلى الباب.

أذكر أنني ناديتها قبل أن تغادر بالضبط، وأخبرتها أنني أحبها.

تطفر الدموع، جسده يرتج من التأثر، لكن الأحزمة تربطه بإحكام إلى المقعد.

يقول باري: "الحقيقة أنا لا أعرف إن كنت قد ناديتها. أعتقد ربما أنني لم أفعل، أنني عدت ببساطة لمشاهدة المباراة ولم أفكر فيها مرة أخرى حتى جاءت الساعة العاشرة مساءً وذهبت، وتساءلت لماذا لم تعد إلى البيت بعد."

يقول الرجل: "أيها الحاسوب، أوقف الجلسة." وبعد ذلك: "أشكر يا باري."

يميل إلى الأمام ويمسح الدموع عن وجه باري بظهر يده.

"ماذا كان الهدف من كل هذا؟" يسأل باري مكسوراً. "كان هذا أسوأ من أي تعذيب جسدي."

"سأريك."

ينقر الرجل زراً في العربة الطبية.

يلمح باري أنبوبة في ذراعه بينما يندفع تيار من سائل شفاف في وريده.

هيلينا

20 يونيو 2009

اليوم 598

الرجل نحيل وطويل، وذراعااه الرفيعان مخططان بمسارات الإبر. على كتفه الأيسر وشم باسم ميراندا، يبدو جديدا - مازال أحمر وملتهبا. يرتدي خوذة فضية توافقه بشكل مريح كأنها قلنسوة ضيقة، غير أنها أكثر سُمكا بعض الشيء، وثمره جهاز ثان في حجم مسّاحة سبورة بيضاء قد تُبت في ساعده الأيسر. غير ذلك فهو يقف عاريا أمام هيكل أبيض قشري أشبه ببيضة. وثمره رجل وامرأة ينتظران على جانبي عربة أدوات الإنعاش.

هيلينا تراقب كل هذا عبر زجاج أحادي الرؤية من مقعد عند وحدة التحكم الرئيسية في غرفة التحكم المتاخمة، بين ماركوس سليلد

ود. بول ويلسون؛ مدير المشروع للفريق الطبي. إلى يسار سليد يجلس سيرجي، العضو الوحيد من الطاقم الأصلي الذي بقي.

شخص ما يلمس كتفها. تنظر خلفها إلى جي-وون الذي تسلل للتو إلى غرفة التحكم ليتخذ مقعده وراءها.

يميل إلى الأمام ويهمس في أذنها: "أنا سعيد فعلا لأنك قررت أن تنضمي إلينا من أجل هذا. لم يكن المعمل هو نفسه بدونك."

يلقي سليد نظرة في اتجاه سيرجي، الذي يفحص شاشة تعرض صورة عالية الدقة لجمجمة موضوع الاختبار.

يسأل سليد: "كيف تبدو إحداثيات إعادة التنشيط هذه؟"
"مغلقة ومُحمّلة."

يلتفت سليد إلى الطبيب. "بول؟"

"جاهزون عندما تكون مستعدا."

ينقر سليد زرا في السماعة التي يرتديها ويقول: "ريد، نحن جميعا مستعدون لهدفنا. لم لا نتقدم وتدخل؟"

للحظة، لا يتحرك الرجل النحيل. فقط يقف هناك مرتعشا، يحدق في الحوض عبر بابه المفتوح. تضيء الأضواء على بشرته صبغة مزرقّة، باستثناء ندوب الإبر، التي تتوهج بالحمرة في مقابل شحوبه المرضي.

"ريد؟ هل يمكنك أن تسمعني؟"

"نعم." يأتي صوت الرجل عبر أربع سماعات موضوعة في أركان غرفة التحكم.

"مستعد للقيام بهذا؟"

"إنه فقط... ماذا لو شعرت بالألم؟ أنا لست متأكدا تماما مما أتريّفه."

يحدق نحو الزجاج أحادي الرؤية - منهكا ومهزولا، وضلوعه بارزة عبر جلده الشاحب.

يقول سليد: "يمكنك توقع ما تحدثنا عنه، د. ويلسون يجلس هنا بجانبني. أتريد أن تقول شيئا يا بول؟"

يرتدي الرجل ذو الشعر الفضي المموج سماعته: "ريد، أمامي كل إشاراتك الحيوية، التي سأظل أراقبها طوال الوقت، ولدي خطة طوارئ كاملة إذا رأيت أنك في أزمة."

يقول سليد: "لا تنس المكافأة التي سأدفعها لك إذا نجح اختبار اليوم."

يركز ريد تحديقته الجوفاء مرة أخرى على الحوض.

"طيب.." يقول، مشجعا نفسه. "طيب، دعونا نقم بهذا." يمسك بالمقابض على جانبي حوض العزل ويصعد مهتزا إلى داخله، وصوت طرشة الماء مسموع عبر السماعات.

يقول سليد: "ريد، أعلمنا عندما تستقر على نحو مريح بالداخل."

بعد لحظة، يقول الرجل: "أنا أطفو."

"لو كل شيء على ما يرام بالنسبة لك، سأتابع الإجراءات وأغلق الباب الآن."

تمر عشر ثوان ثقيلة.

"هل الأمر على ما يرام معك يا ريد؟"

"نعم، على ما يرام."

يضغط سليد أمرا على لوحة المفاتيح. يهبط الباب في ببطء إلى مكانه، وينغلق بسلاسة.

"ريد، نحن مستعدون لإطفاء الأنوار والبدء. كيف تشعر؟"

"أعتقد أنني جاهز."

"هل تذكر كل شيء ناقشناه أنا وأنت هذا الصباح؟"

"أظن هذا."

"أحتاج منك أن تكون واثقا."

"أنا واثق."

"جيد. سيكون كل شيء بخير. عندما تراني بعد ذلك، أخبرني أن اسم أمي هو سوزان. بهذه الطريقة سأعرف."

يقلل سليد الإضاءة. ثمة شاشة كانت في حالة سبات سابقا تتوهج عائدة إلى الحياة، لتعرض بثا حيا من كاميرا رؤية ليلية تطل من سقف الحوض مباشرة على ريد. تُظهره يطفو على ظهره في الماء شديد الملوحة. يضغط سليد على عداد وقت على الشاشة الأساسية، ويضبطه على خمس دقائق.

"ريد، هذا هو آخر ما ستسمعه مني. سنمنحك بضع دقائق لتسترخي وتمركز نفسك. وبعد ذلك سنكون قيد التنفيذ."

"فهمت."

"بالتوفيق. ستصنع التاريخ اليوم."

يبدأ سليد العد التنازلي وينزع سماعته.

تسأل هيلينا: "أي نوع من الذكريات ستقوم بإعادة تنشيطه."

"هل لاحظتِ الوشم على كتفه الأيسر؟"

"نعم."

"رسمناه صباح أمس. وفي الليلة الماضية رسمنا خريطة ذكرى الحدث."

"ولماذا وشم؟"

"بسبب الألم. أردت خبرة مشفرة قوية حديثة."

"وهل مدمن هيروين هو أفضل ما أمكنك العثور عليه من أجل أن يكون موضوع اختبار؟"

لا يرد سليد. إن تحوله مدهش. فهو يدفع هذا المشروع أبعد مما كانت مستعدة للمُضي نحوه على الإطلاق. لم تتخيل قط أنها ستقابل شخصا أكثر دافعية وعزما منها هي نفسها.

تسأل: "هل يعرف حتى ما يورط نفسه فيه؟"

"نعم."

ترقب هيلينا الوقت وهو يتقلص. الثواني والدقائق تنسل مبتعدة.

تنظر إلى سليد وتقول: "هذا يتجاوز بكثير حدود الاختبار العلمي المسؤول."

"أتفق معك."

"وأنت فقط لا تهتم؟"

"إن نوعية التقدم الذي أبحث عنه اليوم لا تحدث في الطرف الضحل من حمام السباحة."

تفحص هيلينا الشاشة التي تُظهر ريد طافيا دون حراك في الحوض.

"إذاً أنت على استعداد للمخاطرة بحياة هذا الرجل؟" تسأل.

"نعم. لكنه هو أيضا كذلك. هو يفهم الوضع الذي هو فيه. وأعتقد أن هذه بطولة. علاوة على ذلك، عندما ننتهي سيذهب لإعادة التأهيل في عيادة فاخرة. وإذا نجح هذا سنشرب أنا وأنت الشمبانيا في شفتك..." يلقي نظرة في ساعته الرولكس. "خلال عشر دقائق."

"عم تتحدث؟"

"سترين."

يجلسون جميعا في صمت متوتر طوال الدقيقتين الأخيرتين، وعندما يصدق عداد الوقت، يقول سليد: "بول؟"

"مستعد."

يصدق سليد بطول وحدة التحكم نحو الرجل المسؤول عن المحفزات. "سيرجي؟"

"جاهز عندما تقول."

"الإنعاش؟"

"البدالات مشحونة، على أهبة الاستعداد."

ينظر سليد إلى بول ويومئ برأسه.

يزفر الطبيب، ويضغط مفتاحا وهو يقول: "جرعة واحد ملليجرام من (روكورونيوم)، إطلاق."

تسأل هيلينا: "ما هذا؟"

يقول د. ويلسون: "عامل حجب عصبي عضلي.."

يقول سليد: "أيا كان ما سيحدث، لا يمكننا تركه يتخبط من حوله هناك، مدمرا هذه السماعة."

"أيعرف أنه سيتعرض لشلل مؤقت؟"

"بالطبع."

"وكيف تُعطى له هذه العقاقير؟"

"من خلال قسطرة وريدية لاسلكية مزروعة في ساعده الأيسر. إنها بالأساس مجرد نسخة من كوكتيل حقنة الموت، دون المُسكِّن."

يقول الطبيب: "جرعة 2.2 ميلليجرام من ثيوبنتال الصوديوم، إطلاق."

تقسم هيلينا انتباهها بين بث الرؤية الليلية من داخل الحوض، والشاشة التي يفحصها الطبيب، والتي تبين معدل نبض ريد وضغط دمه ورسم قلبه، ودسته من القياسات الأخرى.

يقول د. ويلسون: "ضغط الدم ينخفض، معدل نبضات القلب ينزل إلى خمسين نبضة في الدقيقة."

تسأل هيلينا: "هل يتألم؟"

يقول سليد: "لا."

"كيف يمكنك التأكد؟"

"خمس وعشرون نبضة في الدقيقة."

تميل هيلينا مقتربة من الشاشة، مراقبة وجه ريد في درجات اللون الأخضر للرؤية الليلية. عيناه مغلقتان، ولا يُظهر أي علامات ألم مرئية. في الحقيقة يبدو نائما في سلام.

"عشر نبضات في الدقيقة. ضغط الدم: ثلاثون على خمسين."

فجأة تمتلئ غرفة التحكم بنغمة الخط المستطيل المستمرة - نغمة الموت.

يُسكتها الطبيب ويقول: "وقت الموت: 10:13 صباحا."

لا يبدو على ريد أي اختلاف في الحوض، مازال يطفو في الماء المالح.

تسأل هيلينا: "متى ستنفضه؟"

لا يجيب سليد.

يقول سيرجي: "نستعد.."

ظهرت نافذة جديدة على شاشة الطبيب الأساسية. الوقت منذ موت القلب: 15 ثانية.

عندما تمر دقيقة، يقول الطبيب: "تم الكشف عن إطلاق ثنائي ميثيل التريبتامين."

يقول سليد: "سيرجي.."

"بدء برنامج إعادة تنشيط الذاكرة. إطلاق المحفزات..."

يستمر الطبيب في قراءة مستويات الإشارات الحيوية المختلفة، وقد انضمت إليها الآن بالأساس مستويات الأكسجين الدماغى والنشاط. سيرجي أيضا يقدم تحديثا كل عشر ثوان أو ما شابه، لكن بالنسبة لهيلينا تخفت ضجة أصواتهم شيئا فشيئا. لا يمكنها أن تبعد عينيها عن الرجل في الحوض، متسائلة عما يراه ويحسه. متسائلة إن كانت مستعدة للموت لتختبر القوة الكاملة لاختراعها.

عند إشارة الدقيقة الثانية وثلاثين ثانية، يقول سيرجي: "اكتمل برنامج الذاكرة."

يقول سليد: "شغله مرة أخرى.."

ينظر سيرجي إليه.

يقول الطبيب: "ماركوس، عند الدقيقة الخامسة تكون فرص إعادته معدومة عمليا. الخلايا في مخه تموت بشكل متسارع." "تحدثنا أنا وريد عن الأمر هذا الصباح، هو مستعد لمواجهة هذا."

تقول هيلينا: "أخرجوه."

يقول سيرجي: "لست مرتاحا لهذا أيضا.."

"من فضلكم، فقط ثقوا بي. شغل البرنامج مرة أخرى."

يتنهد سيرجي وينقر شيئاً بسرعة. "بدء برنامج إعادة تنشيط الذاكرة. إطلاق المحفزات."

بينما تحملق هيلينا في سليلد يقول: "اجتذب جي-وون هذا الرجل من غرزة مخدرات في واحد من أسوأ الأحياء في سان فرانسيسكو. كان فاقدا الوعي، والإبرة مازالت متدلّية من ذراعه. كان من المحتمل أن يغدو ميتا الآن لو لم..."

تقول: "هذا ليس مبررا لذلك.."

"أتفهم بم شعرتم حيال هذا. لكنني سأطلب مرة أخرى، منكم جميعا، من فضلكم فقط ثقوا بي قليلا من الوقت. سيكون ريد بخير تماما."

يقول د. ويلسون: "ماركوس، إذا كانت لديك أي نية في إعادة إحياء مستر كينج، فأقترح أن تخبر أطبائي بإخراجه من الحجرة فورا. حتى لو جعلنا قلبه يبدأ النبض من جديد، إذا كانت وظائفه المعرفية ضاعت، لن يكون ذا جدوي بالنسبة لك."

"لن نخرجه من الحوض."

ينهض سيرجي ويتوجه نحو باب الخروج.

تغادر هيلينا مقعدها، وتسير خلفه مباشرة. يقول سليلد: "الباب موصد من الخارج. وحتى لو خرجتما عبره، فريق الأمن الخاص بي ينتظر في القاعة. آسف. كان لدي إحساس أنكما ستفقدان أعصابكما عندما نصل إلى هذه اللحظة."

يقول الطبيب في ميكروفونه: "دانا، آرون، أخرجنا مستر كينج من الحوض وابدأ الإنعاش فورا."

تحقق هيلينا عبر الحائط الزجاجي. الطبيبان الواقفان إلى جوار عربة الإنعاش لا يتحركان.

يقول سليد: "لا يمكنهما سماعك، لقد أسكتُ نظام الاتصال الداخلي في قاعة الاختبار مباشرة بعد أن بدأت سلسلة العقاقير."

ينقض سيرجي على الباب، ويضرب المعدن بكتفه.

"أتريدون تغيير العالم؟" يسأل سليد. "هذا ما يتطلبه الأمر. هذا هو ما يبدو عليه. لحظات من العزم الفولاذي الثابت."

في بث الرؤية الليلية من داخل الحوض، لا يحرك ريد عضلة واحدة.

الماء ساكن تمامًا.

تنظر هيلينا إلى شاشة الطبيب. الوقت منذ موت القلب: 304 ثانية.

تقول لد. ويلسون: "لقد تجاوزنا علامة الخمس دقائق، هل هناك أمل؟"

"لا أعرف."

تندفع هيلينا إلى مقعد فارغ وترفعه عن الأرض، يدرك جي-وون وسليد ما ستفعله متأخرين نصف ثانية، فيندفع كلاهما من مقعديهما ليوقفاهما.

ترفع المقعد إلى وراء كتفها وتقذفه نحو النافذة أحادية الرؤية.

لكنه لا يصل أبداً إلى الزجاج.

باري

6 نوفمبر 2018

عيناه مفتوحتان، لكنه لا يرى شيئاً. لقد ضاع إحساسه بالوقت. لعل سنوات قد مضت. أو ثوان. يرمش بعينه، لكن لا شيء يتغير. يتساءل: هل أنا ميت؟ يسحب نفسا، يتمدد صدره، ثم يطلقه. عندما يرفع ذراعه، يسمع ماء يتحرك ويشعر بشيء ينزلق على سطح جلده.

يدرك أنه يطفو على ظهره، دون مجهود، في بركة ماء بنفس درجة حرارة بشرته. عندما يكون بلا حراك، لا يمكنه الشعور بها، وحتى عندما تسكن حركته مرة أخرى، يدهشه إحساسه بأن جسده بلا بداية ولا نهاية.

لا... هناك إحساس واحد. شيء ما قد ثبت في ساعده الأيسر.

يمد يده اليمنى، ويلمس ما يبدو أشبه بكيس بلاستيكي صلب. عرضه بوصة، وطوله ربما أربع بوصات. يحاول أن يجذبه، لكنه إما جرى لصقه إلى جلده أو غرسه فيه.

"باري." إنه صوت الرجل إياه. الرجل الذي كان جالسا على المقعد الصغير جاعلا إياه يتكلم عن ميغان بينما كان باري مربوطا بذلك الكرسي.

"أين أنا؟ ماذا يحدث؟"

"أحتاج منك أن تهدأ. فقط تنفس."

"هل أنا ميت؟"

"وهل كنت سأطلب منك أن تتنفس لو كنت ميتا؟ لست ميتا، وسؤال أين تكون ليس مناسباً في هذه اللحظة."

يرفع باري يدا إلى أعلى مباشرة مخرجاً إياها من الماء، فتلمس أصابعه سطحاً على بعد قدمين من وجهه. يبحث عن مقبض، زر، أي شيء ليفتح أيا كان ما هو موضوع بداخله، لكن الجدران ملساء وبلا مفاصل.

يشعر بذبذبة خفيفة في الجهاز المثبت بساعده، يمد يده ليلمسه ثانية، لكن لا شيء يحدث. لم يعد ذراعه الأيمن يتحرك.

يحاول أن يرفع يسراه - لا شيء.

ثم ساقاه، رأسه، أصابعه.

لا يمكنه حتى أن يرمش، وعندما يحاول الكلام، ترفض شفتاه أن تنفجرا. "ما تشعر به الآن بسبب عامل مسبب للشلل.." يقول الرجل من مكان ما في الظلام أعلاه. "كان هذا هو الذبذبة التي شعرت بها للتو

- الجهاز وهو يحقن العقار. للأسف، نحتاج إلى أن نبقيك واعيا. لن أكذب عليك يا باري. اللحظات القليلة القادمة ستكون مزعجة جدا."

يبتلعه الرعب - أشد خوف عرفه في حياته. عيناه مفتوحتان منغلقتان، وهو مستمر في محاولة الحركة - ذراعا، ساقا، أصابعه، أي شيء - لكن لا شيء يستجيب. أحرق به أن يحاول التحكم في خصلة شعر واحدة. وكل هذا قبل أن يضربه الرعب الحقيقي: هو ليس قادرا على قبض حجاب الحاجز.

وهو ما يعني أنه لا يستطيع أن يأخذ نفسه.

تجتاحه دوامة من الذعر، وأخيرا الألم، كل شيء يتقطر في تصاعد تدريجي لاحتياج يائس لاستنشاق الأكسجين. لكنه محروم من الوصول إلى نقاط التحكم في جسده نفسه. لا يستطيع الصراخ أو التلويح أو التوسل للإبقاء على حياته، وهو مستعد لأن يفعل هذا وأكثر فقط لو أمكنه الكلام.

"لعلك أدركت قبل قليل أنك لم تعد تملك القدرة على التنفس. هذه ليست سادية يا باري. أعدك بهذا. سينتهي كل هذا بعد قليل." كل ما يمكنه فعله هو الرقاد في هذا الظلام التام، منصتا إلى صراخ عقله وتيار الأفكار المتدافعة بينما الصوت الوحيد هو الضربات الهادرة لقلبه وهو ينبض أسرع وأسرع.

يصدر الجهاز المثبت في ساعده دذبذة مرة أخرى.

والآن يسري ألم حارق في أوردته، وتستجيب كسّارة الصخور الهادرة تلك التي في قلبه على الفور لأي كان ما انفجر في مجرى دمه للتو.

تتباطأ.

تتباطأ.

تتباطأ.

وبعد ذلك لا يسمع أو يشعر بقلبه ينبض على الإطلاق.

ويصبح صمت المكان الذي هو فيه أيا كان صمتا تاما.

في هذه اللحظة، يعرف أن الدم لم يعد يدور في جسده.

لا يمكنني التنفس وقلبي توقف عن النبض. أنا ميت. ميت
إكلينيكيًا. إذاً كيف مازلت أفكر؟ كيف مازلت واعيا؟ لكم سيدوم
هذا؟ إلى أي درجة من السوء سيصل الألم؟ هل هذه حقًا نهايتي؟

"لقد أوقفت قلبك للتو يا باري. من فضلك اسمع. عليك أن تبقي
تركيزك خلال اللحظات القليلة التالية، وإلا سنفقدك. إذا نجحت في
العبور إلى الجانب الآخر، تذكر ما فعلته من أجلك. لا تجعل الأمر
يحدث هذه المرة. يمكنك تغييره."

تتفجر دفقات من الألوان في مخ باري المحروم من الأكسجين
والدم - استعراض أضواء من أجل رجل ميت، وكل ومضة ضوء أقرب
وأكثر سطوعا من سابقتها.

حتى يغدو كل ما يراه بياضا يعمي الأبصار لكنه يبدأ بالفعل
في الخفوت عبر ظلال من الرمادي مستحिला إلى اللون الأسود، وهو
يعرف ما يكمن في نهاية ذلك الطيف - العدم. لكن ربما يكون ذلك
نهاية للألم. لهذا التعطش الوحشي للهواء. هو مستعد لهذا. مستعد
لأي شيء يوقف هذا.

وعندئذ يشم شيئا. شيء غريب؛ لأنه يستدعي استجابة عاطفية لا
يستطيع تسميتها بدقة، لكنها تحمل وجع الحنين إلى الماضي. يستغرق
الأمر لحظة، لكنه يدرك أنها الرائحة التي اعتاد بيته أن يكون عليها
بعد أن ينتهي هو وجوليا وميجان من العشاء. بالتحديد رغيف لحم
جوليا وجزراتها وبطاطسها المحمرة. بعد ذلك يلتقط رائحة الخميرة

والشعر المنقوع. بيرة، لكنها ليست أي بيرة. (رولينج روكس) التي اعتاد أن يشربها من تلك الزجاجات الخضراء.

تنبثق روائح أخرى وتندمج في شذا أكثر تعقيدا من أي نبيذ. إنه شذا كان ليميزه في أي مكان - البيت في مدينة جيرسي الذي عاش فيه يوما مع زوجته السابقة وابنته الميثة.

رائحة البيت.

فجأة يتذوق البيرة والحضور الدائم في فمه للسجائر التي اعتاد تدخينها.

يطلق مخه صورة تخترق بياض العاصفة المميت - مشوشة وغائمة عند أطرافها، لكنها سرعان ما تنجلي بحدة في بؤرة التركيز. تلفاز. وعلى الشاشة، مباراة بيسبول. الصور في عين عقله واضحة كالرؤية، في تدرج رمادي أولا، لكن بعد ذلك تتدفق الألوان في كل شيء يراه.

ملعب فينواي بارك.

العشب الأخضر تحت وهج أضواء الاستاد.

ال جماهير المحتشدة.

اللاعبون.

الطين الأحمر لأكمة الرامي وكيرت شيلينج واقف هناك ويده في قفازه، يحدق في تود هيلتون عند موضع الضارب.

وكان الذكرى تُبنى أمامه. في البداية الأساس من الرائحة والمذاق. ثم السقالة من المرئيات. وبعد ذلك يأتي الغطاء من اللمس؛ حيث يحس، بالفعل يحس، بالنعومة الباردة للمقعد الجلدي الذي يجلس فيه، وقدماه مستندتان على مسند القدمين المفروود، ورأسه تلتفت، وثمة يد - يده - تمتد إلى زجاجة (رولينج روكس) المستقرة على طبق صغير مسطح فوق المنضدة إلى جوار مقعده.

عندما يلمس الزجاجاة، يمكنه الشعور بالبلل البارد المتكثف على الزجاج الأخضر، وعندما يضعها على شفثيه ويميلها إلى الورا، يجتاحه الطعم والرائحة بقوة الأمر الواقع. ليست مجرد ذكرى، بل واقعة تحدث الآن.

وهو واع تماما، ليس فقط بالذكرى ذاتها، بل بمنظوره للذكرى. إنه لا يشبه أي تذكُر مر به من قبل، لأنه حاضر فيه، يطل عبر عيني ذاته الأصغر سنا ويشاهد فيلم حياته القديمة يتكشف أمامه كمراقب منخرط تماما.

يصبح ألم الاحتضار نجما خافتا ونائيا، ويبدأ هو الآن في سماع الأصوات، فقط كضربات فرشاة في البداية، مكتومة وغير واضحة، لكنها تكتسب ببطء علوًا ووضوحًا، كما لو أن شخصا يدير القرص على مهل.

المذيعون في التلفاز.

هاتف يرن في بيتهم.

وقع أقدام تتحرك على الأرضية الخشبية الصلبة للرواق.

وبعد ذلك ميجان واقفة أمامه. يرفع عينيه محدقا في وجهها، وفمها يتحرك، ويسمع صوتها - خافتا للغاية، نائيا للغاية حتى أنه لا يميز أي كلمات محددة، فقط يسمع تلك النبرة المألوفة التي كانت تخبو بهدوء في ذاكرته طوال أحد عشر عاما.

جميلة. حية. واقفة أمام التلفاز، تسد الشاشة، وحقيبة ظهرها معلقة على كتف واحد، بنطال من الجينز، وسويتز تركوازي اللون، وشعرها مشدود إلى الورا في ذيل حصان.

هذا أكثر حدة من المحتمل. أسوأ من عذاب الاختناق وفقدانه للتحكم في جسده؛ لأن هذه ليست ذكرى يستعيدها بمحض إرادته.

إنها بطريقة ما تُعرض من أجله، ضد إرادته، ويفكر أنه ربما يوجد سبب لبقاء ذكرياتنا ضبابية ومشوشة. ربما يعمل إبهامها كمخدر، مَصْدٌ يحمينا من عذابات الوقت وكل ما يسرق ويمحو.

يريد الخروج من هذه الذكرى، لكنه لا يستطيع المغادرة. كل حواسه منخرطة بالكامل. كل شيء واضح وحي كأنه موجود. فيما عدا أنه لا يستطيع التحكم في شيء. لا يمكنه أن يفعل شيئا غير التحديق عبر عينيّ ذاته الأصغر بأحد عشر عاما والاستماع إلى آخر محادثة أجراها على الإطلاق مع ابنته، شاعرا باهتزاز حنجرتة، وبعد ذلك بحركة فمه وشفتيه أثناء تشكيل الكلمات.

"هل تكلمت مع أمك في هذا؟" صوته لا يبدو غريبا على الإطلاق. يبدو بالضبط مثلما يكون عندما يتحدث.

"لا، جئت إليك."

"هل انتهيت من واجباتك؟"

"لا، لهذا أريد الذهاب."

يشعر باري بذاته الأصغر سنا تميل كي تنظر من وراء ميجان بينما يحصل تود هيلتون على جزء من الرمية التالية. يحرز عداء القاعدة الثالثة نقطة، لكنها تُحسب لهيلتون.

"بابا، أنت حتى لا تسمعني."

"أنا أسمعك."

والآن ينظر إليها مرة أخرى.

"ميندي هي شريكتي في المعمل، ولدينا هذا الشيء الذي يجب تسليمه يوم الأربعاء القادم."

"من أجل ماذا؟"

"البيولوجيا."

"من أيضا سيكون هناك؟"

"آه يا إلهي، أنا وميندي وربما جاكوب، وبالتأكيد كيفين وسارة."

والآن يشاهد نفسه وهو يرفع ذراعه الأيسر ويلقي نظرة على
ساعته - الساعة التي سيفقدها عندما ينتقل من هذا البيت بعد
عشرة أشهر من الآن في أعقاب موت ميجان وتحطم زواجه.

الساعة تجاوزت بالكاد الثامنة والنصف.

"إذاً هل يمكنني الذهاب؟"

قل لا.

يشاهد باري الأصغر سنا لاعب الروكيز التالي وهو يسير نحو
موضع الضارب.

قل لا.

"لن تتأخرى عن العاشرة؟"

"الحادية عشر."

"الحادية عشر لعطلات نهاية الأسبوع، أنتِ تعلمين هذا."

"العاشرة والنصف."

"طيب، انسي الموضوع."

"طيب، العاشرة والرربع."

"هل تمزحين معي هكذا؟"

"يستغرق الأمر عشر دقائق للسير حتى هناك. إلا إذا كنت تريد
أن توصلني بالسيارة." ياه! لقد كبت هذه اللحظة لأنها مؤلمة أكثر

مما يحتمل. لقد اقترحت عليه أن يوصلها بالسيارة، وهو رفض. لو قام بتوصيلها، لكانت حية مازالت.

نعم! وصلها بالسيارة! وصلها بالسيارة أيها الأحق!

"حبيبتي، أنا أشاهد المباراة."

"إذاً العاشرة والنصف؟"

يشعر بشفتيه تلتويان في ابتسامة، يتذكر تماماً ذلك الشعور المفقود منذ زمن بخسارته مساومة مع ابنته. الانزعاج، لكن أيضاً الفخر بأنه يربي امرأة ذات عزم، مصممة على أهدافها وتحارب من أجل ما تريد من أشياء. تذكر أمله في أن تحمل تلك النار معها في حياتها كبالغة.

"طيب." تنطلق ميجان نحو الباب. "لكن ولا دقيقة بعد ذلك. وعد؟"

أوقفها.

أوقفها!

"وعد يا بابا." كلماتها الأخيرة. الآن يتذكر. وعد يا بابا.

ذات باري الأصغر سنا تحقق الآن في التلفاز من جديد، تشاهد براد هوب يقذف كرة مباشرة أعلى المنتصف. يمكنه سماع وقع خطوات ميجان وهي تبتعد عنه، وهو يصرخ في داخله، لكن لا شيء يحدث. وكأنه يسكن جسدا لا يملك أي سيطرة عليه.

باري الأصغر سنا لا يراقب حتى ميجان وهي تتحرك نحو الباب. فقط يهتم بالمباراة، ولا يعرف أنه نظر للتو في عيني ابنته للمرة الأخيرة، أنه بمقدوره منع هذا من الحدوث بكلمة واحدة.

يسمع الباب الأمامي ينفتح وينغلق مصفوقا.

ثم ترحل، تسير بعيدا عن بيتها، عنه، إلى حتفها. وهو جالس على مقعد وثير يشاهد مباراة بيسبول.

لقد غادره ألم عدم قدرته على التنفس. وليس لديه إحساس بالطفو في الماء الدافئ أو بقلبه يسكن هاجعا في صدره. لا شيء يهم إلا هذه الذكرى الموجعة التي هو مجبر على تحملها لأسباب تتجاوز قدرته على الفهم، وحقيقة أن ابنته قد غادرت للتو بيته لآخر... يتحرك خنصره الأيسر.

أو بالأحرى، يعني أنه قد حركه. بالفعل كنتيجة لقصده.

يحاول مرة أخرى. تتحرك اليد بأكملها.

يفرد ذراعا، ثم الآخر.

يرمش بعينه. يأخذ نفسا.

يفتح فمه ويصدر صوتا أشبه بنخرة - صادرة من حلقه ولا معنى لها - لكنه فعلها.

ماذا يعني هذا؟ قبل هذا، كان يمر بالذكرى كمراقب يطالع ملفا للقراءة فقط. كأنه يشاهد فيلما. والآن يمكنه التحرك وإصدار الأصوات والتفاعل مع محيطه، ومع كل ثانية تمر، يشعر بتحكم أكبر في جسده.

يمد يده لأسفل، ويخفض مسند المقعد. ثم يقف، وينظر في أرجاء هذا البيت الذي عاش فيه منذ أكثر من عقد ويتعجب كم يبدو حقيقيا على نحو رائع.

يتحرك عبر حجرة المعيشة، ويقف أمام المرأة بجوار الباب الأمامي ويفحص انعكاسه في الزجاج. شعره أكثر كثافة وعاد إلى لونه الرملي، خاليا من الفضي، الذي كان طوال السنوات القليلة الماضية يطالب

بالمزيد والمزيد من المساحة كملكية خاصة به على رأسه الذي يخف شعره رويدا رويدا.

عظم فكه حاد. لا وجود للغد متدلٍ. لا أكياس منتفخة أسفل عينيه أو انتفاخات إدمان شرب الجين على جانب أنفه، ويدرك أنه ترك جسده يستحيل إلى نفاية تامة منذ موت ميجان.

ينظر إلى الباب. الباب الذي خرجت ابنته للتو منه.

ماذا يحدث بحق الجحيم؟ كان في فندق في مانهاتن، يُقتل في نوع ما من أحواض العزل.

هل هذا حقيقي؟

هل هذا يحدث؟

لا يمكن، ومع ذلك يبدو الأمر بالضبط مثل أن تعيشه.

لو لم يكن هذا حقيقيا، فهو تعذيب من أسوأ نوع ممكن. لكن ماذا لو أن ما قاله له الرجل حقيقي؟ أنا على وشك أن أمنحك أعظم هدية في حياتك. أعظم هدية يمكن لشخص أن يتمنى الحصول عليها على الإطلاق.

يعود باري بنهم إلى اللحظة الحاضرة. تلك أسئلة لوقت لاحق. هو الآن واقف في الشرفة الأمامية لمنزله، ينصت إلى حفيف أوراق شجرة البلوط في حديقته الأمامية وهي ترتعش في النسيم العليل الذي يحرك أيضا أرجوحة الحبال. بكل المظاهر، هذا هو، على نحو مستحيل، يوم 25 أكتوبر 2007؛ الليلة التي قُتلت فيها ابنته بعد أن صدمتها سيارة وفرت. لم تصل أبدا إلى (ديري كوين) لتلتقي أصدقاءها، وهو ما يعني أن هذه المأساة ستحدث خلال العشر دقائق التالية.

وهي قد انطلقت بالفعل منذ دقيقتين.

هو لا يرتدي حذاء، لكنه أهدر بالفعل ما يكفي من الوقت.

يسحب الباب الأمامي المؤدي إلى بيته ليغلقه، ويخطو هابطاً إلى الحديقة، وأوراق الشجر تتكسر تحت قدميه الحافيتين، وينطلق مبتعداً في جوف الليل.

هيلينا

20 يونيو 2009

اليوم 598

شخص ما يطرق بابها. تتحسس طريقها في الظلام، تضيء المصباح وتهبط من الفراش مرتدية بنطلون بيجاما وفانلة سوداء بدون أكمام. يخبرها المنبه الموضوع على مكتبها أن الساعة 9:50 صباحا.

وبينما تنتقل إلى حجرة المعيشة وتتجه نحو الباب، ضاغطة على الزر الموجود على الحائط ليرفع الستائر المعتمدة، يملكها إحساس قوي أنها عاشت هذا من قبل.

سليد واقف في الممر مرتديا بنطالا من الجينز وفانلة بغطاء رأس، ممسكا بزجاجة شامبانيا، وكأسين، وقرص فيديو رقمي. أول مرة تقع عينها عليه منذ أسابيع.

يقول: "اللعة، أيقظتك."

تنظر إليه بعينين نصف مغمضتين تحت وهج ألواح الضوء في السقف.

يسألها: "هل تمنعين في دخولي؟"

"هل لديّ اختيار؟"

"من فضلك يا هيلينا."

تراجع خطوة وتسمح له بالدخول، وتسير وراءه في المدخل القصير، إلى جوار حجرة التواليت، وإلى مساحة المعيشة الأساسية.

تسأله: "ماذا تريد؟"

يتخذ مجلسه على مسند مقعد ضخم، إلى جوار النوافذ التي تطل على عالم من بحر لانهائي.

يقول: "يخبرونني أنك لا تأكلين ولا تمارسين الرياضة. أنك لم تتحدثي مع أحد أو تخرجي منذ أيام."

"لماذا لا تدعني أكلم والديّ؟ لماذا لا تدعني أرحل؟"

"أنت لست بخير يا هيلينا. لست في حالة ذهنية تسمح بحماية سرية هذا المكان."

"قلت لك إني أريد الخروج. أمي في مركز رعاية. لا أعرف كيف حالها. أبي لم يسمع صوتي منذ شهر. أنا متأكدة أنه قلق.."

"أعلم أنك لا يمكنك فهم هذا الآن، لكنني أنقذك من نفسك."

"آه، عليك اللعة."

"تراجعتِ لأنك رفضتِ الاتجاه الذي كنت آخذ هذا المشروع إليه. وكل ما كنت أفعله هو أن أعطيك الوقت لتعبيدي التفكير قبل أن تلقي بكل شيء بعيدا."

"كان مشروعني أنا."

"هو مالي أنا."

ترتعد يداها. من الخوف. من الغضب.

تقول: "لا أريد أن أفعل هذا بعد الآن. لقد دمرت حلمي. لقد منعنتني من محاولة مساعدة أُمي والآخرين. أريد العودة إلى البيت. هل ستستمر في إبقائي هنا ضد رغبتي؟"

"بالطبع لا."

"إذاً يمكنني المغادرة؟"

"هل تذكرين ما سألتك إياه في أول يوم وصلت فيه إلى هنا؟"

تهز رأسها، والدموع تطفر من عينيها.

"سألتك إن كنت تريدِين تغيير العالم معي. نحن واقفون على أكتاف كل ما أنجزتيه من عمل رائع، ولقد جئت هنا هذا الصباح لأخبرك أننا قد فعلناها."

تحقق فيه من وراء منضدة القهوة، والدموع تنسال على وجنتيها.

"عم تتحدث؟"

"اليوم أكبر يوم في حياتي وحياتك. إنه كل شيء كنا نعمل في اتجاهه. لذا جئت إلى هنا لأحتفل معك."

يبدأ سليد في فك السلك المحيط بغطاء زجاجة (دومبيرينيون). وعندما ينتزعه، يلقي بالقفص السلكي على منضدة القهوة. ثم يقبض

على الزجاجاة بين ساقيه، ويفرقع السدادة بحرص. تراقبه هيلينا وهو يصب الشامبانيا في الكأسين، ويملاً بحرص كل كأس إلى حافته.

تقول: "لقد فقدت عقلك.."

"لا يمكننا شرب هذين الكأسين بعد. علينا الانتظار حتى..." ينظر إلى ساعته. "العاشرة والرابع، بعدها أو قبلها بقليل. وبينما ننتظر، أريد أن أريك شيئاً حدث بالأمس."

يتناول سليلد قرص الفيديو الرقمي من فوق منضدة القهوة إلى وحدة الترفيه. يضعه في المشغل ويرفع الصوت.

على الشاشة: رجل طويل نحيل لم تره أبداً من قبل يضطجع على مقعد الذاكرة. يميل جي-وون عليه، ويرسم وشماً بحروف - م ي ر ا ن - على كتفه الأيسر. يرفع الرجل النحيل ذراعه ويقول: "توقف."

سليلد يدخل في الكادر. "ما الأمر يا ريد؟"

"لقد عدت. أنا هنا. آه يا إلهي."

"عم تتحدث؟"

"نجحت التجربة."

"اثبت هذا لي."

"أمك اسمها سوزان. طلبت مني أن أخبرك بهذا قبل أن أدخل البيضة مباشرة."

على الشاشة، ابتسامة كبيرة ترتسم على وجه سليلد. يسأله: "متى فعلنا التجربة غدا؟"

"العاشرة صباحاً."

يطفي سليلد التلفاز وينظر إلى هيلينا.

تقول: "هل كان مفترضا بهذا أن يحمل أي معنى بالنسبة لي؟"

"أظن أننا سنعرف خلال دقيقة."

يجلسان في صمت محرج، وهيلينا ترقب فقاعات الشمبانيا وهي تفور.

تقول: "أريد العودة إلى البيت.."

"يمكنك المغادرة اليوم إذا أردت."

تنظر إلى ساعة الحائط - 10:10 صباحا. الجو هادئ جدا في شقتها، يمكنها سماع هسهسة الغاز وهو يفر من الكأسين. تحقق في البحر، مفكرة أنه أيا كان هذا الأمر، فقد انتهت منه. ستغادر المنصة، وأبحاثها، وكل شيء. فليصادر مالها وأرباح مشاركتها، لأنه لا حلم ولا طموح يستحقان ما فعله سليد بها. ستعود إلى الديار في كولورادو وتساعد في العناية بأمها. لم تستطع حفظ ذكرياتها المتلاشية أو إيقاف المرض، لكن على الأقل يمكنها أن تكون معها طوال ما تبقى لها من وقت مهما كان قدره.

تأتي العاشرة والربع وتذهب.

يظل سليد ينظر إلى ساعته، وبعض القلق يزحف الآن داخل عينيه.

تقول هيلينا: "انظر، أيا كان من المفترض بهذا أن يكون، أنا مستعدة بالنسبة لك للرحيل. متى يمكن للهليكوبتر أن تعيدني إلى كاليفورنيا؟"

يسيل الدم من أنف سليد.

والآن هي تشعر بطعم الصدا، وتذكر أن الدم يقطر أيضا من أنفها. ترفع يدها، وتحاول أن تمسك به في يدها، لكنه يتسرب عبر أصابعها وينزل على قميصها. تندفع إلى الحمام، وتسحب منشفتين من الدرج، وتضع واحدة على أنفها بينما تحمل الأخرى عائدة إلى سليد.

وبينما تناولها له، تشعر بوخز الألم خلف عينيها، كأسوأ صداع آيس كريم⁽¹⁾ أحست به في حياتها، ويمكنها أن ترى من منظر وجهه أن سليد يعاني من نفس الإحساس.

يتسهم الآن، والدم بين أسنانه. ينهض عن المسند، يمسح أنفه ويلقي بالمنشفة بعيدا.

يسألها: "هل تشعرين بقدموها؟"

في البداية، تظنه يتكلم عن الآلام، لكن الأمر ليس كذلك. تعي فجأة بذكرى جديدة تماما للنصف ساعة الأخيرة. ذكرى رمادية مسكونة بالأشباح. فيها، لم يأت سليد إلى هنا بزجاجة شمبانيا. بل دعاها إلى النزول إلى قاعة الاختبار معه. تتذكر الجلوس في غرفة التحكم ومشاهدة مدمن هيروين يصعد داخلا حوض العزل. أطلقوا ذكرى له وهو يحصل على وشم، وبعد ذلك قتلوه. كانت تحاول أن تلقي مقعدا عبر النافذة بين غرفة التحكم وقاعة الاختبار عندما، فجأة، وجدت نفسها هنا بدلا من ذلك - واقفة في شقتها بأنف دام وصداع قاتل.

تقول: "لا أفهم. ماذا حدث للتو؟"

يرفع سليد كأسه من الشمبانيا، ويقرعه بكأسها، ويأخذ رشفة طويلة. "هيلينا، أنت لم تبني فقط كرسيًا يساعد الناس على عيش ذكرياتهم من جديد. لقد صنعت شيئا يمكنه إعادتهم إلى الماضي."

(1) معروف أيضا بتجمد المخ، وهو نوبة صداع يعاني منها البعض عند تناولهم لطعام أو شراب بارد بسرعة، ويكون الألم عادة في الجبهة أو الصدغين، ولا يدوم عادة أكثر من خمس دقائق.

باري

25 أكتوبر 2007

تبدو نوافذ البيوت المجاورة وكأنها تومض بنور شاشات التلفاز في الداخل، ولا أحد في الخارج غير باري، الذي يعدو في منتصف الشارع الخالي والمغطى بالأوراق الساقطة من أشجار البلوط التي تصطف على جانب المربع السكني. يشعر أنه أقوى مما كان طوال سنين. لا ألم هناك في ركبته اليسرى نتيجة انزلاقه منهورة عبر القاعدة النهائية خلال مباراة سوفتبول في منتزه سنترال بارك لن تحدث طوال خمس سنوات أخرى. وهو أخف بكثير على قدميه، بثلاثين رطلاً على الأقل. على بعد نصف ميل، يرى وهج لافتات المطاعم والنزل الصغيرة، ومن بينها ديرري كوين. يتبين شيئاً ما في الجيب الأمامي الأيسر في بنطاله الجينز. يبطئ حركته إلى مشية سريعة، ويدخل يده في جيبه

ليخرج جهاز آيفون من الجيل الأول، حافظة شاسته صورة لميجان وهي تعبر خط النهاية في سباق اختراق ريفي.

يستغرق منه الأمر أربع محاولات لفتح قفله، وبعد ذلك يتصفح جهات الاتصال سريعا حتى يجد ميجان، يتصل بها بينما يبدأ الهرولة من جديد.

يرن هاتفها مرة واحدة.

بريد صوتي.

مكتبة
t.me/t_pdf

يتصل مرة أخرى.

بريد صوتي من جديد.

وهو يجري قاطعا الرصيف المكسور مارا بمجموعة من المباني القديمة التي ستحل محلها مساحة علوية ومقهى ومعمل تقطير في العقد القادم. لكن حاليا تلوح مظلمة ومهجورة.

على بُعد عدة مئات من الياردات، يرى خيال شخص يبرز من ظلام هذه المنطقة التي لم يمسه التطوير بعد، ويلج الحافة الخارجية جيدة الإضاءة لحي المال والأعمال.

سويتز بلون التركواز، ذيل حصان.

يهتف باسم ابنته. لا تنظر خلفها، وهو يعدو الآن، يركض بقوة كما لم يركض من قبل في حياته، صارخا باسمها ما بين شهقات الهواء، حتى وهو يتعجب...

هل ثمة شيء حقيقي في هذا؟ كم مرة تخيل أوها ما حول هذه اللحظة؟ أن يُمنح فرصة لمنع موتها...

"ميجان!" هي أمامه على مبعدة خمسين ياردة، وهو قريب بما يكفي كي يرى أنها تتحدث في هاتفها، غافلة.

تصرخ إطارات سيارة بحدة في مكان ما خلفه. يلقي نظرة خلفه على مصابيح أمامية تقترب بسرعة ويميز زمجرة محرك متسارع. المطعم الذي لم تصله ميجان أبدا يلوح على البُعد، في الجانب الآخر من الشارع، وهي الآن تخطو في الطريق لتعبّره.

"ميجان! ميجان! ميجان!"

بعد أن تقطع ثلاثة أقدام في الشارع، تتوقف وتنظر خلفها في اتجاه باري، والهاتف مازال على أذنها. هو قريب بما يكفي الآن كي يرى الحيرة الخالصة على وجهها، وضجة السيارة المقتربة في أعقابها مباشرة.

تمر إلى جواره كالبرق سيارة موستانج سوداء بسرعة ستين ميلا في الساعة، مندفعة كلمح البصر في منتصف الشارع وتتمايل في نهر الطريق.

وبعد ذلك تختفي في طريقها.

ميجان مازالت قرب الرصيف.

يصل باري إليها، منقطع الأنفاس، وساقاه مشتعلتان من العدو لنصف ميل.

تخفض هاتفها. "بابا؟ ماذا تفعل؟"

ينظر في الطريق يمنة ويسرة. هما الاثنان فقط واقفان في الضوء الأصفر لعمود نور تدلى مصباحه فوقهما، ليس هناك من سيارات قادمة، وثمرّة هدوء كاف لسماع أوراق الشجر الميتة وهي تحف بالرصيف.

هل كانت تلك الموستانج هي السيارة لتي صدمتها منذ أحد عشر عاما، وفي تلك الليلة، على نحو مستحيل، أيضا؟ هل منع هذا من الحدوث لتوّه؟

تقول ميجان: "أنت لا ترتدي حذاء."

يحتضنها بجنون، وهو مازال يلهث طلبا للهواء، لكن ثمة شهقات بكاء تختلط بلهائيه الآن، ولا يمكنه منعها. الأمر أكبر مما يحتمل. رائحتها. صوتها. حضورها التام.

سأله ميجان: "ماذا حدث؟ لماذا أنت هنا؟ لماذا تبكي؟"

"تلك السيارة... كانت سوف..."

"يا إلهي، بابا، أنا بخير."

إذا لم يكن هذا حقيقيا، فهو أقصى شيء يمكن لشخص أن يفعله به؛ لأن هذا لا يبدو مثل خبرة واقع افتراضي أو أي شيء آخر أخضعه له هذا الرجل. هذا يبدو حقيقيا. هذا حي. لا يمكنك أن تعود أدراجك من هذا.

ينظر إليها، يلمس وجهها، بكل حيويته وكماله في ضوء الشارع.

يسألها: "هل أنتِ حقيقية؟"

تسأله: "هل أنت سكران؟"

"لا، كنت..."

"ماذا؟"

"كنت قلقا عليك."

"لماذا؟"

"لأن، لأن هذا ما يفعله الآباء. يقلقون على بناتهم."

"طيب، ها أنا ذا." تبتسم غير مرتاحة، متسائلة بوضوح وعن حق حول قواه العقلية في هذه اللحظة. "بخير وأمان."

يتذكر الليلة التي وجدها فيها، ليس ببعيد عن المكان الواقفين فيه. كان قد اتصل بها طوال ساعة، وظل هاتفها يرن فقط قبل إحالته إلى البريد الصوتي. وبينما كان يسير في هذا الشارع رأى شاشة هاتفها المتشقة مضاءة حيث سقطت في منتصف الطريق. وبعد ذلك وجد جسدها، مكسورا وممددا في الظلال بعد الرصيف، وأثر الصدمة يشير إلى أنها انقذت مسافة كبيرة بعد خبطها بمركبة تسير بسرعة عالية.

إنها ذكرى لن تبارحه أبدا، لكنها الآن تملك سمة رمادية وشاحبة، بالضبط مثل الذكرى الزائفة التي أصابته في عربة الطعام تلك في مونتوك. هل قام بطريقة ما بتغيير ما حدث؟ لا يمكن لهذا أن يكون. تتطلع ميجان إليه للحظة طويلة. لم تعد منزعجة على الإطلاق. عطوفة. قلقة. يظل يمسح عينيه، محاولا ألا يبكي، وهي تبدو في الوقت ذاته مفزوعة ومتأثرة.

تقول: "لا بأس لو بكيت. أبو سارة يتأثر عاطفيا تجاه كل شيء."

"أنا فخور جدا بك."

"أعرف." وبعد ذلك: "بابا، أصدقائي ينتظرونني."

"طيب."

تسأله: "لكنني سأراك لاحقا؟"

"بالقطع."

"سنذهب إلى السينما ليلة عطلة نهاية الأسبوع؟ على موعدنا؟"

"نعم، بالطبع." لا يريد أن تذهب. يمكنه أن يحتضنها بين ذراعيه لأسبوع كامل ولن يكون كافيا. لكنه يقول: "من فضلك كوني حذرة الليلة."

تستدير مبتعدة وتستمر في السير قاطعة الشارع. ينادي اسمها.
تنظر إلى الخلف.

"أحبك يا ميجان."

"أحبك أيضا يا أبي."

ويقف هناك مرتعشا ومحاولا أن يفهم ما حدث للتو، مراقبا إياها وهي تبتعد عنه ثم تعبر الشارع، ثم تدخل ديري كوين، حيث تنضم إلى أصدقائها على مائدة قرب النافذة.
تقترب خطوات من خلفه.

يلتفت باري، ويرى رجلا يرتدي السواد قادمًا نحوه. حتى من على البعد، يبدو مألوفًا على نحو غامض، وعندما يقترب، يتعرف عليه بشكل تام. إنه الرجل الذي كان في عربة الطعام، فينس، الذي رافقه إلى الحجرة بعد تخديره في بار الفندق. الرجل صاحب وشم الرقبة، غير أنه لم يعد يحمله على الإطلاق. أو لم يكن قد حمله بعد. فهو الآن يملك رأسًا مليئًا بالشعر، وبنية أصغر. ويبدو أصغر عشر سنوات.

يجفل باري متراجعا على نحو غريزي، لكن فينس يرفع يديه في إشارة سلام.

يواجه أحدهما الآخر على الرصيف الخالي تحت عمود النور.

يسأله باري: "ماذا يحدث لي؟"

"أعلم أنك مرتبك ومشتت، لكن هذا لن يدوم. أنا هنا لأنجز الجزء الأخير من عقد عملي. هل فهمت الأمر بعد؟"

"فهمت ماذا؟"

"أفعله رئيسي من أجلك."

"هذا حقيقي؟"

"هذا حقيقي."

"كيف؟"

"أنت مع ابنتك من جديد، وهي حية. هل يهم كيف؟ لن تراني بعد الليلة، لكن عليّ أن أخبرك بشيء. هناك قواعد أساسية، وهي بسيطة. لا تحاول أن تلاعب النظام الأكبر بمعرفتك لما سيحدث. فقط عش حياتك مرة أخرى. عشها أفضل قليلا. ولا تخبر أحدا. لا زوجتك، ولا ابنتك. لا أحد."

"وماذا لو أريد العودة؟"

"إن التكنولوجيا التي أتت بك إلى هنا لم تُخترع بعد حتى."

يستدير فينس ليمضي.

"كيف أشكره على هذا؟" يسأله باري وعيناه ممتلئتان بالدموع مرة أخرى.

"حاليا، في عام 2018، هو يرقبك أنت وأسرتك، والأمل أن يراك وقد استغللت هذه الفرصة أفضل استغلال. أنك سعيد. أن ابنتك بخير. والأهم، أنك أبقيت فمك مغلقا ولعبت وفقا للقواعد التي شرحتها لك للتو. هكذا يمكنك أن تشكره."

"ماذا تقصد بـ 'حاليا في عام 2018'؟"

يهز كتفيه. "الوقت وهم، بناء مشيد من الذاكرة البشرية. لا يوجد شيء اسمه الماضي أو الحاضر أو المستقبل. كل هذا يحدث الآن." يحاول باري أن يستوعب هذا، لكنه أكبر مما يمكنه التعامل معه. "أنت أيضا عدت إلى الوراء، هه؟"

"أكثر قليلا منك. أنا أعيش حياتي من جديد منذ ثلاث سنوات
بالفعل."
"لماذا؟"

"أفسدت الأمر عندما كنت شرطيا. اشتغلت مع الناس السيئين.
والآن أملك محلا لبيع أدوات صيد السمك، والحياة جميلة. حظا
طيبا مع فرصتك الثانية."
يستدير فينس مبتعدا ويسير راحلا في جوف الليل.

السفر الثاني

أكثر ما نشعر بالحنين إلى أماكن لم نعرفها قط.

كارسون ماكولرز

هيلينا

20 يونيو 2009

اليوم 598

تجلس هيلينا على الأريكة في شقتها، محاولة استيعاب ضخامة الثلاثين دقيقة الأخيرة من حياتها. معنى رد فعلها المتمثل في هزة ركبتها يعني أنه لا يمكن أن يكون هذا صحيحا، أنها خدعة أو وهم ما. لكنها تظل ترى الوشم المكتمل بكلمة ميراندا على كتف مدمن الهيروين، والوشم غير المكتمل في الفيديو الذي عرضه سليد للتو عليها. وهي تعرف أنه بطريقة ما، وبالرغم من أن لديها ذكرى ثرية وتفصيلية بتلك الخبرة التي حدثت هذا الصباح - وحتى إلقاء المقعد في اتجاه النافذة - لا شيء من هذا قد حدث. هو موجود كفرع ميت من الذاكرة في الهيكل العصبي لمخها. الشيء الوحيد الذي يمكنها أن تقارنه به هو تذكر حلم مفصل جدا.

يقول سليد: "أخبريني بما يدور في عقلك الآن.."

تثبت نظرتها عليه: "هل يمكن لهذا الإجراء - الموت في حوض العزل بينما تنشط ذكرى ما من جديد - أن يغير الماضي بالفعل؟"
"لا يوجد ماضٍ."

"هذا جنون."

"ماذا؟ يمكنك أن تكون لك نظرياتك، لكن لا يمكن أن تكون لي نظرياتي؟"
"اشرح."

"قلتها بنفسك. 'الآن' مجرد وهم، حادث يتعلق بالكيفية التي تعالج بها أمخاخنا الواقع."
"ذلك مجرد... هراء فلسفة مبتدئين."

"عاش أسلافنا في المحيطات. وبسبب الطريقة التي كان ينتقل فيها الضوء عبر الماء في مقابل الهواء، كان حجمهم الحسيّ - أي المجال الذي كان بمقدورهم مسحه بحثا عن فريسة - محدودا بحجم قوة حركتهم - أي المجال الذي كان بمقدورهم الوصول إليه بالفعل والتفاعل معه. ماذا برأيك كان يمكن أن يكون نتيجة لهذا؟"

تفكر في السؤال: "كان بمقدورهم التفاعل فقط مع المحفزات المباشرة."

"حسنٌ. والآن ماذا برأيك قد حدث عندما زحفت هذه الأسماك أخيرا خارجة من المحيط منذ أربعمئة مليون سنة؟"

"زاد حجمهم الحسيّ؛ لأن الضوء ينتقل في الهواء لمسافة أبعد مما يفعل في مياه البحر."

"يعتقد بعض علماء البيولوجيا التطورية أن هذا التباين الأرضي بين حجم قوة الحركة والحجم الحسي هو الذي هبأ المسرح لتطور الوعي. إذا كان بمقدورنا أن ننظر إلى الأمام، فيمكننا التفكير إلى الأمام؛ يمكننا التخطيط. وإذاً يمكننا تصور المستقبل، حتى لو أنه غير موجود." "إذاً ما الذي ترمي إليه؟"

"الوعي نتاج للبيئة. ومعرفتنا - فكرتنا عن الواقع - تتشكل بما يمكننا إدراكه، بحدود حواسنا. نحن نعتقد أننا نرى العالم كما هو في الحقيقة، لكنك من بين جميع الناس تعلمين... كل هذا مجرد ظلال على جدار الكهف. نحن في العماء مثلنا مثل أسلافنا ساكني الماء، وحدود أمخاخنا هي بنفس القدر مجرد صدفة تطور. ومثلهم، بالتعريف، لا يمكننا أن نرى ما يفوتنا. أو... لم يمكننا، حتى الآن."

تتذكر هيلينا ابتسامة سليد الغامضة تلك الليلة على العشاء، منذ شهور كثيرة جداً. تقول: "اختراق حجاب الإدراك.."

"بالضبط. بالنسبة لكائنات ثنائية البعد، السفر عبر بُعد ثالث لن يكون مستحيلاً فقط، بل سيكون شيئاً لا يمكنهم تصوره. بالضبط كما تخذلنا أمخاخنا هنا. تخيلي لو أمكنك رؤية العالم عبر عيون كائنات أكثر تقدماً - بأربعة أبعاد. يمكنك معاينة أحداث في حياتك بأي ترتيب. أن تعيش أي ذكرى تريدينها من جديد."

"لكن هذا... إنه... سخيف. وهو يخرق قاعدة السبب والنتيجة."

يبتسم سليد تلك الابتسامة المتعالية مرة أخرى. مازالت هناك خطوة إلى الأمام. "أخشى أن فيزياء الكم تقف في صفي هنا. نعرف بالفعل أنه على مستوى الجسيم، سهم الزمن ليس بسيطاً كما يعتقد البشر."

"أتؤمن حقاً أن الوقت وهم؟"

"الأدق أن مفهومنا عنه معيب تماماً حتى أنه قد يكون وهمًا هو أيضا. كل لحظة بالمقابل حقيقية وتحدث الآن، لكن طبيعة وعينا لا تمنحنا إلا مدخلا إلى شريحة واحدة في كل مرة. فكري في حياتنا ككتاب. كل صفحة لحظة مميزة. لكن بنفس الطريقة التي نقرأ بها الكتاب، لا يمكننا إلا إدراك لحظة واحدة، صفحة واحدة، في كل مرة. مفهومنا المعيب يغلق باب الوصول إلى الصفحات الأخرى. حتى الآن."

"لكن كيف؟"

"أخبرتيني ذات مرة أن الذاكرة هي مدخلنا الصحيح الوحيد للواقع. أعتقد أنك كنتِ على حق. لحظة أخرى ما، ذكرى قديمة، هي آنية بنفس القدر الذي عليه هذه الجملة التي أقولها، سهلة المنال بالضبط مثلها مثل دخول الحجرة المجاورة. كنا فقط بحاجة إلى طريقة لإقناع عقولنا بهذا. للالتفاف في دورة قصيرة حول حدودنا التطورية وتوسيع وعينا بما يتجاوز حجمنا الحسي."

رأسها تدور.

تسأله: "هل كنت تعرف؟"

"ماذا كنت أعرف؟"

"ما كنا نعمل في اتجاهه بالفعل من البداية. أنه كان أكبر بكثير من الذاكرة ثلاثية الأبعاد."

ينظر سليلد إلى الأرضية، ثم يرفع عينيه إليها مرة أخرى. "أنا أحترمك بشكل أكبر من أكذب عليك."

"إذًا... نعم."

"قبل أن نصل إلى ما قمت به، هل يمكننا فقط أن نأخذ لحظة لنستمتع بما قد حققناه؟ أنت الآن أعظم عالمة ومخترعة عاشت على الإطلاق. أنت مسؤولة عن أهم تقدم معرفي في زماننا. في أي زمان."

"والأخطر."

"في الأيدي الخطأ، بالتأكيد."

"يا إلهي، أنت مغرور. في أي أيدي. كيف عرفت ما يمكن للكرسي أن يفعله؟"

يضع سليلد كأسه من الشمبانيا على منضدة القهوة، وينهض، ويتحرك نحو النافذة. على مبعدة عدة أميال في البحر، تتجمع سحب العاصفة في اتجاه المنصة.

يقول: "في المرة الأولى التي تقابلنا فيها، كنتِ ترأسين فريق بحث وتطوير لصالح شركة في سان فرانسيسكو تُدعى (إيون)."
"ماذا تقصد 'بالمرة الأولى'؟ أنا لم أعمل قط..."

"فقط دعيني أكمل. تعاقدتِ معي كمساعد بحث. كنتِ أكتب التقارير بناءً على إملائك، وأتتبع المقالات التي كنتِ تريدين قراءتها. أدير أجندة مواعيدك وأسفارك. أبقى قهوتك ساخنة ومكتبك نظيفاً. أو على الأقل صالحاً للاستخدام." يتسهم بشيء يشبه الحنين. "أعتقد أن لقبى الرسمي كان هو عاهرة المعمل. لكنك كنتِ طيبة معي. جعلتيني أشعر أنني ضمن فريق البحث، كأني جزء حقيقي من فريقك. قبل أن نلتقي، كنت في حالة سيئة بسبب المخدرات. لعلك أنقذت حياتي.

بنيت ميكروسكوب (ميج) هائلاً وشبكة تنشيط كهرومغناطيسية لائقة. كان لديك معالجة كمية أعلى بكثير مما نستخدمها هنا، لأن تكنولوجيا الكيوبت كانت متقدمة بشكل أكبر بكثير. توصلتِ إلى فكرة حوض العزل وكيفية تشغيل جهاز إعادة التنشيط في الداخل. لكنك لم تكوني راضية. كانت نظريتك منذ البداية أن الحوض سيضع موضوع الاختبار في حالة حادة من العزل الحسي، وعندما نحفز

الإحداثيات العصبية لذكرى ما؛ ستتساعد الخبرة إلى هذه الواقعة الفائقة والغامرة كلياً.

"انتظر، متى حدث كل هذا إذًا؟"

"في خط الزمن الأصلي."

يستغرق الأمر لحظة كي يصلها هول ما يقوله.

تسأله: "هل كنت أتابع تطبيقي لكبسولة زمن خاصة بالألزهايمر؟"

"لا أعتقد هذا. كانت شركة (إيون) مهمة بمتابعة التطبيق الترفيهي للكرسي، وهذا ما كنا نعمل عليه. لكن مثلما اكتشفنا هنا، كل ما كان بمقدورك فعله هو إعطاء شخص ما خبرة لذكرى أكثر حيوية قليلاً، دون أن يضطر لاستعادتها بنفسه. لقد أنفقت عشرات الملايين، وهذه التكنولوجيا التي راهنت بمستقبلك الوظيفي عليها لم تتخذ شكلاً مادياً." يبتعد سليلد عن الزجاج وينظر إليها. "حتى الثاني من نوفمبر 2018."

"عام 2018؟"

"نعم."

"أي بعد.. تسع سنوات في المستقبل."

"صحيح. في ذاك الصباح، حدث شيء مأساوي وعرضي ومدهش. كنتَ تجري إعادة تنشيط ذكرى على موضوع اختبار جديد اسمه جون جوردان. كانت الواقعة المستعادة حادثة سيارة فقد فيها زوجته. كان كل شيء يسير على ما يرام، وبعد ذلك توقف قلبه داخل حوض العزل. كانت سكتة قلبية ثقيلة. وعندما اندفع الفريق الطبي لإخراجه، حدث شيء غير طبيعي. قبل أن يتمكنوا من فتح الحوض، كان كل من في المختبر واقفا فجأة في وضع مختلف قليلاً. كانت أنوفنا كلنا تنزف، وبعضنا أصيب بنوبات صداع حادة، وبدلاً من جون

جوردان في الحوض، كنتِ تجريين تجربة على شخص اسمه مايكل ديلمان. كل هذا حدث في رمشة عين، وكأن شخصا ما قد نقر زر تحويل.

لم يفهم أحد ما حدث. لم تكن لدينا تسجيلات لجوردان وهو يضع قدما في مختبرنا. كنا مشوشين، نحاول أن نجد منطقا لأي مما حدث. سمّوها فضولا مضللا، لكنني لم أستطع أن أجعل هذا يمر. حاولت أن أجِد جوردان، أن أرى ما حدث له، أين ذهب، وكان هذا أغرب شيء - ذكرى حادثة السيارة تلك التي كنا نعيد تنشيطها؟ تبين أنه مات بالفعل في ذلك الحطام مع زوجته، قبلها بخمسة عشر عاما.

يبدأ المطر في ضرب الزجاج بصوت نقر مسموع بالكاد من داخل شقة هيلينا.

يعود سليد إلى المسند.

"أعتقد أنني كنت أول من أدرك ما قد حدث، أول من فهم أنك بطريقة ما قد أرسلتِ وِعي جون جوردان إلى الورا داخل الذكرى. بالطبع، لن نعرف أبدا، لكنني أظن أن تشويش العودة إلى ذاته الأصغر سنا غير نتيجة الحادث ليقتله هو وامراته معا."

ترفع هيلينا عينيها عن رقعة السجاد التي كانت تحديق فيها بينما كانت تتأهب لمواجهة هول هذا الكشف.

"ماذا فعلتِ يا ماركوس؟"

"كنت في السادسة والأربعين من عمري. مدمن. كنت قد بددت عمري. وخفت أن تدمري الكرسي إذا اكتشفت ما كان قادرا على فعله."

"ماذا فعلتِ؟"

"بعد ثلاثة أيام، في ليلة الخامس من نوفمبر 2018، ذهبت إلى المختبر وأعدت تحميل واحدة من ذكرياتي في المحفزات. ثم صعدت إلى الحوض وحقنت جرعة مميتة من كلوريد البوتاسيوم في مجرى دمي. ياللمسيح! اشتعل كحريق في أوردتي. أسوأ ألم مررت به في حياتي. توقف قلبي، وعندما اشتغل الدي إم تي، عاد وعيي كالطلقة إلى ذكرى مررت بها عندما كنت في العشرين من عمري. وكانت هذه بداية خط زمني جديد تفرع عن الأصل في عام 1992."

"للعالم بأكمله؟"

"على ما يبدو."

مكتبة

t.me/t_pdf

"وهذا هو العالم الذي نعيشه؟"

"نعم."

"ماذا حدث للأصلي؟"

"لا أعرف. عندما أفكر فيه، تكون هذه الذكريات رمادية وشبهية. وكأن الحياة قد امتصت منها."

"إذاً مازلت تتذكر الخط الزمني الأصلي، حيث كنت مساعدي في المعمل وفي السادسة والأربعين من عمرك."

"نعم. هذه الذكريات سافرت معي."

"ولماذا لا أحملها؟"

"فكري في تجربتنا الآن للتو. أنا وأنت لم تكن لدينا أي ذكرى لها حتى وصلنا إلى اللحظة الدقيقة عندما مات ريد في البيضة وسافر عائداً إلى ذكرى وشمه. فقط عندئذ انزلقت ذكرياتك ووعيك من هذا الخط الزمني الماضي، حيث حاولت إلقاء مقعد عبر الزجاج، إلى داخل هذا الخط الزمني."

"إذًا خلال تسع سنوات، في ليلة 5 نوفمبر 2018، سأذكر هذه الحياة الأخرى بأكملها؟"

"أعتقد هذا. سيندمج وعيك وذاكراتك من هذا الخط الزمني الأصلي في داخل هذا الخط. ستكون لديك مجموعتان من الذكريات - واحدة حية، وواحدة ميتة."

المطر ينهمر سائلا على الزجاج، مغبشا العالم من ورائه.

تقول هيلينا: "احتجنتي كي أصنع الكرسي مرة أخرى."

"هذا صحيح."

"وبمعرفتك بالمستقبل، بنيت إمبراطورية في هذا الخط الزمني، وأغويتني بوعده التمويل غير المحدود بمجرد أن قمت بأول إنجازاتي في ستانفورد."

يومئ برأسه.

"وكننت بالأساس تراقبني منذ بدأت هذا الخط الزمني الثاني."

"أعتقد أن كلمة 'المراقبة' مغالية قليلا."

"أسفة، هل نحن على منصة بترول خارج الخدمة في منتصف المحيط الهادئ بنيتها فقط من أجلي، أم أنه فاتني شيء ما؟"

يرفع سليلد كأسه من الشمبانيا ويجرع ما بقي فيه.

"أنت سرقت هذه الحياة الأخرى مني."

"هيلينا..."

"هل كنت متزوجة؟ هل كان لدي أطفال؟"

"أتريدون أن تعرفي بالفعل؟ لا يهم الآن. لم يحدث قط."

"أنت وحش."

تنهض، وتذهب إلى النافذة، وتحقق عبر الزجاج في ألف ظل من ظلال اللون الرمادي - المحيط قريبا والمحيط بعيدا، طبقات متراففة من السحاب، عاصفية ثلجية قادمة. طوال العام الماضي، بدت هذه الشقة مثل السجن على نحو متزايد، لكنها لم تكن أقرب إليه أبدا مما هي الآن. ويخطر ببالها بينما تجري دموع حارة غاضبة على وجنتيها أن طموحها المدمر للذات هو الذي حملها إلى هذه اللحظة، وربما إلى تلك اللحظة في عام 2018.

للإدراك المتأخر أيضا تأثير كاشف لسلوك سليد؛ خاصة فيما يتعلق بعرضه الأخير منذ عدة شهور بأن يبدأوا قتل موضوعات الاختبار لتقوية خبرة إعادة تنشيط الذاكرة. في ذلك الوقت، اعتقدت أن هذا تهور من جانبه. وقد نتج عنه الخروج الجماعي لكل من كانوا على المنصة تقريبا. والآن ترى الأمر على حقيقته - محسوب بدقة. كان يعرف أنهم في المرحلة الأخيرة ولم يرد شيئا غير طاقم أساسي مخلص يشهد الوظيفة الحقيقية للكرسي. والآن إذ تفكر في هذا، هي ليست حتى متأكدة من أن بقية زملائها قد عادوا إلى البر سالمين.

حتى الآن، كانت تشك في أن حياتها قد تكون في خطر.

أما الآن فهي واثقة من هذا.

"تكلمي معي يا هيلينا. لا تغوصي داخلك مرة أخرى."

ربما ستكون استجابتها لمكاشفة سليد هي العامل المحدد فيما سيقدر أن يفعله معها.

تقول: "أنا غاضبة."

"هذا حقك. كنت لأشعر نفس الشعور."

قبل هذه اللحظة، كانت تفترض أن سليد يمتلك ذكاء حادا، أنه متلاعب خبير بالناس، كما يميل كل القادة الصناعيين لأن يفعلوا. ربما

مازال هذا صحيحا، لكن نصيب الأسد من نجاحه وثروته يعود ببساطة إلى معرفته بالأحداث المستقبلية. وذكائها هي.

لا يمكن أن يتعلق اختراع الكرسي فقط بالمال بالنسبة له. فليده بالفعل مال وشهرة وسلطة أكثر مما لدى الرب.

تقول: "الآن وقد حصلت على كرسيك، ماذا تخطط لأن تفعل به؟"

"لا أعرف بعد. كنت أفكر في أنه يمكننا تصور هذا معا."

هراء. أنت تعرف. كان لديك ستة وعشرون عاما تؤدي إلى هذه اللحظة كي تبني تصورك.

يقول: "ساعديني في ترشيد استخدام الكرسي. ساعديني في اختباره بأمان. لم أستطع أن أخبرك ما أقصده في المرة الأولى، أو حتى في المرة الثانية عندما طرحْتُ هذا السؤال، لكنك الآن تعرفين الحقيقة، لذا أسأل الآن للمرة الثالثة، وآمل أن تكون الإجابة نعم."

"أي سؤال؟"

يدنو منها ويمسك يديها، مقربا بما يكفي الآن حتى أنها تستطيع أن تشم الشمبانيا في أنفاسه.

"هيلينا، هل تريد أن تغيري العالم معي؟"

باري

25 - 26 أكتوبر 2007

يدخل بيته ويغلق الباب الأمامي، متوقفا مرة أخرى أمام المرأة المجاورة لمشجب المعاطف ليحرق في انعكاس ذاته الأصغر سنا.

هذا ليس حقيقيا.

هذا لا يمكن أن يكون حقيقيا.

تهتف جوليا باسمه من غرفة النوم. يمر بجوار التلفاز، حيث نهائيات كأس العالم مازالت تدور، وينعطف قاطعا الرواق، والأرضية تئن تحت قدميه العاريتين في كل الأماكن المألوفة. يمر إلى جوار حجرة ميحان، وبعد ذلك حجرة الضيوف التي تُستخدم أيضا كمكتب منزلي، حتى يقف على عتبة حجرته هو وجوليا.

زوجته السابقة تجلس في الفراش بكتاب مفتوح موضوع على
حِجرها وفنجان من الشاي يتصاعد منه البخار على منضدتها بجوار
السريـر.

تسأله: "هل سمعتك تخرج؟"

تبدو مختلفة جدا.

"نعم."

"أين ميجان؟"

"ذهبت إلى ديري كوين."

"لديها يوم دراسي غدا!"

"ستعود قبل العاشرة والنصف."

"عرفت من تطلب منه، أليس كذلك؟"

تبتسم جوليا وتربت على غطاء السريـر إلى جوارها، ويدخل باري
غرفتهما، وعيناه تجريان على صور الزفاف، وصورة بالأبيض والأسود
لجوليا تحمل ميجان ليلة ميلادها، وأخيرا مستنسخ فوق السريـر
للوحة فان جوخ ليلة النجوم، اشتراها من (متحف الفن الحديث)
منذ عشرة أعوام بعد أن شاهد اللوحة الأصلية. يصعد السريـر
ويجلس مستندا إلى لوحه الخلفي إلى جوار جوليا. عن قرب، تبدو
نضرة، بشرتها ناعمة للغاية، بادئة فقط في الإشارة إلى التجاعيد التي
رآها في وجبة الإفطار المتأخر منذ يومين.

تسأله: "لماذا لا تشاهد مباراتك؟" كانت المرة الأخيرة التي جلسا
فيها على هذا السريـر معا في الليلة التي تركته فيها. حدثت في عينيه
وقالت: آسفة، لكن لا يمكنني أن أفصلك عن كل هذا الأم. "حبيبي.
ما المشكلة؟ تبدو وكأن أحدا مات لك."

لم يسمعها تدعوه حبيبي منذ زمن، لا... هو لا يحس وكأن أحدا مات. هو يحس... بإحساس حاد من التشوش والتفكك. وكأن جسده صورة رمزية مازال يُكوّن إحساسا بوظائفها.

"أنا بخير."

"ياه! تريد أن تجرب هذا مرة أخرى، لكن أكثر إقناعا هذه المرة؟"

أمن الممكن أن تكون الخسارة التي حملها منذ موت ميجان مازالت تنزف من روحه عبر عينيه وحتى هذه اللحظة المستحيلة؟ أنه على تردد ما أقل، تشعر جوليا بهذا التحول فيه؟ لأن غياب المأساة يحمل تأثيرا نسبيا معكوسا على ما يراه عندما ينظر في عينيها. عيناها تدهشانه. لامعتان وحاضرتان وصافيتان. عينا المرأة التي وقع في حبها. وتحتاجه كله مرة أخرى تلك القوة المدمرة للأسى.

تمرر جوليا أصابعها أسفل قفاه، فتسري رعدة في عموده الفقري ويحس بالقشعريرة. لم تلمسه زوجته منذ عقد.

"ما الأمر؟ شيء يحدث في العمل؟"

تقنيا، شمل يومه الأخير في العمل قتله في حوض عزل، وإعادته إلى هذا أيا يكون، لذا...

"نعم، في الحقيقة."

الخبرة الحسية للموضوع هي ما تقتله. رائحة حجرتهما. نعومة يدي جوليا. كل الأشياء التي قد نسيها. كل شيء فقده.

تسأله: "هل تريد أن نتحدث عنه؟"

"هل تمنعين إن رقدت هنا فقط بينما تقرأين؟"

"بالطبع لا."

وهكذا يريح رأسه على حجرها. لقد تخيل هذا ألف مرة، عادة في الثالثة صباحا، وهو راقد في سريريه في شقته بواشنطن هايتس، عالقا في تلك المراوحة المرهقة بين السكر ودوار ما بعد السكر، متسائلا...

ماذا لو عاشت ابنته؟ ماذا لو عاش زواجه؟ ماذا لو لم يخرج كل شيء عن مساره؟ ماذا لو...

هذا ليس حقيقيا.

هذا لا يمكن أن يكون حقيقيا.

الصوت الوحيد في الغرفة هو الحفيف الناعم لتقليب جوليا الصفحات كل دقيقة أو نحو ذلك. عيناه مغلقتان، هو فقط يتنفس الآن، وهي تمر أصابعها في شعره بالطريقة التي اعتادت أن تفعلها فيما مضى، ينقلب على جانبه ليخفي الدموع في عينيه.

في داخله، ترتج كومة من البروتوبلازما، ويتطلب الأمر منه مجهودا هرقليا كي يحافظ على رباطة جأشه الذهنية. الإحساس الصافي يترنح، لكن لا يبدو أن جوليا تلاحظ تلك الحفنة من المرات التي يرتفع وينخفض فيها ظهره في عبء بكاء مكبوتة بالكاد.

لقد التقى للتو مرة أخرى بطفلته الميته.

رأها، سمع صوتها، احتضنها.

والآن هو بطريقة ما في غرفة نومه القديمة من جديد مع جوليا، وهذا أكبر بكثير مما يحتمل.

تتسلل إليه فكرة مرعبة - ماذا لو أن هذا مجرد انفصال ذهاني؟

ماذا لو يتبدد كل هذا؟

ماذا لو فقدت ميجان مرة أخرى؟

يلهث بشدة -

ماذا لو -

"باري، أنت بخير؟"

كُفَّ عن التفكير.

تنفس.

"نعم."

فقط تنفس.

"متأكد؟"

"نعم."

اخلد للنوم.

لا تحلم.

وانظر إن كان كل هذا سيظل موجودا في الصباح.

يصحو مبكرا على الضوء القادم عبر الستائر. يجد نفسه راقدا إلى جوار جوليا، مازال يرتدي ملابسه منذ الليلة الماضية. يهبط من فوق السرير دون إزعاجها ويمشي على أطراف أصابعه قاطعا الرواق إلى حجرة ميغان. الباب مغلق. يفتحه قليلا، ويطل بالداخل. تنام ابنته تحت كومة من البطاطين، والجو هادئ في البيت بما يكفي في هذه الساعة كي يسمع تنفسها.

هي حية. هي بأمان. هي موجودة هناك.

كان ينبغي أن يكون هو وجوليا في حالة من الأسى والصدمة، عائدتين للتو إلى بيتهما بعد قضاء الليلة كلها في المشرحة. صورة جسد ميغان على مائدة التشريح - بجذعها المحطم مغطى بكدمة سوداء - لم تفارقه أبدا، رغم أن ذكراه لها قد اتخذت نفس المظهر الشبهي للذكريات الزائفة الأخرى.

لكن ها هي ذا، وها هو ذا، يشعر بالتأقلم مع هذا الجسد مع كل ثانية تمر. وهذا الخط المقصوص من ذكريات حياته الأخرى ينحسر، كما لو أنه أفاق للتو من أطول وأفزع كابوس. كابوس طوله أحد عشر عاما.

هذا هو الأمر بالضبط، يفكر - كابوس. لأن ما حوله يبدو وكأنه هو واقعه أكثر وأكثر الآن.

ينسل إلى داخل حجرة ميجان ويقف إلى جوار السرير، مراقبا لها أثناء نومها. لو أنه شهد تشكيل الكون لم يكن من الممكن أن يشعر بإحساس أعمق من هذا الإحساس بالدهشة والبهجة والامتنان الكاسح لأي كانت القوة التي أعادت صنع العالم من أجل ميجان ومن أجله.

لكن رعبا باردا يتنفس أيضا أسفل رقبتة من فكرة أن هذا قد يكون وهما.

قطعة من الكمال غير القابل للتفسير ينتظر أن تُختطف منه بعيدا.

يتجول عبر البيت مثل شبح يتجول عبر حياة ماضية، معيدا اكتشاف مساحات وأشياء كلها ضائعة في ذاكرته. التجويف في حجرة المعيشة الذي كانوا يضعون فيه الشجرة كل كريسماس. المنضدة الصغيرة إلى جوار الباب الأمامي حيث كان يدخر متعلقاته الشخصية. قدح قهوة كان يفضلها. منضدة الكتابة ذات السطح القابل للطي في حجرة الضيوف حيث كان يدفع الفواتير. المقعد في غرفة المعيشة حيث كان يقرأ كل أحد الواشنطن بوست والنيويورك تايمز من الغلاف إلى الغلاف.

إنه متحف للذكريات.

قلبه يدق أسرع من المعتاد، متوافقاً في إيقاعه مع صداع ضغط منخفض خلف عينيه. يريد سيجارة. ليس نفسياً - فقد أقلع أخيراً منذ خمس سنوات بعد محاولات عديدة فاشلة - لكن من الواضح أن جسده البالغ من العمر تسعة وثلاثين عاماً يحتاج مادياً إلى جرعة من النيكوتين.

يدخل المطبخ ويملاً كوباً بماء من الصنبور. يقف عند الحوض، مشاهدا ضربات فرشاة الضوء المبكر وهي تخلق الساحة الخلفية من العدم.

يفتح الخزانة التي على يمين الحوض، ويخرج القهوة التي اعتاد أن يشربها. يصنع قدراً منها ويضع ما يمكنه من أطباق الأمس داخل غسالة الأطباق، ثم يشرع في العمل مكملًا المهمة التي كانت عليه طوال فترة زواجهما - غسل بقية الأطباق بيده في الحوض.

عندما ينتهي، تكون السجائر مازالت تلح عليه. يمضي إلى المنضدة المجاورة للبواب الأمامي ويخرج علبة سجائر (كميل) ويلقي بها في صفيحة الزباله بالخارج. ثم يجلس في الشرفة الأمامية يشرب قهوته في البرد، آملاً أن يصفو ذهنه ومتسائلاً إن كان الرجل المسؤول عن إرساله إلى هنا يراقبه الآن. ربما من مستوى ما أعلى من الوجود؟ من خلف الزمن؟ يعود الخوف. هل سيُنزع فجأة من هذه اللحظة ويُلقى به من جديد في حياته القديمة؟ أم أن هذا سيدوم؟

يكتم الذعر المتصاعد. يقول لنفسه إنه لم يتخيل متلازمة الذاكرة الزائفة والمستقبل. هذا أعقد بكثير، حتى على ذهنه كمحقق، مما يمكن أن يحلم به.

هذا حقيقي.

هذا يحدث الآن.

هذا يحدث.

ميجان حية، ولا شيء سيأخذها منه مرة أخرى.

يقول بصوت عال، أقرب شيء فعله في حياته كصلاة: "إذا كان
يمكنك أن تسمعني الآن، من فضلك لا تنتزعني من هذا. سأفعل أي
شيء."

ليس هناك من رد في صمت الفجر.

يأخذ رشفة أخرى من القهوة ويراقب ضوء الشمس وهو يتدفق
عبر غصون شجرة البلوط، ضاربا العشب المتجمد، الذي يبدأ في
إخراج البخار.

هيلينا

5 يوليو 2009

اليوم 613

بينما تهبط السلم نحو المستوى الثالث للبناء العلوي، يكون والداه - خاصة أمها - في بالها.

ليلة أمس، حلمت بصوت أمها.

الخنه الغربية الخفيفة.

النعومة الجزلة.

كانتا تجلسان في حقل مجاور للبيت الريفي القديم الذي نشأت فيه. يوم خريفي. الهواء منعش وكل شيء مخضب بالضوء الذهبي للأصيل بينما الشمس تنزلق وراء الجبل. كانت دوروثي شابة، وشعرها مازال كستنائيا يتراقص مع الرياح. ورغم أن شفتيها لم تتحركا، كان صوتها

واضحا وقويا. لا تستطيع هيلينا أن تتذكر كلمة واحدة مما قالتها، فقط الإحساس الذي استحضره صوت أمها بداخلها - حب صافي وغير مشروط مقترن بلسعة من حنين حاد جعلت قلبها يوجعها.

هي تكاد تموت لهفة على الحديث إليهما، لكن منذ اكتشافها منذ أسبوعين أنها وسليد قد صنعا شيئا أقوى بكثير من جهاز ذاكرة ثلاثي الأبعاد، لم تشعر بالراحة حيال التطرق لموضوع الاتصال بأمها وأبيها مرة أخرى. ستفعل عندما يأتي الأوان، لكن كل شيء مازال طازجا ونيئا للغاية.

إنها تمر بوقت صعب في السيطرة على ما تراه حيال اختراعها العرضي، وكيف تلاعب بها سليد، وما يكمن أمامها.

لكنها تعمل في المختبر من جديد.

تمارس التدريبات الرياضية.

تضع قناعا طيبا على وجهها.

تحاول أن تكون مفيدة.

وبينما تغادر الدّرج في اتجاه المختبر، تندفع جرعة من الأدرينالين عبر دمها. إنهم يجرون الاختبار رقم تسعة على ريد كينج اليوم، اختبار جديد. ستمر بتبديل الواقع تحت قدميها مرة أخرى، ولا سبيل لإنكار الإثارة.

عندما تقترب من قاعة الاختبار، يظهر سليد بغتة من وراء الركن.

تقول: "صباح الخير."

"تعالى معي."

"ما المشكلة؟"

"تغيير في الخطة."

يبدو متوترا ومنزعجا، ويقودها إلى داخل حجرة الاجتماعات ويغلق الباب. ريد جالس بالفعل إلى المائدة، يرتدي بنطال جينز ممزقا وكنزة من التريكو، ويداه تقبضان على فنجان قهوة يتصاعد منه البخار. يبدو أن الوقت الذي قضاه على المنصة قد كسا عظامه ببعض اللحم ومحا من عينيه نظرة المدمنين الجوفاء.

"التجربة انتهت.." يقول سليد، متخذا مجلسه على رأس المائدة.

يقول ريد: "كنت سأحصل على خمسين ألفا من أجل هذه التجربة."

"ستحصل على مالك أيضا. الموضوع هو أننا أدينا التجربة بالفعل."

تتساءل هيلينا: "عم تحدث؟"

ينظر سليد إلى ساعته: "أجرينا التجربة منذ خمس دقائق." وينظر إلى ريد: "أنت مت."

"ألم يكن هذا ما هو مفترض أن يحدث؟" يتساءل ريد.

"أنت مت في الحوض، لكن لم يحدث أي تحول في الواقع.." يقول سليد. "أنت مت فقط في الواقع."

تسأل هيلينا: "كيف تعرف كل هذا؟"

"بعد أن مات ريد، جلس في الكرسي وسجلت ذكرى سابقة لجرح نفسي أثناء الحلاقة هذا الصباح." يرفع سليد رأسه، ويلمس شريحة قذرة على عنقه. "أخرجنا ريد من الحوض، ثم دخلت، وعدت للحظة حلاقتي حتى أتمكن من المجيء إلى هنا وإيقاف التجربة من الحدوث."

تتساءل: "لماذا لم تنجح؟ ألم يكن عدد المشبكيات العصبية كبيرا..."

"عدد المشبكيات العصبية كان جيدا ووصل إلى اللون الأخضر."

"وماذا كانت الذكرى؟"

"منذ خمسة عشر يوما. العشرون من يونيو. أول مرة دخل فيها ريد الحوض، بوسم ميراندا كاملا على ذراعه."

وكان شيئا انفجر بغتة للتو في عقل هيلينا.

تقول: "لا عجب أنه مات، تلك ليست ذكرى حقيقية."

"ماذا تقصدين؟"

"هذه النسخة من الأحداث لم تحدث قط. لم يحصل ريد على وشم قط. لقد غير هذه الذكرى عندما مات في الحوض." والآن بينما تنظر إلى ريد، تبدأ في لضم القطع معا. "ما يعني أنه لم يكن هناك شيء بالنسبة لك كي تعود إليه."

يقول ريد: "لكنني أذكر هذا.."

تسأله: "كيف تبدو في عين عقلك؟ مظلمة؟ جامدة؟ ظلال من الرمادي؟"

"كأن الوقت قد تجمد."

"إذاً هي ليست ذكرى حقيقية. إنها... لا أعرف ما أدعوها به. مزورة. زائفة."

"ميتة.." يقول سليد، وهو يلقي نظرة على ساعته مرة أخرى.

"إذاً لم تكن هذه صدفة." تحديق بغضب في سليد من وراء المائدة. "كنت تعرف."

"الذكريات الميتة تفتنني."

"لماذا؟"

"هي تمثل... بعدا آخر للحركة."

"لا أعرف ما يعنيه هذا الهراء، لكننا اتفقنا بالأمس على أنك لن تحاول رسم خريطة..."

"في كل مرة يموت في الحوض، يُيتم خيطا من الذكريات التي تغدو ميتة في عقولنا بعد أن نتحول. لكن ماذا يحدث بالفعل لهذه الخطوط الزمنية؟ هل جرى تدميرها حقاً، أم أنها مازالت هناك في مكان ما، بعيداً عن متناولنا؟" ينظر سليد إلى ساعته مرة أخرى. "أتذكر كل شيء من التجربة التي أجريناها هذا الصباح، وستستعيدا أنما الاثنان تلك الذكريات الميتة في أي لحظة الآن."

يجلسون في صمت إلى المائدة، وغمّة برودة تحيط بهيلينا.

نحن نلهو بأشياء لا ينبغي اللهو بها.

تشعر بالآلم يأتي وراء عينيها. تمد يدها إلى الأمام وتقبض على بضعة مناديل ورقية من علبة الكلينيكس لتوقف نزيف الأنف.

تأتي الذكرى الميتة لاختبارهم الفاشل على نحو ساحق.

توقف قلب ريد في الحوض.

ميت لمدة خمس دقائق.

عشر دقائق.

خمس عشرة.

صراخها في سليد كي يفعل شيئاً.

الاندفاع داخل قاعة الاختبار، فتح باب حوض العزل بعنف.

ريد يطفو بالداخل في سلام.

ساكن سكون الموت. إخراجه مع سليد ووضعه وهو يقطر ماء على الأرضية.

قيامها بإجراء الإنعاش القلبي الرئوي بينما د. ويلسون يقول في جهاز الاتصال الداخلي: "لا جدوى يا هيلينا. لقد رحل منذ وقت أطول من اللازم."

تستمر على أي حال، والعرق يسيل داخلا عينيها بينما يسرع سليلد عبر القاعة إلى حجرة الكرسي.

كانت قد ينست من إنقاذ ريد قبل أن يدخل سليلد من جديد - جالسة في الركن ومحاولة التعامل مع حقيقة أنهم قتلوا رجلا بالفعل. ليس مجرد رجل. لقد كان مسؤوليتها. جاء إلى هنا بسبب شيء صنعته.

يبدأ سليلد في ربط الأحزمة.

تسأل: "ماذا تفعل؟"

"أصلح هذا." ثم ينظر نحو الزجاج أحادي الرؤية بين قاعة الاختبار وغرفة التحكم. "هل سيخرجها أحد من هنا من فضلكم؟" يندفع رجال سليلد داخليين بينما يصعد إلى الحوض عاريا.

"من فضلك تعالي معنا يا د. سميث."

تنهض ببطء وتسير بإرادتها إلى غرفة التحكم، حيث تجلس خلف سيرجي ود. ويلسون بينما يعيدان تنشيط ذكرى جرح حلاقة سليلد.

تفكر طوال الوقت: هذا خطأ، هذا خطأ، هذا خطأ، حتى...

تجد نفسها فجأة جالسة هنا، في حجرة الاجتماعات تلك، تحبس الدم بالكلينيكس.

تنظر هيلينا إلى سليلد.

هو يراقب ريد، الذي يحدق بنوع من الابتسام المنتشي في اللاشيء.

"ريد؟" يهتف سليلد.

لا يجيب الرجل.

"ريد، هل يمكنك أن تسمعي؟"

يدير ريد رأسه ببطء إلى أن يحدق في سليد، والدم يسيل على شفثيه، ويقطر على المائدة.

يقول ريد: "أنا مت."

"أعرف. عدت إلى ذكرى سابقة كي أنقذ..."

"وكان هذا أجمل شيء رأيته على الإطلاق."

يسأله سليد: "ماذا رأيته؟"

رأيت... "يجاهد كي يصيغها في كلمات. "كل شيء."

"لا أعرف ما يعني هذا يا ريد."

"كل لحظة من حياتي. كنت مندفعاً عبر ذلك النفق المليء بهم، وكان هذا شيئاً جميلاً جداً. وجدت واحدة نسيته. ذكرى رائعة. أعتقد أنها الأولى لي."

تسأله هيلينا: "عم؟"

"كنت في الثانية من عمري، ربما في الثالثة. كنت جالساً على حجر شخص ما على شاطئ، ولم أستطع أن ألتفت كي أرى وجهه، لكنني عرفت أنه أبي. كنا في (كيب ماي) على ساحل جيرسي، حيث اعتدنا أن نقضي الأجازات. لم يكن بمقدوري رؤيتها، لكنني عرفت أن أمي كانت خلفي أيضاً، وأخي، ويل، كان واقفاً على البعد وسط الزبد، تاركا الأمواج تضربه. امتلأ الجو برائحة المحيط والكريم الواقى من الشمس والزلاية التي كان شخص ما يبيعها خلفنا على الممشى الخشبي." تجري الدموع على وجهه الآن. "لم أشعر أبداً بمثل هذا الحب في حياتي كلها. كل شيء طيب. آمن. كانت لحظة مثالية قبل..."

"ماذا؟" يسأله سليد.

"قبل أن أصبح أنا." يمسح عينيه، وينظر إلى سليد. "لم يكن ينبغي عليك أن تنقذني. لم يكن ينبغي عليك أن تعيدني."
"عم تحدث؟"

"كان يمكن أن أظل في تلك اللحظة إلى الأبد."

باري

نوفمبر 2007

كل يوم اكتشاف، كل لحظة هدية. مجرد الجلوس على مائدة العشاء أمام ابنته والاستماع إلى حديثها عن يومها يبدو أقرب لاعتذار. كيف كان بمستطاعه أبدا أن يأخذ حتى ثانية واحدة من هذا كأمر مسلّم به؟

يتشرب كل لحظة - الطريقة التي تزوغ بها عينا ميجان عندما يسألها عن الفتيان، الطريقة التي تضيئان بها عندما يتكلموا عن الكليات التي تريد أن تذهب إليها. يبكي بطريقة عفوية في حضورها، لكن من السهل أن يلقي باللوم على إقلاعه عن السجائر، أو مشاهدة ابنته الصغيرة تصبح امرأة.

ترتفع قرون استشعار جوليا. في هذه اللحظات، يلاحظها تراقبه بالطريقة التي قد يتفحص بها أحد ما لوحة ليست معلقة بشكل مستقيم تماما.

كل صباح، عندما يعود إليه الوعي أولاً، يرقد في الفراش خائفا أن يفتح عينيه، خائفا أن يجد نفسه في شقته المكونة من حجرة نوم واحدة في واشنطن هايتس، بينما تتلاشى فرصته الثانية في طي النسيان.

لكنه دائما إلى جوار جوليا، دائما يرقب الضوء القادم عبر الستائر، وصلته الوحيدة بتلك الحياة الأخرى توجد في الذكريات الزائفة، التي يحب أن ينساها.

هيلينا

5 يوليو 2009

اليوم 613

بعد العشاء، بينما تغسل هيلينا وجهها وتستعد للذهاب إلى الفراش، تسمع طرقة على بابها، وتجد سليلد واقفا في الطرقة، بعينين مظلمتين ومنزعجتين.

تسأله: "ماذا حدث؟"

"شنق ريد نفسه في حجرته."

"آه يا ربي. بسبب الذكرى الميئة؟"

"دعينا لا نقوم بأي افتراضات. مخ المدمن مضبوط بطريقة مختلفة عن أمخاخنا. من يعرف ماذا رأى في الحقيقة عندما مات. على أي حال، ظننت فقط أنه ينبغي أن تعرفي. لكن لا تقلقي. سأعيده غدا."

"بالكرسي. سأكون أمينا معك، أنا لا أطلع إلى موت مرة أخرى.
كما يمكنك أن تتخيلي، هو أمر غير سار تماما."

"لقد اختار أن ينهي حياته.." تقول هيلينا، محاولة أن تكبح جماح
مشاعرها. "أعتقد أننا ينبغي أن نحترم هذا."

"ليس وهو مازال يعمل تحت إمرتي."

راقدة في السرير، بعد ساعات، تنتفض وتقلب.

تمزق الأفكار رأسها، ولا يمكنها إخراجها.

لقد كذب سليد عليها.

تلاعب بها.

منعها عن الاتصال بأبويها.

سرق حياة منها.

ورغم أنه لا شيء قد فتنها عقليا أكثر من القوة الغامضة للكرسي،
إلا أنها لا تثق به مع سليد. لقد بذلوا الذكريات. غيروا الواقع. أعادوا
رجلا من الموت. ومع ذلك مازال يدفع الحدود بعزم مهووس يجعلها
تتساءل عن غايته الحقيقية من كل هذا.

تهبط من الفراش وتسير نحو النافذة، وتزيح ستائر الإظلام التام.

القمر عال ومكتمل ويسطع بنوره على البحر، الذي يلتصق
سطحه، بلونه الكحلي، ساكنا كلحظة متجمدة.

لن يأتي يوم أبدا تجلب أمها بالطائرة فيه إلى هنا وتضعها في
الكرسي لتمسح خريطة ما بقي في ذهنها أيا كان.

ما كان هذا ليحدث أبدا. حان الوقت لترك الحلم يموت والهروب من هذا الخراء.

لكنها لا تستطيع. حتى لو تمكنت من الهروب على واحدة من سفن الإمدادات، في اللحظة التي سيدرك فيها سليلد أنها رحلت، سيعود ببساطة إلى ذكرى ما قبل هروبها ويمنعها.

يمكنه أن يمنعك قبل حتى أن تحاولي الهروب. قبل حتى أن تخطر الفكرة على بالك. قبل هذه اللحظة.

كل هذا يعني - أن هناك طريقة واحدة فقط للهروب من المنصة الآن.

باري

ديسمبر 2007

هو أفضل في عمله، جزئيا لأنه يتذكر بعض القضايا والمشبهين، لكن في الأساس لأنه مهتم. لطالما حاولت السلطات الأعلى ترقية إلى وظيفة مكتبية إشرافية بأجر أفضل لكنهم رفضوا. فهو يريد أن يكون محققا عظيما، لا مزيد.

يظل مبتعدا عن السجائر. يشرب فقط في عطلات نهاية الأسبوع، يجري ثلاث مرات في الأسبوع، ويخرج مع جوليا ليلة كل جمعة. ليس الأمر مثاليا تماما بينهما. هي لا تحمل أثر صدمة موت ميجان ودمار زواجهما، لكن بالنسبة له لا مهرب من الطريقة التي أدت بها هذه الحوادث إلى تآكل علاقتهما. في حياته السابقة، استغرق الأمر منه زمنا طويلا كي يتوقف عن كونه واقعا في حب جوليا، ورغم أنه عاد إلى ما

قبل انهيار كل شيء، إلا أن الأمر ليس مجرد زر إضاءة يمكنه أن يديره من جديد.

يشاهد الأخبار كل صباح، ويقرأ الجرائد كل أحد، وبينما يتذكر اللحظات الكبيرة - المرشح الذي سيصبح رئيسا، هزات الركود الاقتصادي الأولى - إلا أن أغلبيتها مليئة بالتفاصيل وتافهة بما يكفي لأن تبدو جديدة مرة أخرى

يزور أمه كل أسبوع الآن. هي في الخامسة والستين من عمرها الآن وخلال خمس سنوات ستظهر عليها أول أعراض الورم الأرومي الدبقي لسرطان المخ الذي سيقتلها. وخلال ست سنوات، لن تتعرف عليه أو تكون قادرة على إجراء محادثة، وستموت في دار لرعاية المسنين بعدها بقليل، وقد تحولت إلى قشرة تالفة من ذاتها. سيمسك يدها النحيلة البارزة العظام في لحظاتها الأخيرة، متسائلا إن كانت حتى قادرة على تمييز الإحساس باللمسة الإنسانية في أرض مخها المطموسة.

الغريب أنه لا يجد حزنا ولا يأسا من معرفته بكيف ومتى ستنتهي حياتها. تبدو تلك الأيام الأخيرة نائية بعيدة المنال بينما يجلس في شقتها بحي كوينز قبل أسبوع من الكريسماس. في الواقع، هو يعتبر المعرفة المسبقة هدية. مات أبوه عندما كان باري في الخامسة عشر من تمدد الأوعية الدموية في الشريان الأبهر، على نحو مفاجئ وغير متوقع. أما مع أمه، فلديه سنوات كي يودعها، كي يتأكد من معرفتها أنه يحبها، كي يقول كل الأشياء التي في القلب، وثمة راحة لا حد لها في ذلك. كان قد تساءل مؤخرا إن كان هذا هو العيش كله في الواقع - وداع طويل لمن نحب.

كان قد أحضر ميجان معه اليوم، وها هي ابنته وأمها تلعبان الشطرنج بينما يجلس قرب النافذة، أمه تغني بذلك الصوت العالي

المستعار الذي دائما ما يحرك شيئا ما في أعماقه، وانتباهه منقسم بين مباراتهما والمارة في الشارع أسفله.

بالرغم من التكنولوجيا القديمة في كل مكان حوله وعناوين الأخبار المألوفة من وقت لآخر، إلا أنه لا يحس أنه يعيش في الماضي. يحس أن هذه اللحظة أشبه ما تكون بالآن. للخبرة تأثير فلسفي على إدراكه للوقت. ربما كان فينس على حق. ربما كل شيء يحدث في نفس الوقت.

"باري؟"

"نعم يا أمي؟"

"متى أصبحت متأملا في ذاتك هكذا؟"

يبتسم. "لا أعرف. ربما بلوغ الأربعين فعلها بي."

تنظر إليه للحظة، ثم تحول انتباهها عائدة إلى رقعة الشطرنج فقط عندما تقوم ميجان بنقلتها التالية.

يعيش نهاراته وينام لياليه.

يذهب إلى حفلات ذهب إليها بالفعل، يشاهد مباريات رآها من قبل، يحل قضايا حلها سابقا.

يجعله هذا يتساءل متعجبا عن حالة الإحساس بعيش نفس اللحظة من قبل الذي طالما طارده في حياته السابقة - الإحساس الدائم أنه كان يفعل أو يرى شيئا رآه بالفعل من قبل.

ويتساءل - هل حالة الإحساس بعيش اللحظة من قبل هي في الحقيقة طيف الخطوط الزمنية الزائفة التي لم تحدث أبدا لكنها حدثت، تلقي بظلالها على الواقع؟

هيلينا

22 أكتوبر 2007

تجلس إلى مكتبها القديم مرة أخرى في الأعماق العفنة لمبنى علم الأعصاب في (بالو آلتو)، عالقة في مرحلة انتقالية بين الذاكرة والواقع. ألم الموت في الحوض مازال طازجا - الحرقان في رثيها الجائعتين للأكسجين، الثقل الموضع لقلبها المشلول، الذعر والخوف، متسائلة إن كانت خطتها ستنجح. وبعد ذلك، عندما اشتغل أخيرا برنامج إعادة تنشيط الذاكرة وانطلقت المحفزات - الابتهاج الصافي والارتياح. كان سليد على حق. في غياب ثنائي ميثان التريتامين، لم تكن خبرة إعادة تنشيط الذكرى أكثر من مشاهدة فيلم رأيناه بالفعل ألف مرة من قبل. هذا أشبه بعيشه.

جي-وون جالس أمامها، وجهه يتخذ سمت التركيز الشديد، وهي تتساءل إن كان يلاحظ أي شيء غريب فيها؛ حيث لا تملك التحكم

في جسدها بعد. لكنها تلتقط كلمات من هنا وهناك - أجزاء من محادثة مألوفة.

"... مأخوذ جدا بمقال فن تصوير الذاكرة الذي نشرته في مجلة (نيورون)."

يبدأ تحكمها العضلي في أطراف أصابع يديها وقدميها، ثم يعمل داخليا، صاعدا إلى ذراعيها وساقيها، حتى تتمكن من التحكم في قدرتها على أن ترمش بعينيها وتبتلع ريقها. فجأة، تحس بجسدها كشيء ينتمي لها، ويغمرها التحكم، مع بهجة الملكية التامة، عائدة بالكامل مرة أخرى داخل ذاتها الأصغر سنا.

تنظر حول مكتبها، الجدران مغطاة بصور عالية الدقة لذكريات الفئران. منذ لحظة، كانت على بعد 173 ميل من ساحل كاليفورنيا الشمالي، بعد عامين تقريبا في المستقبل، تموت في حوض عزل بالطابق الثالث من منصة نفط سليد.

"هل كل شيء على ما يرام؟" يتساءل جي-وون.

نجحت. يا إلهي، نجحت.

"نعم. آسفة. ماذا كنت تقول؟"

"صاحب عملي معجب جدا بمقال فن تصوير الذاكرة الذي نشرته في مجلة (نيورون)."

"هل لدى صاحب عملك اسم؟"

"حسنا، هذا يعتمد..."

"على...؟"

"الطريقة التي تسير بها هذه المحادثة."

يبدو إجراء هذه المحادثة لمرة ثانية عاديا تماما وفي نفس الوقت سرياليا على نحو يحير العقل. إنها، دون شك، أغرب لحظة في وجودها كله، وعليها أن تجبر نفسها على التركيز.

تنظر إلى جي-وون وتقول: "ولماذا حتى أجري محادثة مع شخص بينما لا أعرف من يتكلم بالنيابة عنهم؟"

"لأن أموال منحتك من جامعة ستانفورد ستنفد في غضون ستة أسابيع." يمد جي-وون يده داخل حقيبته الجلدية، ويُخرج وثيقة في غلاف أزرق - مقترحها.

وبينما يغويها جي-وون كي تأتي لتعمل من أجل رئيسه مقابل تمويل غير محدود، تحقق في مقترح المنحة، مفكرة: فعلتها، صنعت كرسيًا، وهو أقوى بكثير مما تخيلت على الإطلاق أنه قد يكون.

"تحتاجين فريقا من المبرمجين لمساعدتك في تصميم خوارزمية من أجل فهرسة وعرض الذاكرة المعقدة. البنية التحتية للتجارب على البشر."

منصة ثلاثية الأبعاد لعرض الذكريات طويلة الأمد والواضحة والمسللة.

شيدتها. ونجحت.

"هيلينا؟" يحدق فيها جي-وون الآن من وراء منطقة الكوارث التي هي مكتبها.
"نعم؟"

"هل تريدان أن تأتي لتعملي مع ماركوس سليد؟"

في الليلة التي قتل فيها ريد نفسه، هبطت متسللة إلى المختبر، وباستخدام مدخل خلفي إلى النظام أقنعت راج بوضعه قبل أن يغادر، رسمت خريطة ذكرى هذه اللحظة - ظهور جي-وون في مختبرها

بستانفورد. كانت هذه اللحظة قد تركت بصمة عصبية قوية بما يكفي لتكون حية من أجل العودة إليها. ثم برمجت تسلسل إعادة تنشيط الذكرى، وكوكتيل العقاقير، وصعدت إلى الحوض في الساعة الثالثة والنصف صباحاً.

يقول جي-وون: "هيلينا؟ ماذا تقولين؟"

"أحب أن أعمل مع مستر سليد."

يسحب وثيقة أخرى من حقيبته ويناولها لها.

"ما هذا؟" تسأل، رغم أنها تعلم بالفعل. كانت قد وقَّعته فيما يُعتبر الآن ذكرى ميتة.

"عقد توظيف واتفاق سري. غير قابل للتفاوض. أعتقد أنك ستجدين البنود المالية سخية جداً."

باري

يناير 2008 - مايو 2010

وعندئذ تبدو الحياة كحياة مرة أخرى، تجري الأيام سوية بإحساس من التشابه والتسارع، وعمر أيام أكثر وأكثر دون أن يفكر قط في حقيقة أنه يعيش حياته كلها مرة أخرى من جديد.

هيلينا

22 أكتوبر 2007 – أغسطس 2010

رائحة كولونيا جي-وون مازالت باقية في المصعد بينما تستقله هيلينا إلى الطابق الأول من مبنى علم الأعصاب. لقد مضى ما يقرب من عامين منذ آخر مرة وضعت فيها قدما في حرم جامعة ستانفورد. منذ وضعت قدما على البرّ. تكاد خضرة الأشجار والعشب تدفعها إلى البكاء. الطريقة التي يتخلل بها نور الشمس تلك الأوراق المرتعشة. رائحة الزهور. صوت الطيور التي لا تعيش في البحر.

النهار الخريفي ساطع ودافئ، وتظل تنظر إلى شاشة هاتفها القابل للبطّي، محدقة في تاريخ اليوم لأن جزءا منها مازال لا يصدق أنه الثاني والعشرون من أكتوبر عام 2007.

سيارتها الجيب تنتظرها في موقف صف السيارات الخاص بالكلية. تصعد إلى المقعد الذي أدفأته الشمس وتبحث عن المفتاح في حقيبة ظهرها حتى تُخرجه.

بعد قليل، ستصلها الشمس نارا حامية على الطريق السريع، والرياح تصرخ فوق قضبان موازنة الجيب. تبدو منصة النفط أشبه بحلم رمادي باهت، وأكثر منها رمادية وبهتان الكرسى والحوض وسليد والعامان الأخيران، تلك التي، بسبب شيء أنشأته هي، لم تحدث بعد.

في بيتها في سان خوسيه، تملأ حقيبة سفر بالملابس، وصورة مؤطرة لوالديها، وستة كتب تعني العالم بالنسبة لها: (بنية جسم الإنسان) لأندرياس فيزالبوس، (الطبيعة) لأرسطو، (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) لإسحق نيوتن، وكتاب داروين (عن أصل الأنواع)، وروايتان - (الغريب) لكامو، ورواية جابرييل جارتيا ماركيز (مائة عام من العزلة).

في البنك، تغلق حساباتها الادخارية والجارية - أقل بقليل من 50.000 دولار. تسحب 10.000 دولار نقدا، وتضع الأربعين ألفا الباقية في حساب تداول أوراق مالية، ثم تخرج سائرة في شمس الظهرية بمظروف أبيض يبدو نحىلا بشكل يُرثى له.

قرب الطريق السريع رقم 1، تتوقف عند محل بقالة جانبي لتملأ سيارتها الجيب بالغاز. وعندما تنتهي العملية، تلقي بطاقتها الائتمانية في الزبالة، وتنزل غطاء السيارة الناعم، وتصعد خلف عجلة القيادة. لا تعرف إلى أين هي ذاهبة. هذا هو أقصى ما خططت له ليلة الأمس على المنصة، وعقلها الآن يعمل بسرعة مع مزيج من الابتهاج والرعب.

ثمة قطعة بعشرة سنتات في واحد من حاملي الأكواب. ترففها في الهواء وتلتقطها على ظهر كفها الأيسر.

لو كان الوجه، ستذهب جنوبا.

لو كان الظهر، ستذهب شمالا.

يدور الطريق على طول خط الساحل المليء بالجروف المنحدرة،
والبحر يفغر فاه متثاءبا وراء ضباب رمادي أسفل الطريق يبضع
مئات من الأقدام.

تسرع عبر غابات الأرز.

عبر مساحات جرداء كنستها الرياح.

عبر مدن تحمل بالكاد اسما - بؤر استيطانية على حافة العالم.

ليلتها الأولى، تتوقف على مبعدة نحو ساعتين من سان فرانسيسكو
في نُزُل صغير مرمم حديثا على جانب الطريق اسمه (تيمبر كووث)،
يجثم على جرف يطل على البحر.

تجلس وحيدة قرب موقد نار مع كأس من النبيذ من زجاجة
صُنعت على بعد عشرين ميلا فقط على البر، ترقب الشمس وهي
تسقط وتفكر فيما آلت إليه حياتها.

تُخرج هاتفها لتتصل بوالديها لكنها تتردد.

في هذه اللحظة، ينتظر ماركوس سليد وصولها الوشيك إلى منصة
نقطه الخارجة من الخدمة لتبدأ العمل على الكرسي، مؤمنا بلا شك
أن معرفة قدرته الحقيقية العاصفة بالعقل تكمن لديه فقط. وعندما
تخيب أمله في الظهور، لن يتشكك فقط فيما فعلته، بل سيقطب
العالم رأسا على عقب بحثا عنها؛ لأنه من غيرها لا يملك سر بناء - أو
بمعنى ما إعادة بناء - الكرسي.

قد يستخدم حتى أبويها من أجل الوصول إليها.

تضع الهاتف على الأرض وتسحقه تحت كعب حذاءها عالي الرقبة.

تندفع شمالا في الطريق السريع رقم 1، متخذة مسارا قصيرا إلى مكان أرادت دائما أن تراه على ساحل (لوس ت كوست) - شاطئ الرمال السوداء في شيلتر كوف.

ثم تتابع السير شمالا عبر غيصات الخشب الأحمر والبلدات الساحلية الهادئة وإلى إقليم الشمال الغربي الهادئ.

بعد نحو يومين، تكون في فانكوفر، متوجهة شمال ساحل مقاطعة كولومبيا البريطانية، من حاضرة إلى مدينة إلى قرية إلى بعض من أجمل مناطق الريف المعزولة التي رأتها عيناها على الإطلاق.

بعد ثلاثة أسابيع، أثناء التجول عبر براري شمالي كندا، تلحق بها عاصفة بينما الليل يرخي سدوله.

تتوقف عند حانة على جانب الطريق على أطراف قرية بمثابة أثر باق من أيام (حمى الذهب)، وتستقر على مقعد مستدير عند بار مكسو بالخشب، وتشرب البيرة وتثرثر مع أبناء القرية بينما تشتعل النار في موقد حجري ضخمة وتتساقط أول ثلوج الموسم ضاربة زجاج النافذة.

من نواح ما، تبدو قرية (هاينز جانكشن) في مقاطعة (يوكون) نائية تماما مثل منصة نفط سليد - هذه القرية الصغيرة في أقصى امتدادات كندا، مطوية داخل غابة دائمة الخضرة عند سفح سلسلة جبال جليدية. بالنسبة لكل من في القرية، اسمها هو ماري إيدن - الاسم الأول من وحي أول امرأة فازت بجائزة نوبل والتي أدى عملها إلى اكتشاف النشاط الإشعاعي، والاسم الثاني من واحد من كتاب أدب الإثارة المفضلين لديها.

تعيش في حجرة فوق الحانة وتتلقى أجرا (من تحت الطاولة) لتعتني بالبار في عطلات نهاية الأسبوع. هي لا تحتاج المال. فمعرفتها بأسواق المستقبل ستحول استثماراتها إلى ملايين في الأعوام القادمة.

لكن من الجيد أن تظل مشغولة، وقد يثير الأمر تساؤلات إن لم يكن لديها مصدر واضح للدخل.

ليس بحجرتها الكثير: سرير، وخزانة، ونافذة واحدة تطل على أكثر ما رآته في حياتها من الطرق السريعة خلافاً. لكن الآن على الأقل، هو كل ما تحتاج إليه. تتعرف على أشخاص، لكن لا أصدقاء، ويمر ما يكفي من العابرين على البار والمدينة ليقدموا السلوى العاطفية للقلب الوحيد أربعة وعشرين ساعة في اليوم من وقت لآخر.

وهي وحيدة، لكن يبدو أن هذا الشعور هو القاعدة هنا. لا يستغرق الأمر منها وقتاً طويلاً كي تميز هاينز جانكشن كمأوى لطبقة مميزة من الأشخاص.

مكتبة
t.me/t_pdf

هؤلاء الباحثون عن السلام.

هؤلاء الباحثون عن المخبأ.

وبالطبع هؤلاء الباحثون عن الاثنين.

تفتقد الحافز الذهني لعملها. تفتقد كونها في مختبر. تفتقد أن يكون لها هدف. يأكلها القلق والتساؤل عما سيفعله أبواها حيال اختفائها. وتشعر بالذنب كل ساعة من كل يوم لأنها لا تصنع كرسي الذاكرة الذي يمكنه حفظ الذكريات الأساسية لأشخاص مثل أمها.

خطر ببالها أن الحل لكل هذا يمكن أن يكون هو قتل سليد. سيكون من السهل الاقتراب منه - يمكنها أن تتصل بجي-وون، وتقول إنها أعادت التفكير في العرض. لكنها لا تجد في نفسها القدرة على ذلك. وعلى أي حال، هي ببساطة ليست ذلك الشخص..

لذا تريح نفسها بمعرفة أن كل يوم تظل فيه داخل هذا الركن المعزول من العالم، دون أن يكتشفها سليد، هو يوم يبقي العالم آمناً مما لديها القدرة على خلقه.

بعد عامين، تحصل على شهادات ووثائق هوية مزورة من شبكة الإنترنت السوداء وتنتقل إلى مدينة أنكوريج بالأسكا، حيث تتطوع كباحثة مساعدة لعالم أعصاب في الجامعة - رجل طيب ليست لديه فكرة أن واحدة من تلاميذه هي أبرز باحثة علمية في العالم. تقضي أيامها في مقابلات شخصية مع مرضى الألزهايمر مسجلة ذكرياتهم المتدهورة طوال أسابيع وشهور بينما المرض يتقدم عبر مراحل القاسية المذلة. عمل ليس فيه إبداع كبير، لكنها على الأقل تعير عقلها لمجال بحث تحمل شغفا تجاهه. فما اتسم به وقتها في يوكون من ملل ولاغائية كان قد دفعها إلى حافة الإحباط والاكتئاب.

هناك أيام تريد فيها بشدة أن تبدأ بناء ميكروسكوب (ميج) وجهاز إعادة التنشيط كوسيلة لتسجيل وحفظ ذكريات الأشخاص الذين تجري معهم المقابلات، الذين يفقدون ببطء أنفسهم والذكريات التي تحدد هويتهم. لكن المخاطرة أكبر من اللازم. قد تنبه سليل إلى عملها، أو ربما يتمكن أحدهم - مثلما فعلت على ما يبدو - من صنع الطفرة بالصدفة من إعادة تنشيط الذاكرة إلى السفر في الذاكرة. لا يمكن الثقة في البشر مع تكنولوجيا بهذه القوة - فمع انشطار الذرة جاءت القنبلة الذرية. والقدرة على تغيير الذاكرة، وبالتالي الواقع، ستكون على الأقل بنفس الخطورة؛ جزئيا لأنها ستكون مغوية جدا. ألم تكن هي نفسها تغير الماضي الآن، ولدى أول فرصة حانت لها؟

لكن الكرسي لم يُصنع، لقد اختفت، ولا يوجد تهديد للذاكرة والوقت غير المعرفة الموجودة في عقلها، والتي ستأخذها معها إلى القبر.

خطرت لها فكرة قتل نفسها في أكثر من مناسبة. ستكون هذه بوليصه التأمين الأخيرة ضد أن يجدها سليل ويجبرها على التعاون.

وقد ذهبت إلى حد صنع أقراص من كلوريد البوتاسيوم تحسباً لأن يجيء هذا اليوم.

تحتفظ معها بهذه الأقراص طوال الوقت، في قلادة من الفضة حول عنقها.

تصفُ هيلينا سيارتها في مساحة مخصصة للزوار قرب المدخل وتخرج إلى حرارة أغسطس القائظة. تحظى الأراضي برعاية جيدة. ثمّة برجولات ونوافير ومساحات للنزهات الخلوية. تتساءل كيف لوالدها أن يتحمل كلفة هذا المكان.

تسجل دخولها عند المكتب الرئيسي ويكون عليها أن تكتب اسمها في استمارة تسجيل الزائرين. وبينما يقوم المشرف بتصوير نسخة من رخصتها للقيادة، تنظر هيلينا حولها، في توتر.

لقد مضت عليها ثلاثة أعوام في هذا الخط الزمني الجديد. ومن المفترض أن ذكريات سليد الزائفة عن وقتها معا في منصته للنفط ستجده في الصباح الباكر من يوم 6 يوليو 2009، في نفس اللحظة (في الخط الزمني السابق) التي ماتت فيها هي في حوض العزل وعادت إلى ذكرى قدوم جي-وون إلى مختبرها في ستانفورد.

لو لم يكن سليد يبحث عنها قبل ذلك، سيكون الآن. وفي جميع الاحتمالات، قد دفع لشخص ما هنا ليبلغه إذا ظهرت هيلينا في أي وقت.

وهو ما فعلته للتو.

لكنها لم تأت هنا جاهلة بالمخاطرة.

لو أن سليد أو أحد رجاله يتتبعها، فهي مستعدة للتعامل مع الأمر.

ترفع يدها وتقبض على القلادة المتدلّية من عنقها.

"تفضلي حضرتك." يسلم المشرف شارة الزائرة لهيلينا. "دوروثي في الحجرة رقم 117، في نهاية القاعة. سأدخلك إليها."

تنتظر هيلينا بينما تنفتح الأبواب المؤدية إلى (رعاية الذاكرة) ببطء على الجانبين.

روائح مواد التنظيف والبول وطعام الكافيتريا تختلط لتستدعي ذكرى المرة الأخيرة التي خطت فيها داخل مؤسسة لرعاية الكبار - منذ عشرين عاما، خلال الشهور الأخيرة من حياة جدها.

تمر بمساحة مشتركة، حيث يجلس النزلاء في خدر نتيجة الأدوية الثقيلة حول تلفاز يعرض برنامجا عن الطبيعة.

الباب المؤدي إلى الحجرة 117 موارب، وتدفعه قليلا لتفتحه.

بحسابات هيلينا، مرت خمسة أعوام منذ رأت أمها لآخر مرة.

دوروثي جالسة في مقعد متحرك وعلى ساقها بطانية، تحقق خارج النافذة نحو سفوح جبال روكي. لا بد أنها قد رأت هيلينا في محيط رؤيتها؛ لأنها تدير رأسها ببطء نحو المدخل.

تبتسم هيلينا.

"أهلا."

تحقق أمها فيها، دون أن ترمش.

لا أثر للتعرف عليها.

"هل من الممكن أن أدخل؟"

تخفض أمها رأسها في إيماءة تأخذها هيلينا كإشارة موافقة. تقول هيلينا: "تعجبني حجرتك كثيرا." ثم تلفاز مكتوم الصوت يعرض قناة إخبارية. صور فوتوغرافية في كل مكان. لوالديها في أوقات أكثر شبابا وأفضل حالا. لها كرضيعة، كطفلة، كمراهقة أتمت للتو السادسة

عشر من عمرها جالسة خلف عجلة قيادة سيارتهم العائلية ماركة (تشيفي سيلفرا دو) يوم حصولها على رخصتها للقيادة.

وفقا لصفحة (كيرينجريدج)⁽¹⁾ التي أنشأها أبوها، نقلوا دوروثي إلى مركز رعاية الذاكرة في الكريسماس الماضي، عندما تركت الموقد مشتعلا وكادت تشعل النار في المطبخ.

تجلس هيلينا إلى جوار أمها إلى المائدة الصغيرة المستديرة قرب النافذة. ثمة باقة من الزهور قديمة بما يكفي لأن تُسقط بساطا من الأوراق والبتلات حول المزهرية.

لأمها هشاشة تشبه العصافير، وضوء الصباح المتأخر يسقط على وجهها ليجعله يبدو رقيقا كالورق. رغم أنها في الخامسة والستين فقط، إلا أنها تبدو أكبر بكثير. شعرها الفضي يخف. وبقع الشيخوخة تغطي يديها، اللتين مازالتا تبدوان أنثويتين ورشيقتين على نحو ملفت. "أنا هيلينا. ابنتك."

تنظر أمها إليها في ارتياب.

"لديك منظر لطيف فعلا للجبال."

"هل رأيتِ نانسي؟" تسألها أمها. لا يبدو صوتها على سابق عهده إطلاقا - كلماتها تخرج ببطء، وبمجهود كبير. كانت نانسي أخت دوروثي الأكبر. وماتت في طفولتها منذ أكثر من أربعين عاما، قبل أن تولد هيلينا.

تقول هيلينا: "لم أرها، لقد رحلت منذ فترة."

(1) CaringBridge: موقع تواصل اجتماعي أنشأته منظمة خيرية غير ربحية تحمل اسمه عام 1997 لتساعد الأشخاص الذين يواجهون ظروفًا طبية مختلفة وأسرهم وأصدقاءهم على التواصل.

تنتظر أمها من النافذة إلى الخارج. رغم أن الجو صحو فوق السهول وسفح الجبل، إلا أنه على بعد أكبر بدأت سحب سوداء في التجمع حول القمم العالية. تفكر هيلينا - هذا المرض شكل سادي شيزوفريني من السفر في الذاكرة، يلقي بضحاياه عبر امتداد حياتهم، متحايلا عليهم كي يظنوا أنهم يعيشون في الماضي. يفصلهم ضائعين في الزمن.

تقول هيلينا: "آسفة لأني لم أكن بالقرب منك لأراك، ليس لأني لم أرغب في هذا - أفكر فيك وفي أي كل يوم. لكن هذه السنوات القليلة الماضية كانت... صعبة فعلا. أنت الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنني أن أخبره بهذا، لكنني مُنحت فرصة لصنع كرسيّ الذاكرة. حكيت لك عنه ذات مرة، كما أظن. كنت السبب في صنعي له. أردت أن أنقذ ذكرياتك. ظننت أنني سأغير العالم. ظننت أنني حصلت على كل ما حلمت به. لكنني فشلت. خذلتك. وخذلت كل الأشخاص الذين مثلك، الذين كان يمكن أن يستخدموا كرسيّ لإنقاذ جزء من أنفسهم من هذا... المرض اللعين." تمسح هيلينا بعينيها. لا يمكنها أن تجزم إن كانت أمها تنصت إليها. ربما لا يهم. "لقد جلبت شيئا فظيعا إلى العالم يا ماما. لم أقصد، لكنني فعلتها، وعليّ الآن أن أقضي بقية حياتي مختبئة. لم يكن ينبغي أن آتي إلى هنا، لكن... احتجت أن أراك مرة أخيرة. أحتاجك كي تسمعيني أقول إنني..."

"ستهب عاصفة في الجبال اليوم.. تقول دوروثي، وهي مازالت ترقب السحب السوداء.

تطلق هيلينا تنهيدة عميقة مرتعدة. "يبدو هذا، أليس كذلك؟" "اعتدت أن أتمشي في هذه الجبال مع عائلتي إلى مكان يُدعى (لوست ليك)." "أذكر هذا. ذهبت إلى هناك معك يا ماما."

"كنا نسبح في الماء المتجمد، وبعد ذلك نتمدد على الصخور الدافئة. كانت السماء زرقاء للغاية حتى أنها كانت أرجوانية تقريبا. كانت هناك زهور برية في المروج. لا يبدو أن هذا كان منذ زمن طويل."

تجلسان في صمت.

يلمس البرق قمة (لونجس بيك).

المسافة أبعد من أن تسمعا الرعد.

تتساءل هيلينا كم يأتي والدها عادةً للزيارة. تتساءل كم لا بد وأن هذا صعب بالنسبة له. ستتنازل عن أي شيء كي تراه مرة أخرى. تُحضر هيلينا كل الصور من الحائط وتأخذ وقتها في عرض كل صورة على أمها، مشيرة إلى الوجوه، ناطقة بالأسماء، مستدعية لحظات من ذاكرتها. تبدأ في انتقاء ذكريات تظن أن أمها ستحسبها أهم وأكثر ذكرياتها خصوصية، ثم تدرك أنه اختيار أكثر حميمية من أن تقوم به لشخص غيرك. يمكنها فقط أن تشاركها ذكرياتها هي.

وعندئذ يحدث أغرب شيء على الإطلاق.

تنظر دوروثي إليها، وللحظة، تغدو عيناها واضحتين وصافيتين ومتقدتين - كما لو أن المرأة التي عرفتها هيلينا دوما قد صارعت بطريقة ما شاقة طريقها عبر أحبولة الخرف ودروب الأعصاب المدمرة لترى ابنتها للحظة عابرة.

تقول أمها: "كنت دائما فخورة بك.."

"صحيح؟"

"أنت أفضل شيء فعلته في حياتي."

تلف هيلينا ذراعيها حول أمها، والدموع تنسال.

"آسفة لأني لم أستطع أن أنقذك يا أمي."

لكن عندما تستوي جالسة، تكون لحظة الصفاء قد مرت.
وهي تحقق في عيني امرأة غريبة.

باري

يونيو 2010 – 6 نوفمبر 2018

ذات صباح، يصحو على حفل تخرج ميجان من المدرسة الثانوية. هي الطالبة المكلفة بإلقاء خطبة الوداع، وتلقي خطبة عظيمة. يبكي.

وبعد ذلك يأتي خريف يكون فيه هو وجوليا وبيت هادئ جدا فقط.

ذات ليلة في الفراش، تلتفت إليه وتقول: "هل هذه هي الطريقة التي تريد أن تقضي بها بقية حياتك؟"

لا يعرف ماذا يقول لها. انسَ هذا. هو يعرف. كان دائما ما يلقي باللوم على موت ميجان كسبب لنهاية علاقته هو وجوليا. كانت

أسرتهـم - ثلاثتهـم - هـي ما تربطه بجوليا. عندما ماتت جوليا، انفكت هذه الرابطة في غضون عام.

فقط الآن بمقدوره أن يعترف أنه كان مقدرًا لهما دائمًا أن يفترقا. فقط شهدت رحلته الثانية مع زواجهما موتًا أبطأ وأقل دراماتيكية، جلبه نضج ميجان وانسحابها من حياتهما وقيامها بشق طريقها الخاص في الحياة.

إذًا نعم، هو يعرف. هو فقط لا يريد أن يقولها. كان مقدرًا لهذه العلاقة أن تدوم لوقت محدد، ولا مزيد.

تموت أمه بالطريقة التي يتذكرها بالضبط.

ميجان بالفعل في البار عندما يصل، ترتشف كأسًا من المارتيني وتكتب رسالة نصية لشخص ما. للحظة، لا يراها، لأنها مجرد امرأة جميلة أخرى في أحد بارات مانهاتن المليئة بالشابات الجميلات، تتناول كوكتيلًا مسائيًا مبكرًا.

"أهلا ميجز."

تضع هاتفها مقلوبا على وجهه وتنزلق من فوق المقعد المستدير، وتحتضنه بطريقة أقوى من المعتاد، جاذبة إليه قريبا منها، دون أن تفلته.

تسأله: "كيف حالك؟"

"أنا بخير، أنا بخير."

"هل أنت متأكد؟"

"نعم."

تتفحصه بارتياح بينما هو يتخذ مجلسه إلى البار ويطلب زجاجة مياه معدنية (سان بيليغرينو) وطبقا صغيرا من الليمون.

يسألها: "كيف حال العمل؟" هي في عامها الأول كمنظمة اجتماعية لمؤسسة غير ربحية.

"مشغولة بشكل مجنون والعمل رائع، لكنني لا أريد الحديث عن العمل."

"تعلمين أنني فخور بك، أليس كذلك؟"

"نعم، تخبرني بهذا في كل مرة تراني فيها. اسمع، أحتاج إلى سؤالك عن شيء ما."

"طيب." يرتشف ماءه المعدني مع الليمون.

"منذ متى وأنت غير سعيد؟"

"لا أعرف. منذ فترة. ربما سنوات."

"هل ظلمت أنت وماما متزوجين بسببي؟"

"لا."

"أنقسم؟"

"أنقسم. أردت أن ينجح الأمر. وأعرف أن أمك أيضا كانت تريد هذا. أحيانا يستغرق الأمر فترة فقط كي تتوقفي عن شيء ما أخيرا. ربما تكوني قد أسهمت في عدم ملاحظتنا كم كنا نعيشين، لكنك لم تكوني قط سبب بقائنا معا."

"هل كنت تبكي؟"

"لا."

"هراء."

هي طيبة. لقد وقّع اتفاق الانفصال في مكتب محاميه منذ ساعة، وإذا لم يحدث أمر ما غير متوقع، سيوقع القاضي مرسوم الطلاق خلال شهر .

لقد سار طويلا إلى هنا، ونعم كان يبكي أغلب مسيرته. وهذا من أعظم الأشياء في نيويورك - لا أحد يهتم بحالتك العاطفية طالما أن الأمر ليس فيه دم. والبكاء على الرصيف في منتصف النهار لا يقل خصوصية عن البكاء في حجرة نومك في منتصف الليل. ربما لأنه لا أحد يبالي. وربما لأنها مدينة وحشية، وكلهم عانوا من هذا في وقت أو آخر.

يسألها باري: "كيف حال ماكس؟"

"وداعا ماكس."

"ماذا حدث؟"

"رأى الكتابة على الحائط."

"أي كتابة تلك؟"

"ميجان مدمنة لعملها."

يطلب باري زجاجة مياه معدنية أخرى.

"تبدو بخير فعلا يا بابا."

"أتظنين هذا؟"

"بلى. لا أطيق الانتظار إلى أن أبدأ في سماع حكايات مواعداك الفظيعة."

"وأنا لا أطيق الانتظار حتى أبدأ خوضها."

تضحك ميجان، وشيء ما في الطريقة التي يتحرك بها فمها يجعله يرى الفتاة الصغيرة في وجهها مرة أخرى، رغم أن هذا يحدث فقط للحظة عابرة.

يقول باري: "عيد ميلادك يوم الأحد."
"أعرف."

"مازلت أنا وماما نريد أن نصطحبك لإفطار متأخر."
"هل أنت واثق أن هذا لن يكون غريبا؟"

"أوه، سيكون غريبا، لكننا نريد أن نفعل هذا على أي حال إذا كان عندك استعداد. نريد أن نكون بخير مرة أخرى."
تقول ميجان: "أنا مستعدة."
"صحيح؟"

"صحيح. أريد أن أكون بخير أيضا."

بعد الشرب مع ميجان، يتناول لقمة في محله المفضل للبيتزا بالمدينة - وهو جحر بالجانب الغربي الشمالي لمانهاتن ليس بعيدا عن منطقته. مكان من نوعية أماكن منتصف الليل: معتد بنفسه، سيء الإضاءة، وبلا مقاعد - مجرد بار يمتد بمحيط المطعم، والجميع واقفون ممسكون بأطباق ورقية تنز دهنًا تحمل شرائح كبيرة وأكوابا عملاقة من المشروبات الغازية محلاة بطريقة مفرطة.

إنها ليلة الجمعة، بضجتها واكتمالها.

يفكر في تناول كأس من الشراب، لكنه يقرر أن الشرب وحيدا بعد توقيع أوراق الطلاق أمر بائس للغاية، ويتوجه إلى سيارته بدلا من ذلك. يقودها في شوارع مدينته شاعرا بالسعادة والانفعال وقد غمره تماما اللغز الخالص لكونه حيا. يتمنى أن تكون جوليا بخير. كان قد

أرسل إليها رسالة نصية بعد أن وقّع الأوراق. كتب أنه سعيد لأنهما سيكونان صديقين، وأنه سيكون دائماً موجوداً من أجلها.

وبينما هو جالس في السيارة أثناء توقف مروري، يراجع هاتفه مرة أخرى ليرى إن كانت قد ردت.

والآن ثمة رسالة نصية منها:

هنا من أجلك دائماً. لن يتغير هذا أبداً.

قلبه ملآن بطريقة لم يعهدها فيه بقدر ما يستطيع أن يتذكر.

يتطلع عبر الزجاج الأمامي للسيارة. مازال المرور لا يتحرك، رغم أن الإشارة أمامه خضراء. ورجال الشرطة يحولون مسار السيارات بعيداً عن الشارع أمامه.

يُنزل زجاج نافذته ويهتف بأقرب شرطي: "ماذا يجري؟"

يشير إليه الرجل كي يتحرك قُدماً.

يشعل باري أضواء مقدمة سيارته ويطلق سارينتها. يجذب هذا انتباه شرطي الدورية الشاب. يأتي إليه مهرولاً، وهو يعتذر بكل ما فيه. "آسف، أمرونا بإغلاق الشارع القادم. حالة من الفوضى الكاملة."

"ماذا حدث؟"

"سيدة قفزت من فوق مبنى في المربع السكني التالي."

"أي مبنى؟"

"ناطحة السحاب تلك التي هناك."

يتطلع باري إلى برج أبيض على طراز (الآرت ديكو) له تاج من الزجاج والفولاذ، وهو يشعر بغصة تنعقد في قرارة جوفه.

يسأل: "أي طابق؟"

"من أي طابق قفزت؟"

تمر سيارة إسعاف صارخة، تدوي بأضوائها وصفارات إنذارها بينما تنطلق بسرعة عبر التقاطع التالي مباشرة.

"الحادي والأربعون. يبدو الأمر وكأنه انتحار آخر نتيجة متلازمة الذاكرة الزائفة."

يميل باري بسيارته إلى الرصيف ويخرج منها. يهرول عبر الشارع، رافعا شارته بسرعة في وجه شرطي الدورية المطوقين للمنطقة.

يبطئ من سرعته عندما يقترب من دائرة من رجال الشرطة، وفنيي طب الطوارئ، ورجال الإطفاء، كلهم تجمعوا حول سيارة لنكولن تاون سوداء تحطم سقفها بشكل مذهل.

قبل أن يسير إلى هناك كان قد أعد نفسه لرؤية الآثار البشعة لكسور سقوط من ارتفاع أربعمئة قدم على الجسد البشري، لكن آن فوس بترتز تبدو سليمة تقريبا. الدمار الخارجي الوحيد المرئي هو خيط صغير من الدماء من أذنيها وفمها. هبطت على ظهرها، وبطريقة يبدو بها السقف المحطم للسيارة التاون وكأنه يحملها برفق وحنو. ساقاها متقاطعتان عند كاحليها، وذراعاها الأيسر يتقاطع فوق صدرها ويستقر على وجهها، وكأنها نائمة فقط.

ملاك ساقط من السماء.

لم يكن الأمر أنه قد نسي. كان تذكره لفندق الذاكرة، وموته في حوض العزل، وعودته إلى الليلة التي ماتت فيها ميجان، دائما هناك على حافة وعيه - حزمة من الذكريات المغبشة.

لكن كانت هناك أيضا سمة أشبه بالحلم بالنسبة للأحد عشر عاما الماضية. لقد غرق في تفاصيل الحياة، ومع عدم وجود أي صلة

ملموسة بالحياة التي انتزع منها، كان من السهل للغاية أن يُنحَى ما قد حدث في أعماق خبايا الوعي والذاكرة.

لكن الآن، وهو جالس في مقهى على ضفاف نهر هدرسون مع جوليا وميجان في صبيحة عيد ميلاد ابنته السادس والعشرين، ينتابه وعي مُغشٍ لكونه في هذه اللحظة للمرة الثانية. يعود كل هذا إليه في فورة ذاكرة صافية كاماء. جلس هو وجوليا إلى مائدة غير بعيدة عن هذا المكان، يتخيلان ما كان يمكن أن تفعله ميجان لو كانت حية اليوم. افترض هو أنها كان يمكن أن تكون محامية. ضحكا حول هذا وتذكرا المرة التي قادت فيها سيارته محطمة باب الجراج، قبل أن يقارنا ذكرياتهما عن أجازة عائلية ذهبا فيها إلى منابع الهدسون.

والآن تجلس ابنته أمامه، ولأول مرة منذ وقت طويل، يشعر بالارتباك حيال حضورها. حيال حقيقة أنها موجودة. شعور قوي مثل الأيام الأولى لعودته إلى الذاكرة، عندما كانت كل لحظة تشرق كهدية.

يرتج باري عائدا إلى الوعي في الثالثة صباحا، صاحيا على صوت دق في شقيقته. يتدحرج هابطا من فراشه، خارجا ببطء من دثار النوم بينما يترنح خارجا من حجرته. وجيم-بوب، منقذه، ينبح بشراسة في اتجاه الباب.

نظرة سريعة عبر العين السحرية تعيده فجأة إلى كامل وعيه - جوليا واقفة في ضوء الرواق الغائم. يدير الترباس، ويلقي بالسلسلة جانبا، ويجذب الباب ليفتحه. عيناها متورمتان من البكاء، وشعرها في حالة كارثية، وترتدي معطفا واقيا من المطر على البيجامة، وكتفها مغطيان بنثار الثلج.

تقول: "حاولت أن أتصل. كان هاتفك مغلقا."

"ماذا حدث؟"

"هل يمكن أن أدخل؟"

يتنحى إلى الورا، وتدخل شقته، وفي عينيها حدة بها مس من الجنون. يأخذ برفق ذراعها، ويقودها إلى الأريكة.

"أنت ترعيبيني يا جولز. ما الأمر؟"

تنظر إليه وهي ترتعد. "هل سمعت بمتلازمة الذاكرة الزائفة؟"

"نعم، لماذا؟"

"أعتقد أنني مصابة بها."

تنقبض معدته. "ما الذي يجعلك تقولين هذا؟"

"منذ ساعة، صحت مصابة بصداق فظيع ورأس مليء بذكريات تلك الحياة الأخرى. ذكريات رمادية فاترة." تمثلي عيناها بالدموع. "ماتت ميجان في حادث صدمتها فيه سيارة وفرت بينما كانت في المدرسة الثانوية. بعد سنة حدث الطلاق بيننا. تزوجت رجلا اسمه أنتوني. كان كل شيء حقيقيا للغاية. كأني عشته بالفعل. تناولنا أنا وأنت وجبة الإفطار المتأخر بالأمس في نفس ذاك المقهى على النهر، فقط لم تكن ميجان هناك. كانت ميتة منذ أحد عشر عاما. صحت الليلة، وحيدة في فراشي، بلا أنتوني، مدركة أنه، في الواقع، تناولنا أنا وأنت معها الغداء بالأمس. أنها حية." ترتعش يدا جوليا بعنف. "ما الحقيقي يا باري؟ أي حزمة من الذكريات هي الحقيقة؟" تنهار. "هل ابنتنا حية؟"

"نعم."

"لكنني أتذكر الذهاب إلى المشرحة معك. رأيت جسدها المكسور. لقد رحلت. أتذكر ذلك وكأنه حدث بالأمس. كان عليهم أن يحملوني خارجا. كنت أصرخ. أنت تذكر، أليس كذلك؟ هل حدث هذا؟ هل تتذكر موتها؟"

يجلس باري على الأريكة مرتديا سرواله الداخلي، واصلا إلى إدراك أن كل هذا يخلق نوعا ما مربعا من المعنى. قفزت آن فوس بوترز من فوق مبنى (بو) منذ ثلاث ليال، تناول وجبة الإفطار المتأخر مع ميجان وجوليا بالأمس. ما يعني أن الليلة هي الليلة التي أعيد فيها إلى ذكرى آخر مرة رأى فيها ابنته حية. لا بد أن اللحاق بهذه اللحظة قد أطلق سراح كل ذكريات جوليا عن هذا الخط الزمني الميئس الذي ماتت فيه ميجان.

"باري، هل أفقد عقلي؟"

وعندئذ يخطر له على نحو صادم - إذا كانت جوليا تمتلك هذه الذكريات، فإن ميجان تمتلكها كذلك.

ينظر إلى جوليا. "علينا أن نذهب."

"لماذا؟"

يقف. "الآن فورا."

"باري..."

"أنصتي إليّ - أنت لا تفقدين عقلك، لست مجنونة."

"أنت تذكر موتها أيضا؟"

"نعم."

"كيف يمكن هذا؟"

"أعذك أن أفسر كل شيء، لكن الآن فورا علينا أن نذهب إلى ميجان."

"لماذا؟"

"لأنها تعاني من نفس الشيء الذي تعاني منه. إنها تتذكر موتها هي نفسها."

يأخذ باري طريق الجانب الغربي السريع، متوجها جنوبا عبر عاصفة ثلجية خارجا من واشنطن هايتس والامتدادات الشمالية لمانهاتن، والطريق مهجور في هذا الوقت من الليل.

تمسك جوليا بهاتفها على أذنها وتقول: "ميجان، من فضلك اتصلي بي عندما تصلك هذه. أنا قلقة عليك. أنا وأبوك قادمان إليك الآن حالا." تنظر عبر لوحة التحكم إلى باري وتقول: "ربما تكون نائمة فقط. إنه منتصف الليل."

ينطلقان عبر الشوارع الخالية لجنوبي مانهاتن، قاطعين الجزيرة إلى (نوهو)، وإطارات السيارة تنزلق على الإسفلت الأملس.

يتوقف باري بالسيارة أمام مبنى ميجان، ويترجلان وسط الثلج المنهمر.

عند المدخل، يضغط جهاز الطنان الكهربائي المؤدي إلى شقة ميجان خمس مرات، لكنها لا ترد.

يلتفت إلى جوليا. "هل لديك مفتاح؟"
"لا".

يبدأ في رن أجهزة الشقق الأخرى حتى يدخلهم أحدهم أخيرا.

مبنى ميجان من مباني ما قبل الحرب، متداعٍ وبلا مصعد. يندفع هو وجوليا صاعدين ست طوابق من سلم كثيب إلى الدور العلوي ويجريان قاطعين رواقا بإضاءة كابية. الشقة I في نهاية الرواق - ودراجة ميجان مسنودة على نافذة مخرج الحريق.

يدق على الباب بقبضته. ولا من مجيب. يأخذ خطوة إلى الوراء، يرفع ساقه اليمنى ويركل الباب. تنطلق شوكة من الألم صاعدة في ساقه، لكن الباب يرتج فقط.

يركله مرة أخرى، بقوة أكبر هذه المرة.

ينفتح بصوت مدوٍ، ويهرعان داخلين في الظلام.

"ميجان!" تتلمس يده الحائط حتى تصطدم بزر الإضاءة وتشعله، ويسقط الضوء على استديو صغير. ثمة كوة نوم على اليمين - فارغة. على اليسار مطبخ داخلي صغير. وثمة طرقة قصيرة تؤدي إلى الحمام. يندفع نحوه، لكن جوليا تندفع متجاوزة إياه، وهي تصرخ باسم ابنتها.

عند نهاية الصالة، تسقط على ركبتها، وهي تقول: "حبيبتي، يا إلهي، أنا هنا."

يصل باري إلى نهاية الصالة، ويسقط قلبه بين ضلوعه. ميجان راقدة على الأرضية المصنوعة من المشمع وجوليا على الأرض بجوارها، تمرر يدها عبر رأسها. عينا ميجان مفتوحتان، وللحظة موجعة، يظنها ميتة.

ترمش بعينيها.

يرفع باري بحرص ذراع ميجان اليمنى، متفحصا النبض في شريانها الكعبري. نبضها قوي، ربما أقوى من اللازم، وسريع إلى حد ما. يتساءل - هل تتذكر أثر اصطدامها بشيء يزن طنين ويتحرك بسرعة ستين ميلا في الساعة؟ اللحظة التي توقف فيها وعيها؟ أيا كان ما جاء بعد ذلك؟ كيف يكون الحال عندما تتذكر موتك أنت نفسك؟ كيف يمكن لأحد حتى أن يتذكر حالة اللاوجود؟ كظلام؟ عدم؟ يذهله الأمر كاستحالة، مثل القسمة على صفر.

يقول برقة: "ميجان، هل يمكنك أن تسمعي؟"

تتحرك، تحديق متطلعة إليه الآن، وعيناها تبدوان مكتملتين، كأنها تراه بالفعل.

"بابا؟"

"ماما وأنا هنا يا حبيبتي."

"أين أنا؟"

"في شقتك، على أرضية حمامك."

"هل أنا ميتة؟"

"لا، بالطبع لا."

"لديّ هذه الذكرى. لم تكن موجودة من قبل. كنت في الخامسة عشر، أسير إلى ديري كوين لأرى أصدقائي. كنت أتحدث في الهاتف، لم أكن أفكر، وبدأت أعبّر الشارع. أذكر صوت محرك سيارة. التفّْتُ وحدثتُ في أضواء أمامية قادمة. أذكر السيارة وهي تصدمني وبعد ذلك الرقاد على ظهري، مفكرة كم كنت غبية. لم أتألم كثيرا إلى هذا الحد، لكنني لم أستطع الحركة، وكل شيء كان يتحول إلى الظلام. لم أستطع الرؤية، وعرفت ما هو آت. عرفت أن هذا معناه نهاية كل شيء. هل أنت متأكد أنني لست ميتة؟"

"أنت هنا معي ومع أمك.." يقول باري. "أنت حية للغاية."

ترف عينا ميجان إلى الورا وإلى الأمام، كحاسوب يعالج بيانات.

تقول: "لا أعرف ما هو حقيقي."

"أنت حقيقية. أنا حقيقي. هذه اللحظة حقيقية." لكن حتى وهو يقول هذا، هو ليس متأكدا. يتفحص باري زوجته السابقة،

مفكرا كم تبدو مثل جوليا القديمة، وقد عاد الثقل الأسود لموت
ميجان إلى عينيها.

يسأل جوليا: "أي مجموعة من الذكريات تبدو أكثر حقيقية
بالنسبة لك؟"

تقول: "ليست واحدة أكثر حقيقية من الأخرى. الأمر فقط أنني
أعيش في عالم يتمشى مع كون ابنتي حية. الحمد لله. لكنني أشعر
وكأنني عشت العالمين. ماذا يحدث لنا؟"

يطلق باري زفرة طويلة ويميل بظهره مستندا على باب الدش.

"في الـ... لا أعرف حتى ما أسميها به... الحياة الماضية حيث ماتت
ميجان، كنت أحقق في قضية تتضمن متلازمة الذاكرة الزائفة. كانت
هناك أشياء غير منطقية. ذات ليلة - تلك الليلة في الحقيقة - وجدت
هذا الفندق الغريب. جرى تخديري، وعندما أفقت، كنت مربوطا في
مقعد وأواجه رجلا هدد بقتلي إذا لم أتذكر ليلة موت ميجان."

"لماذا؟"

"ليس لدي فكرة. لا أعرف حتى اسمه. لاحقا، وُضعت في غرفة
عزل. شلّني، وبعد ذلك أوقف قلبي. وبينما كنت أموت، بدأت أمر
بهذه الومضات الحادة من الذكرى التي كنت قد وصفتها له. لا
أعرف كيف، لكن وعيي ذا الخمسين عاما كان... عاد إلى جسد ذاتي في
التاسعة والثلاثين من العمر."

تتسع عينا جوليا ميلا بأكمله، وتنهض ميجان قائمة في جلستها.

يقول: "أعلم أن الأمر يبدو جنونيا، لكنني عدت فجأة إلى الليلة
التي ماتت فيها ميجان." ينظر إلى ابنته. "كنت قد خرجت للتو
من الباب. اندفعت وراءك ولحقك بك قبل ثوان من عبورك الشارع
وقيام السيارة الموستانج المسرعة بصدمك. أتذكرين هذا؟"

"أعتقد هذا. كنت منفعلا بشكل عجيب."

تقول جوليا: "أنقذتها.."

"ظلمت أفكر أن هذا كله كان حلما، أو خبرة غريبة ما سأنتزع منها في أي لحظة. لكن الأيام مرت. ثم الشهور. ثم الأعوام. وأنا فقط... سقطت في روتين حياتنا. بدا كل شيء طبيعيا للغاية، وبعد فترة، لم أعد أفكر بالفعل قط فيما قد حدث لي. حتى ثلاث ليال مضت."

تسأله ميجان: "ماذا حدث منذ ثلاث ليال؟"

"قفزت هذه المرأة من فوق مبنى في الجانب الغربي الشمالي، وهو الحادث الذي كان قد وضعني على طريق تلك القضية الخاصة بالذاكرة الزائفة التي بدأت بها. كان الأمر أشبه بالاستيقاظ من حلم طويل. عمر من حلم. والليلة كانت هي الليلة التي أعدت فيها إلى تلك الحياة الأخرى."

لا يمكنه تحديد إن كان التعبير الذي على وجه جوليا عدم تصديق أم صدمة.

أما عينا ميجان فقد صارتا زجاجيتين. تقول: "ينبغي أن أكون ميتة."

يمشط شعرها بأصابعه إلى خلف أذنيها بالطريقة التي اعتاد أن يفعلها عندما كانت فتاة صغيرة.

"لا، أنت في المكان الصحيح الذي ينبغي أن تكوني فيه. أنت حية. هذا هو الشيء الحقيقي."

يُفوّت العمل ذلك الصباح، ليس فقط لأنه لم يعد إلى شقته إلا في السابعة صباحا. هو يخشى أن تكون ذكريات زملائه عن موت ميجان

قد انبثقت كذلك ليلة أمس - امتداد عمره أحد عشر عاما من الذكريات الزائفة حيث لم تكن ابنته حية فيها.

عندما يصحو، يجد هاتفه يكاد ينفجر بالإشعارات من نصف قائمة اتصالاته - مكالمات فائتة ورسائل في البريد الصوتي، رسائل محمومة عن ميجان. لا يرد على أي منها. يجب أن يتكلم مع جوليا وميجان أولاً. ينبغي أن يكونوا على نفس الخط فيما يقولونه للناس، رغم أنه لا يستطيع أن يتخيل ماذا قد يبدو عليه ذلك الخط.

يدخل بار (نوهو) بعد ناصية شقة ميجان ليقابل ابنته وزوجته السابقة، ويجدهما تنتظرانه في مقصورة بأحد الأركان، قريبة من المطبخ المفتوح بما يكفي للشعور بحرارة الموقد وسماع قعقعة القدور والطاسات وطشيش الطعام على الشواية.

ينزلق باري إلى جوار ميجان ويلقي معطفه عبر الدكة.

تبدو منهكة، حائرة، مصدومة.

وجوليا ليست في حال أفضل كثيرا.

"كيف حالك يا ميجز؟" يسأل، لكن ابنته ترد فقط بالتحديق فيه، ووجهها أشبه بحائط مصمت.

ينظر إلى جوليا. "هل تحدثتِ إلى أنتوني؟"

"حاولت أن أتصل به لكنني لم أتمكن من الوصول إليه."

"أأنت بخير؟"

تهز رأسها، وعيناها تتلألأان. "لكن الأمر اليوم لا يتعلق بي."

يطلبون طعاما وجولة من المشروبات.

تسأل جوليا: "ماذا نقول للناس؟ لقد جاءتني أكثر من دسته مكالمات اليوم."

يقول باري: "نفس الأمر معي. أعتقد علينا حالياً أن نلتزم بفكرة أن هذه متلازمة الذاكرة الزائفة. على الأقل هذا شيء قد يكونوا سمعوا به."

تسأل جوليا: "ألا ينبغي أن نخبر الناس بما حدث معك يا باري؟ عن هذا الفندق الغريب والكرسي وعيشك هذه السنوات الإحدى عشرة مرة ثانية؟"

يتذكر باري التحذير الذي وُجه إليه في الليلة التي عاد فيها إلى ذكرى موت ميجان.

لا تخبر أحدا. لا زوجتك. ولا ابنتك. لا أحد.

يقول: "هذه المعرفة التي لدينا خطيرة بالفعل. علينا أن نحفظ بكل هذا لأنفسنا حالياً. فقط نحاول أن نعيش حياة عادية مرة أخرى."

"كيف؟" تسأل ميجان بصوت مهزوم. "أنا حتى لا أعرف كيف أفكر في حياتي بعد ذلك."

يقول باري: "ستكون الأمور غريبة في البداية، لكننا سنعود من جديد إلى مسارات وجودنا الروتينية. إذا لم يكن هناك شيء آخر يمكنك به وصف جنسنا، فنحن قابلون للتكيف، أليس كذلك؟"

بالجوار، يضع نادل صينية مشروبات.

تبدأ أنف ميجان في النزف.

يشعر باري بومضة ألم خلف عينيه، ومن وراء المائدة أمامه، تعاني جوليا بوضوح من شيء مشابه.

يرين الصمت على البار، لا أحد يتكلم، يجلس الجميع مجمدين إلى موائدهم.

الصوت الوحيد هو الموسيقى الآتية عبر السماعات وطنين جهاز تلفاز.
يدا ميجان ترتعشان.
وكذلك يدا جوليا.
ويداه.

في التلفاز أعلى البار، يحدق مذيع الأخبار في الكاميرا، والدم يجري
سائلا على وجهه بينما يبحث عن الكلمات: "أنا، إمام... سأكون
صادقا، لا أعرف بالضبط ما حدث للتو. لكن شيئا ما حدث بوضوح."
تتغير الصورة إلى لقطة حية تطل على الحدود الجنوبية لسنترال
بارك.

هناك مبنى في الشارع التاسع والخمسين الغربي لم يكن هناك منذ
لحظة واحدة.

بارتفاع يزيد عن ألفي قدم، هو ببساطة أطول شيء في المدينة،
ومكون من برجين، واحد في الشارع السادس، والآخر في السابع،
ويتصلان عند قمتهما ليشكلا حرف U ممدودا مقلوبا.

تصدر ميجان صوتا أشبه بالنشيج.

يجذب باري معطفه، وينزلق خارجا من المقصورة.

تسأله جوليا: "إلى أين أنت ذاهب؟"

"فقط تعاليا معي."

يتحركون عبر المطعم المذهول ويعودان إلى الخارج، حيث يتكومون
في سيارة باري الكراون فيك. يطلق السارينة وينطلق بسرعة شمالا في
برودواي، ثم إلى الشارع السابع. لا يتمكن باري من الوصول بهم إلا
قرب الشارع الثالث والخمسين الغربي قبل أن يغدو الشارع غير قابل
للاجتياز مع تكديس المرور.

في كل مكان حولهم، يخرج الناس من سياراتهم.

يتركون سيارة باري العالية ويسرون مع الحشد.

بعد عدة مربعات من المباني، يتوقفون أخيرا في منتصف الشارع ليروه بأعينهم. هناك آلاف من أهل نيويورك حولهم، بوجوه مرفوعة في اتجاه السماء، وكثير منهم يرفعون هواتفهم ليلتقطوا صورا ومقاطع فيديو لتلك الإضافة الجديدة لخط أفق مانهاتن - البرج المتخذ شكل حرف U والقائم عند الطرف الجنوبي لسنترال بارك.

تقول ميجان: "لم يكن هذا موجودا منذ لحظة. أليس كذلك؟"

يقول باري: "لا، لم يكن. لكن في نفس الوقت..."

تقول جوليا: "كان موجودا لسنوات.."

يحدثون في أعجوبة الهندسة المسماة (بيج بيند)، ويفكر باري أنه حتى هذه اللحظة كانت متلازمة الذاكرة الزائفة تطير إلى حد كبير دون أن يكشفها الرادار - مجرد قضايا معزولة تعيث فسادا في حياة الغرباء.

لكن هذا سيؤثر على كل من في المدينة، وكثيرين حول العالم.

سيغير هذا كل شيء.

زجاج وفولاذ البرج الغربي للمبنى يسكان بأشعة متفرقة من الشمس الغاربة، وذكريات وجود باري مع هذا المبنى في المدينة تتدفق.

"لقد صعدت إلى قمته.." تقول ميجان، والدموع تسيل على وجهها.

هذا صحيح.

"معك يا بابا. كانت أفضل وجبة في حياتي."

عندما حصلت على درجة البكالوريوس في العمل الاجتماعي، اصطحبها للعشاء في (كيرث)، المطعم الموجود في الأعلى ذو المنظر الرائع للمنتزه. ولم يكن المنظر فقط هو ما جذبهما؛ فقد كان لدى ميجان ولع طعامي بالطاهي، جوزيف هارت. يتذكر باري بوضوح ركوب مصعد كان ينتقل من صعود عمودي إلى طلوع بزاوية خمس وأربعين درجة عبر الزاوية الأولية للمنحنى إلى حركة جانبية أفقية عبر قمة البرج.

وكلما أطال في تحديقته فيه، كلما شعر أنه شيء يمثل جزءا من هذا الواقع.

واقعه.

أيا كان ما يعنيه هذا حتى بعد الآن.

"بابا؟"

"نعم؟" قلبه يدق بشدة؛ يشعر أنه ليس على ما يرام.

"هل هذه اللحظة حقيقية؟"

يخفض نظره إليها. "لا أعرف."

بعد ساعتين، يدخل باري إلى البار منخفض الإيجار قرب بيت جوين في هيلز كيتشن ويرتقي المقعد المستدير إلى جوارها.

تسأله جوين: "أأنت بخير؟"

"هل تَمَّ من أحد بخير؟"

"حاولت أن أتصل بك هذا الصباح. صحت بهذا التاريخ البديل لصداقتنا. تاريخ ماتت فيه ميجان في حادث سيارة صدمتها وفرت عندما كانت في الخامسة عشر. هي حية، صحيح؟"

"جئت للتو من جلسة معها."

"كيف حالها؟"

"بأمانة؟ لا أعرف. تذكرت موتها ليلة أمس."

"كيف يمكن هذا؟"

ينتظر حتى تأتي مشروباتهما، وبعد ذلك يخبرها بكل شيء، بما في ذلك خبرته الاستثنائية في الكرسي.

"عدت داخل ذكرى؟" تهمس وهي تميل مقربة منه.

تفوح بمزيج من ويسكي (وايلد تري)، وأيا كان نوع الشامبو الذي تستخدمه، والبارود. يتساءل باري إن كانت قد أتت مباشرة إلى هنا من ميدان الرماية، حيث تكون متعة للنظر. هو لم يرقط أي أحد يطلق النار مثل جوين.

"نعم، وبعد ذلك بدأت أعيشها، لكن وميجان حية هذه المرة. حتى هذه اللحظة."

تسأله: "أعتقد أن هذا هو ما تكون متلازمة الذاكرة الزائفة بالفعل؟ تغيير الذكريات لتغيير الواقع؟"

"أنا أعلم أنها كذلك."

في التليفزيون المكتوم الصوت فوق البار، يرى باري صورة لرجل يعرفه من مكان ما. في البداية، لا يمكنه ربط التعرف بذكرى معينة. يقرأ باري الترجمة النصية لتقرير مذيع الأخبار.

[أمور توويلز، المعماري الشهير مصمم بيچ بيند، عُثر عليه مقتولا في شقته منذ ساعة عندما...]

تسأله جوين: "هل مبنى بيچ بيند هذا نتاج للكرسي؟"

"نعم. عندما كنت في ذلك الفندق العجيب، كان هناك ذلك الشخص، الجنّلمان الأكبر سناً. أعتقد أنه كان يحضر. سمعت مصادفة هذه المحادثة حيث قال إنه كان معمارياً، وعندما سيعود إلى ذاكرته، سيتابع العمل على مبنى كان يندم دائماً على عدم متابعة العمل عليه. في الحقيقة، كان مرتباً أن يذهب إلى الكرسي اليوم، وهو الموعد الذي تغير فيه الواقع بالنسبة لنا جميعاً. أعتقد أنهم قتلوه لمخالفته القواعد."

"أي قواعد؟"

"أخبروني أنه من المفترض بي فقط أن أعيش حياتي بشكل أفضل قليلاً. ممنوع التلاعب بالنظام. ممنوع التغييرات الهائلة."

"هل تعرف لماذا يترك الناس يعيشون حياتهم من جديد؟ ذلك الرجل الذي صنع الكرسي؟"

يعب باري بقية بيرته. "لا فكرة لدي."

ترتشف جوين كأسها من الويسكي. لقد أغلق صندوق الموسيقى، والآن يرفع الساقى صوت التليفزيون ويتنقل بين القنوات. كانت كل الشبكات تبث تغطيات دون توقف منذ ظهر المبنى هذا المساء. على قناة سي إن إن، ثمة "خبرة" في متلازمة الذاكرة الزائفة جيء بها من مكان ما لتلغو حول ما يسمونه "عطل الذاكرة" في مانهاتن. تقول: "إذا كانت الذاكرة غير موثوق بها، إذا كان يمكن ببساطة تغيير الماضي والحاضر دون إنذار، فستتوقف الحقائق والوقائع عن الوجود. كيف نعيش في عالم كهذا؟ لهذا نرى وباء من حالات الانتحار."

تسأله جوين: "أتعرف أين يكون هذا الفندق؟"

"لقد مرت إحدى عشرة سنة - على الأقل في ذهني - لكن ربما يمكنني أن أجده مرة أخرى. أعرف أنه في وسط المدينة، بافتراض أنه مازال موجودا."

تقول جوين: "لم تُبَيِّنْ عقولنا كي نتعامل مع واقع يغير ذكرياتنا باستمرار ويبدل حاضرنّا. ماذا لو كانت هذه هي البداية فقط؟" يهتز هاتف باري في جيبه باعثاً دُذْبَاتَه في ساقه. "آسف لهذا."

يُخرِجه ويقرأ رسالة نصية من ميجان:

بابا. لا يمكنني تحمل الأمر

أكثر من هذا. لا أعرف من أكون.

لا أعرف.

لا أعرف أي شيء غير أنني لا

أنتمي إلى هنا. آسفة جداً.

أحبك دائماً.

ينزلق هابطاً من فوق المقعد المستدير.

تسأله جوين: "ما الخطب؟"

يبدأ الجري نحو الباب.

يظل الاتصال بميجان يقوده مباشرة إلى البريد الصوتي، وفي أعقاب ظهور مبنى بيج بيند، مازالت شوارع المدينة مسدودة.

بينما يقود باري سيارته في اتجاه نوهو، يمسك بميكروفون جهاز اللاسلكي الخاص به ويتصل بقناة نيويورك وان ليطلب أن تمر وحدة من الوحدات الموجودة في جوار شقة ميجان للتأكد أنها بخير.

"نيويورك وان، 158، هل تتحدث عن البلاغ رقم 904B في شارع بوند؟ لدينا العديد من الوحدات وسيارات الإطفاء هناك بالفعل وسيارات الإسعاف في الطريق."

"عم تتحدث؟ أي مبنى؟"

"12 شارع بوند."

"هذا مبنى ابنتي."

يسود صمت في موجات الأثير.

يلقي باري ميكروفون اليد، ويشعل أضواء سيارته، ويندفع صارخا عبر الزحام المروري، شاقا طريقه متعرجا ما بين السيارات، ملتفا حول الحافلات، منطلقا عبر التقاطعات.

وعندما ينعطف في شارع بوند بعد عدة دقائق، يترك سيارته عند حاجز الشرطة ويعدو نحو سيارات الإطفاء التي تصوب تيارات الماء نحو واجهة مبنى ميجان، حيث تتراقص ألسنة اللهب خارجة من نوافذ الطابق السادس. المشهد عبارة عن فوضى خالصة - صف من مصابيح الطوارئ ورجال الشرطة يرفعون شريطا لإبقاء سكان المباني المجاورة على مسافة آمنة بينما يتدفق ساكنو مبنى ميجان خارجين من المدخل الأمامي.

يحاول شرطي أن يوقفه، لكن باري ينتزع ذراعه مبتعدا، ويرفع شارته في سرعة البرق، ويندفع نحو سيارات الإطفاء ومدخل المبنى، وحرارة ألسنة اللهب تجعل وجهه يطفح بحبات العرق.

يتمايل رجل إطفاء خارجا من المدخل، الذي انتزع بابه من مفصلات. يحمل رجلا متقدما في السن، وقد اسودَّ وجههما.

ملازم إطفائي - عملاق ملتج - يخطو في مواجهة باري، سادا طريقه. "عد وراء الشريط."

"أنا شرطي، وهذا مبنى سكن ابنتي!" يشير عالياً إلى ألسنة اللهب المندلعة من نافذة الطابق العلوي في الطرف القصي. "تلك هي شقتها التي تندلع النيران منها!"

تتهدل ملامح الملازم. يمسك بذراع باري ويجذبه بعيداً عن طريق طابور من رجال الإطفاء يحملون خرطوماً نحو أقرب صنبور حريق. "ماذا؟" يسأل باري. "قل لي فقط."

"بدأ الحريق في تلك الشقة في المطبخ. وهو ينتشر عبر الطابقين الخامس والسادس الآن."

"أين ابنتي؟"

يلتقط الرجل نفساً، ويلقي نظرة من وراء كتفه.

"أين ابنتي اللعينة؟"

"يقول الرجل: انظر إليّ.."

"هل أخرجتها؟"

"نعم. أنا آسف جداً لإبلاغك بهذا، لكنها ماتت."

يترنح باري إلى الوراء. "كيف؟"

"كانت هناك زجاجة فودكا وبعض الأقراص على سريرها. نعتقد أنها تناولتها وبعد ذلك حاولت أن تصنع شاياً، لكنها فقدت الوعي بعد قليل. شيء ما على الطاولة كان أقرب مما ينبغي من الشعلة. كان الأمر عرضياً، لكن..."

"أين هي؟"

"هيا نجلس و..."

"أين هي؟"

"على الرصيف، على الجانب الآخر من هذه الشاحنة."

يندفع باري نحوها، لكن فجأة تطوقه ذراعا الرجل من ظهره بقوة.

"أوافق أنك تريد أن تفعل هذا يا أخي؟"

"ابتعد!"

يطلقه الرجل، ويقفز باري من فوق الخراطيم، متحركا أمام الشاحنة، مقتربا أكثر من النار. تنسحب الفوضى بالتدريج. كل ما يراه هو قدما ميجان الحافيتان تبرزان من أسفل الملاءة البيضاء التي تغطيها، والتي تنشع بللا وتكاد تبدو شفافة من أثر رشاش خراطيم الحريق.

تخذله ساقاه.

يسقط على الرصيف وينهار بينما يسقط الماء كالمطر فوقه.

يحاول الناس الكلام معه، أن يجعلوه يقوم ليذهب معهم، أن يتحرك، لكنه لا يسمعهم. يحدق مباشرة من خلالهم.

في اللاشيء.

مفكرا - لقد فقدتها مرتين الآن.

مرت ساعتان منذ موت ميجان، وما زالت ثيابه رطبة.

يصف سيارته في محطة بن ويبدأ السير شمالا من الشارع الرابع والثلاثين، تماما مثلما فعل بعد العودة من مونتوك في قطار منتصف الليل، في الليلة التي تعثر فيها بفندق الذاكرة.

تلك الليلة، كانت تمطر ثلجا.

والآن تمطر، والأبنية متسريلة بالضباب أعلى طوابقها الخمسين،
والهواء بارد بما يكفي لتحويل أنفاسه إلى سحب.

تربض المدينة صامته على نحو غريب.

سيارات قليلة على الطريق.

أشخاص أقل على الأرصفة.

الدموع باردة على وجهه.

يفتح مظلمته بعد ثلاثة مربعات سكنية. في ذهنه، مرت إحدى
عشرة سنة منذ الليلة التي دخل فيها فندق الذاكرة. زمناً، حدث
هذا اليوم، فقط في ذاكرة زائفة.

عندما يصل باري إلى الشارع الخمسين الغربي، تمطر بشكل أقسى،
وتنخفض طبقات السحاب. هو واثق أن الفندق كان في الشارع
الخمسين، وهو متأكد أنه توجه شرقاً.

يظل يقبض لمحات من قاعدتي بيج بيند، الساطعتين في المطر. أما
قوسه العلوي فمختبأ في الغيوم بارتفاع حوالي ألفي قدم.

يحاول ألا يفكر في ميجان في هذه اللحظة، لأنه عندما يفكر فيها،
يتداعى تماماً مرة أخرى، وهو بحاجة لأن يكون قوياً، بحاجة إلى عقله
واعياً.

بردانا ومتعباً للغاية يبدأ في التساؤل إن كان ربما قد سار غرباً تلك
الليلة، بدلاً من السير شرقاً، عندما تجذب انتباهه على البعد لافتة
بضوء النيون الأحمر.

مطعم ماكلاشلان

إفطار

غداء

يتحرك باري نحو اللافتة حتى يقف تحتها، مراقبا المطر وهو يسقط عبر الإضاءة الحمراء.

يسرع من خطاه.

يمر إلى جوار محل البقالة اللاتيني الصغير، الذي يتذكره، وبعد ذلك متجر الخمور، ومحل ملابس السيدات، والبنك - كلها مغلقة - حتى، قرب نهاية كتلة المباني، يتوقف عند المدخل المؤدي إلى ممر السيارات المظلم، الذي ينحدر هابطا داخل مساحة تحت الأرض أسفل مبنى على الطراز القوطي الحديث، محشور بين ناطحتي سحاب اعلى.

لو سار هابطا ذلك الممر، سيصل إلى باب جراج مصنوع من الفولاذ المقوى.

هكذا دخل فندق الذاكرة منذ كل تلك الأعوام.

هو واثق تماما من هذا.

ثمة جزء منه يريد أن يعدو هابطا هناك، ويندفع مقتحما المكان، ويطلق النار على كل شخص لعين يراه داخل ذلك الفندق، نهاية بالرجل الذي وضعه في الكرسي. لقد تحطم دماغ ميجان بسببه. هي ميتة بسببه. يجب أن ينتهي فندق الذاكرة.

لكن هذا في الأغلب لن يؤدي إلا إلى قتله.

لا، سيتصل بجوين بدلا من ذلك، ويعرض عليها القيام باقتحام دون ترخيص، عملية لا تلفت الانتباه مع حفنة من الزملاء في قوات التدخل السريع. وإذا أصرت، سيأخذ شهادة إلى أحد القضاة. سيقطعون

الكهرباء عن المبنى، ويدخلون بمعدات الرؤية الليلية، ويقومون بمسح المبنى طابقا طابقا.

من الواضح أن بعض العقول، مثل ميجان، لا تستطيع التعامل مع تغير واقعهم، والدمار الجانبي مأساوي أيضا - بالإضافة إلى ابنته، مات ثلاثة أشخاص في مبناها من الحريق، ومن خلال اللاسلكي في أثناء قيادته إلى محطة بن، سمع مزيذا من التقارير عن أشخاص - أفقدهم ظهور بييج بيند توازنهم - يعيشون فسادا في المدينة.

عقول سليمة تختل، وعقول مختلة يجري الدفع بها إلى الحافة.

يُخرج هاتفه، ويفتح قائمة الاتصالات، ويتصفحها هابطا إلى حرف ج.

وبينما يحوم إصبعه فوق اسم جوين، يهتف شخص ما باسمه.

يلقي نظرة عبر الشارع، ويرى شخصا يعدو تجاهه.

يصرخ صوت امرأة: "لا تُجر هذا الاتصال!"

يمد بالفعل يده داخل سترته، ويفك بإبهامه زر جراب المسدس المعلق إلى كتفه، ويضع قبضة قوية على مسدسه الجلوك الصغير، مفكرا أنها ربما تعمل لصالح من صنع الكرسي أيا كان، وهو ما يعني - اللعنة! - أنهم يعرفون أنه يستطلع المبنى.

"باري، لا تطلق النار من فضلك."

تبطئ حركتها وتسير، رافعة يديها.

مفتوحتان، خاليتان.

تقترب بحذر، طولها تقريبا خمسة أقدام، ترتدي حذاء طويلا وسترة جلدية سوداء مرصعة بحبات المطر. كومة من الشعر الأحمر تصل إلى ذقنها، لكنها مبتلة. كانت تنتظره في المطر. الشيء الذي

يجرده من سلاحه هو الطيبة في عينيها الخضراوتين، وشيء آخر،
يفاجئته - بشكل غريب - ألا وهو الألفة.

تقول: "أعلم أنك أعدت إلى أسوأ ذكرى في حياتك. الرجل الذي فعل
هذا هو ماركوس سليد. يملك هذا المبنى. وأعلم ما حدث للتو لميجان.
أنا آسفة جدا يا باري. أعلم أنك تريد أن تفعل شيئاً حيال هذا."
"تعملين لصالحهم؟"

"لا."

"هل أنت قارئة أفكار؟"

"لا."

"إذاً كيف أمكنك أن تعرفي ما حدث لي؟"

"أنت أخبرتني."

"لم أرك من قبل في حياتي."

"أخبرتني في المستقبل، بعد أربعة شهور من الآن."

يخفض المسدس، وعقله يتلوى مبروما في عقد. "هل استخدمتِ
ذلك الكرسي؟"

تتطلع إلى عينيه بحدة تبعث كهرباء باردة أسفل عموده الفقري.
"أنا اخترعت الكرسي."

"من تكونين؟"

"هيلينا سميث، وإذا ذهبت إلى مبنى سليد مع جوين، سيؤدي
هذا إلى نهاية كل شيء."

السفر الثالث

الزمن هو ما يمنع كل شيء من الحدوث مرة واحدة.

راي كامينجز

مكتبة
t.me/t_pdf

باري

6 نوفمبر 2018

تأخذ المرأة ذات الشعر الناري بذراع باري وتجذبه ليسيرا على الرصيف، بعيدا عن مدخل الجراج تحت الأرض.

تقول: "لسنا بأمان هنا. دعنا نسير إلى سيارتك. محطة بن، صحيح؟"

ينتزع باري ذراعه بعيدا عنها ويبدأ في التحرك في الاتجاه المعاكس.

تصيح به: "الوقوف على ممر السيارات في بيتكم في بورتلاند، مراقبا كسوبا كليا للشمس مع أبيك. قضاء الأصيف مع جديك في بيتهم الريفي في نيوهامبشير. كنت تجلس في بستان التفاح وتحكي لنفسك قصصا خيالية."

يتوقف ويعود بناظريه إليها.

تستمر: "رغم أنك كنت في حالة بؤس شديد عندما ماتت أمك، إلا أنك كنت أيضا ممتنا؛ لأنك عرفت متى سيحين وقتها، وكانت لديك فرصة مناسبة لتوديعها. للتأكد من أنها عرفت أنك تحبها. لم تملك هذا مع والدك، الذي مات فجأة عندما كنت في الخامسة عشر. مازلت تصحو في منتصف الليل أحيانا، متسائلا إن كان قد عرف."

تعتريه الرعدة قبل أن يصل إلى سيارته الكراون فيك. تركع هيلينا على ركبتيها فوق الرصيف المبتل وتمر بيديها عبر محمل عجلات السيارة.

يسألها باري: "ماذا تفعلين؟"

"أتأكد من عدم وجود أي جهاز تتبع في سيارتك."

يدخلان السيارة هاربين من المطر، يدير المدفأة وينتظر أن يدفئ المحرك الهواء المتجمد الذي يهب عبر فتحات التهوية.

في المسيرة التي استغرقت أربعين دقيقة من الشارع الخمسين، حكّت له قصة مجنونة ليس واثقا تماما من تصديقه لها، عن كيف صنعت الكرسي بالصدفة على منصة نفط خارج الخدمة في خط زمني سابق.

"لديّ ما هو أكثر بكثير كي أحكيه لك.." تقول هيلينا وهي تربط حزام مقعدها.

"يمكننا الذهاب إلى شقتي."

"ليست آمنة هناك. ماركوس سليلد يعرفك، ويعرف أين تعيش. وإذا أدرك، في أي لحظة في المستقبل، أننا نعمل معا؛ سيستخدمك من أجل الوصول إليّ. يمكنه استخدام كرسيه للعودة إلى هذه الليلة والعثور علينا في هذه اللحظة. عليك أن تتوقف عن التفكير بطريقة خطية. ليس لديك فكرة عما هو قادر عليه."

تتدفق أنوار نفق (باتري) عابرة فوق رأسيهما، بينما هيلينا تشرح كيف هربت من منصة نفط سليد إلى ذكراها الخاصة، وفرت إلى كندا.

"كنت مستعدة لعيش بقية حياتي مختبئة. أو لقتل نفسي لو حدث وعثر سليد عليّ. كنت وحيدة تماما - ماتت أمي عام 2011، وأبي بعدها بوقت قليل. لكن في عام 2016، بدأت تظهر على السطح أول التقارير عن مرض جديد غامض."

"متلازمة الذاكرة الزائفة."

"لم تدخل متلازمة الذاكرة الزائفة في الوعي العام الكامل حتى وقت قريب، لكنني عرفت على الفور أن وراءها سليد. في أول عامين لاختفائي، لم تكن لديه أي ذكرى عن وقتنا معا على المنصة. في ذهنه، كنت قد اختفيت بعد أن جاءني جي-وون بعرض الوظيفة. لكن عندما عدنا إلى عام 2009، خاصة الليلة التي هربت فيها باستخدام الكرسي، اكتسب سليد كل ذكريات وقتنا معا. كانت ذكريات ميتة بالطبع، لكنها - وهنا أخطأت في حساباتي - كانت تضم ما يكفي من المعلومات بالنسبة له كي يصنع الكرسي في النهاية وكل مكوناته بنفسه. أتيت إلى نيويورك، التي بدت قاعدة تفشي متلازمة الذاكرة الزائفة، متصورة أن سليد قد بنى مختبره الجديد في المدينة وكان يختبر الكرسي على الناس. لكنني لم أستطع العثور عليه. وصلنا تقريبا."

في أعماق حي ريد هوك، يقود باري ببطء مارا بصف من المستودعات محاذة المياه. تشير هيلينا إلى بنائتها، لكنها تجعل باري يصف سيارته على مربعة خمس بلوكات في زقاق مظلم، يتوارى في الظل بين مكبي نفايات طافحين.

كان المطر قد توقف.

في الخارج، ثمّة هدوء مثير للأعصاب، والهواء يفوح برائحة القمامة المبتلة وبرك مياه المطر الراكدة. تظل عين عقله تستحضر اللوحة الأخيرة من ميجان - راقدة على الرصيف القذر أمام بنائها، وقدامها الحافيتان بارزتان من تحت الملاءة المبتلة.

يبتلع باري حزنه، ويفتح صندوق السيارة، ويُخرج بندقيته الآلية وصندوقاً من القذائف.

يسيران على أرصفة مكسورة مسافة ربع ميل، وباري متأهب للمركبات أو الخطى المقتربة، لكن الضجة الوحيدة تأتي من أريز بعيد لطائرات الهليكوبتر التي تدور حول المدينة والأبواق ذات الصوت العميق لمراكب الشحن في النهر الشرقي.

تقوده هيلينا إلى باب معدني عسير على الوصف في جانب بناية مواجهة للمياه مازالت تحمل لافتات مصنع البيرة الخاص بشاغلها السابق.

تضغط شفرة الباب، ويدخلان، وتضيء المصابيح. يفوح المستودع برائحة قشور الحبوب المستهلكة في عملية صنع البيرة، ويملاً صدى وقع أقدامهما المكان ككاتدرائية مهجورة. يمران بصفوف من خزانات التخمر المصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ، وبرميل هرس صديء، وأخيراً بقايا خط التعبئة في زجاجات.

يصعدان أربعة طوابق من السلام إلى دور علوي متسع به نوافذ من الأرض إلى السقف تطل على النهر، وجزيرة جوفرنرز، والطرف الشمالي المتلألئ لمانهاتن.

الأرضية مليئة بمسارات الكابلات ومتاهة من ألواح الدوائر الكهربائية المفكوكة. ثمّة رف من الخوادم الحاسوبية المصنوعة خصيصاً تطن بطول حائط من الطوب القديم، وما يبدو على هيئة كرسي في طور الإنشاء - إطار من الخشب الخام مع حزم من الأسلاك

المكشوفة تمتد فوق الذراعين والأرجل. وشيء يشبه على نحو غامض خوذة مثبتة بإحكام إلى طاولة عمل ومحاطة بفوضى من الدوائر الكهربائية غير المكتملة.

يسألها باري: "أنت تصنعين كرسيك الخاص؟"

"أستعين بمصادر خارجية في البرمجة والأعمال الهندسية، لكنني صنعته مرتين بالفعل، لذلك لديّ بعض الطرق المختصرة في جعبتي والكثير من استثماراتي. لقد أدت التطورات في المعالجة الحاسوبية إلى تقليل النفقات كثيرا منذ زمني على المنصة. هل أنت جائع؟"

"لا."

"حسنٌ، أنا أتضور جوعا."

وراء حائط الخوادم الحاسوبية، ثمة مطبخ متواضع، وأمامه تسريحة وسرير موضوعان بمحاذاة النوافذ. مع هذا الغياب لأي فاصل حقيقي بين مكان العمل ومكان العيش، يبدو الطابق العلوي بالضبط كما هو - مختبر عالمة بائسة، ولعلها مجنونة.

يغسل باري وجهه في حوض الحمام، ويجد هيلينا عند الموقد، تعتني بمقلاتين.

يقول: "أنا أحب ويفثوس رانتشيروس."

"أعرف. وأنت بالفعل تحب طريقة طهيي له، حسنا، تقنيا هي وصفة أمي. اجلس."

يتخذ مجلسه إلى مائدة صغيرة من الفورمايكا، وتُحضر هي طبقا.

باري ليس جائعا، لكنه يعرف أنه ينبغي أن يأكل. يقطع واحدة من البيضات الخفيفة النضج، ويسيل الصفار على الفول والصلصة الخضراء. يأخذ قزمة كبيرة. كانت على حق - إنها أفضل ما أكله من هذه الوجبة.

تقول هيلينا: "والآن عليّ أن أخبرك بأشياء لم تحدث بعد."

يصدق باري فيها من خلف المائدة، مفكراً أن هناك سمّاً مهووساً في عينيها، اللتين تبدوان غير مستقرتين.

تقول: "بعد ظهور مبنى البيج بيند، سيصل جنون متلازمة الذاكرة الزائفة إلى درجة الحمى. وبشكل صادم، ستظل تُرى كوباء غامض دون مسببات محددة، رغم أن حفنة من علماء الفيزياء النظرية سيبدؤون في إطلاق أفكار حول ثقب دودية مصغرة وإمكانية أن يمر شخص ما بتجربة الزمكان.

بعد غد، ستأخذ فريقاً من قوات التدخل السريع لتقتحموا فندق سليد. سيموت هو وأغلب فريقه في الهجوم. ستذكر الصحف أن سليد كان ينشر فيروساً عصبياً يهاجم مناطق من المخ تخزن الذاكرة. ستشغل دورة الأخبار بهذا لفترة، لكن خلال شهر ستخو الهستيريا الجماهيرية. سيبدو وكأن اللغز قد تم حله، وجرت استعادة النظام، ولن تكون هناك حالات جديدة لمتلازمة الذاكرة الزائفة."

وبينما تزدرد هيلينا لقيمات قليلة، تشرق على ذهن باري فكرة أنه يجلس إلى مائدة في مواجهة امرأة تخبره بالمستقبل. لكن حتى هذا ليس بالجزء الأغرب. الجزء الأغرب هو أنه يبدأ في تصديقها.

تضع هيلينا شوكتها جانبا.

تقول: "لكنني أعرف أن الأمر لم ينته. أتخيل الأسوأ - أنه بعد هجومك مع قوات التدخل السريع، سقط الكرسي في يدي شخص آخر. لذلك بعد شهر من الآن، سأتي وأجذك. وسأثبت صدق نواياي بإخبارك بما وجدته في مختبر سليد بالضبط."

"وهل سأصدقك؟"

"في النهاية. تخبرني أنه خلال الهجوم، وقبل أن يُقتل سليد، حاول أن يدمر الكرسي والمعالجين، لكن جرى إنقاذ بعض ذلك. عملاء حكوميون - لا تعرف لمن كانوا يعملون - جاؤوا وأخذوا كل شيء. ليست لدي طريقة للمعرفة، لكنني أظن أنهم لا يعرفون ما هو الكرسي، أو كيف يعمل. أغلبه محطم، لكنهم يعملون نهارا وليلا ليعيدوا هندسة كل شيء. هل يمكنك تخيل الأمر لو نجحوا؟"

يتجه باري إلى الثلاجة، وفي يده رعدة بينما يجذب الباب ليفتحه ويُخرج زجاجتين باردتين طويلتي العنق.

يعود لمجلسه. "إذا قيامي بالهجوم على مختبر سليد سيؤدي إلى هذا."

"نعم. لقد عاينت هذا الكرسي. وتعرف قوته. مما يمكنني قوله، سليد استخدمه فقط ليعيد قلة منتقاة إلى ذكرياتهم. من يعرف لم؟ لكن انظر إلى الخوف والذعر اللذين يسببهما. لن يستغرق الأمر كثيرا من العبث بالواقع حتى تخرج البشرية عن مسارها تماما. علينا أن نوقفه."

"بكرسيك؟"

"لن يكون جاهزا للعمل قبل أربعة أشهر أخرى. كلما طال انتظارنا، كلما زادت فرصة أن يجد شخص ما مختبر سليد قبل أن نصل إليه. لقد وضعته بالفعل على رادار جوين. وبمجرد أن يعرف الناس بوجود الكرسي، ستعود ذكرياتهم عنه دائما، ولا يهم عدد المرات التي سيتغير فيها الخط الزمني. بنفس الطريقة التي تذكرت بها جوليا وميجان موت ميجان في حادث اصطدام وفرار ليلة أمس."

"لم تأت ذكرياتهما إلا عندما وصلنا إلى اللحظة التي كنت قد استخدمت فيها الكرسي في الخط الزمني السابق. هل يسير الأمر دائما على هذا النحو؟"

"نعم، لأنها كانت اللحظة التي اندمج فيها وعيهما وذكرياتهما من الخط الزمني الأسبق في هذا الخط. أسمىها الذكرى السنوية للخط الزمني."

"إذاً ماذا تقترحين أن نفعل؟"

"أنا وأنت نسيطر على مختبر سليلد غدا. ندمر الكرسي، والبرمجيات، وكل البنية التحتية، وكل أثر لوجوده. لديّ فيروس جاهز لتحميله على شبكته القائمة بذاتها بمجرد دخولنا. سيقوم هذا الفيروس بإعادة صياغة كل شيء."

يشرب باري بيرته، وثمّ انقباض متزايد في معدته.

"هل وافق أناي المستقبلي على هذه الخطة؟"

تبتسم هيلينا: "في الحقيقة، صغناها معا."

"هل اعتقدتُ أني وأنت لدينا فرصة؟"

"بأمانة؟ لا."

"ماذا تعتقدين؟"

تميل هيلينا إلى الورا في مقعدها. تبدو مرهقة حتى عظامها.
"أعتقد أننا أفضل فرصة يمتلكها العالم."

يقف باري عند حائط النوافذ قرب سرير هيلينا، ناظرا عبر النهر الأسود بلون الحبر إلى المدينة. يتمنى أن تكون جوليا بخير، لكنه يشك في هذا. عندما اتصل بها، انهارت باكية في الهاتف، وأغلقت الخط، ورفضت أن تستقبل مكالماته. هو يظن أن جزءا منها يلقي باللوم عليه.

يهيمن مبنى بيچ بيند الآن على خط الأفق، ويتساءل باري إن كان سيعتاد عليه أبدا، أم أنه سيظل دائما - له وللآخرين - يمثل الجانب الذي لا يُعتمد عليه من الواقع.

تأتي هيلينا إلى جواره.

تسأله: "أأنت بخير؟"

"أرى باستمرار ميجان ميتة على الرصيف. كان بمقدوري تقريبا أن أرى وجهها عبر الملاءة المبتلة التي غطوها بها. العودة وعيش تلك الإحدى عشرة سنة مرة أخرى - في النهاية لم تُصلح شيئا بالنسبة لأسرتي."

"أنا آسفة جدا يا باري."

ينظر إليها.

يشهق ويزفر.

يسألها: "هل سبق لك أن تعاملت مع مسدس؟"

"نعم."

"مؤخرا؟"

"أنت المستقبلي عرفت أننا سنكون فقط من نهجم على بناية سليد، لذا بدأت تأخذني إلى حلبة إطلاق النيران."

"أمتأكدة من أنك مستعدة لهذا؟"

"صنعتُ الكرسي لأن أُمي أصيبت بالألزهايمر. أردت أن أساعدها وأساعد الآخرين مثلها. ظننت أننا إذا استطعنا تصور كيفية القبض على الذكريات، فسيقودنا هذا إلى فهم الطريقة التي تمنعها من أن تتمحي كليةً. لم أقصد بالكرسي أن يصبح ما أصبح عليه. هو لم يدمر

حياتي فقط، بل إنه الآن يدمر حيوات الآخرين. فقد أناس أحياءهم.
مُحيت أعمار كاملة لهم. مُحي أطفال."

"لم تقصدي أن يحدث أي من هذا."

"ومع ذلك ها نحن ذا، وكان طموحي هو ما وضع هذا الجهاز
في يديّ سليد، وآخرين فيما بعد." تنظر إلى باري. "أنت هنا بسببي.
العالم يفقد عقله الجمعي بسببي. هناك مبنى لعين في الخارج لم
يكن هناك بالأمس بسببي. لذلك لا أبالي فعلاً بما يحدث لي غدا طالما
سندمر كل أثر لوجود الكرسي. أنا مستعدة للموت إذا كان هذا ما
يتطلبه الأمر."

لم ير الأمر حتى هذه اللحظة - الثقل الذي تحمله. كراهية الذات
والندم. كيف ينبغي أن يشعر المرء نتيجة خلقه لشيء يمكنه تدمير
بنية الذاكرة والزمن؟ ماذا ينبغي أن يكلفها من ثمن كي تتحمل ثقل
كل هذا الشعور بالذنب والرعب والذعر والقلق؟

يقول باري: "مهما كان، استطعت أن أرى ابنتي تشب بسبك."

"لا أقصد أن يبدو هذا بالطريقة التي سيبدو بها، لكن لم يكن
ينبغي لك. إذا لم يكن بمقدورنا الاعتماد على الذاكرة، سيتحلل جنسنا.
وهو ما يحدث بالفعل."

تحقق هيلينا في المدينة عبر المياه، ويظن باري أن هناك شيئاً
غامراً في هشاشتها تلك اللحظة.

تقول: "ربما ينبغي أن نحظى ببعض النوم. يمكنك الحصول على
فراشي."

"لن آخذ سريرك منك."

"أنام على الأريكة معظم الليالي على أي حال، حتى أتمكن من
النوم على صوت التلفاز."

تستدير لتذهب.

"هيلينا."

"ماذا؟"

"أعرف أنني لا أعرفك فعلا، لكنني متأكد أن حياتك أكبر من هذا الكرسي."

"لا. هو يحددني. قضيت الجزء الأول من حياتي أحاول صنعه. وسأقضي بقيتها أيا كانت محاولة أن أدمره."

هيلينا

7 نوفمبر 2018

تتمدد مواجهة التلفاز، ضوء الشاشة يرف على جفنيها المغلقين والصوت مرتفع فقط بما يكفي لشغل ذهنها الذي لا يهدأ قط. يسحبها شيء ما إلى وعي كامل ومفاجئ. تنتفض جالسة على الأريكة. إنه باري فقط، يبكي بصوت خفيض في الجانب الآخر من الحجرة. تتمنى أن تصعد إلى السرير وتهذهه، لكن هذا سيكون أسرع من اللازم - هما غريبان بالأساس. ربما يحتاج إلى التحسر وحيدا الآن على أي حال.

تستقر عائدة على الوسائد من جديد، ونوابض الأريكة تصرّ بينما تسحب البطانيات إلى عنقها. لا يغيب عنها كم يبدو غريباً أن تتذكر المستقبل. إن ذكرى وداعها هي وباري في هذه الحجرة نفسها، بعد أربعة شهور من الآن، مازالت تنبض بالوجع. كانت تطفو في حوض

العزل، ومال باري منحنيا وقبّلها. كانت هناك دموع في عينيه بينما كان يغلق الغطاء. وفي عينيها أيضا. بدا مستقبليهما مليئا للغاية بالوعود، وكانت هي تقتله.

باري الذي تركته خلفها يعرف بالفعل إن كانت قد نجحت. كان سيعرف في اللحظة التي ماتت فيها في الحوض، حيث سيتبدل واقعه على الفور ليتماشى مع هذا الواقع الجديد الذي تخلقه.

تقاوم الرغبة في إيقاظ باري الحاضر وإخباره. فلن يجعل هذا من اقتحام مختبر سليلد غدا إلا أمرا أكثر صعوبة، بضخه ألما عاطفيا في الأشياء. وماذا ستقول؟ كانت هناك شرارات؟ كيمياء؟ الأفضل هو الالتزام بالخطّة. كل ما يهم هو أن يمضي الغد على خير وجه. هي لا تستطيع منع الدمار الذي جلبه عقلها على العالم، لكن ربما يمكنها أن تغلق الجرح، وتوقف النزيف.

كانت لديها ذات مرة مثل هذه الأحلام الهائلة - محو تأثيرات مرض يخرب الذاكرة. والآن، مع رحيل أمها وأبيها ودون أصدقاء حقيقيين تتكلم معهم باستثناء رجل موجود على مبعدة أربعة شهور من المستقبل بعيد المنال، أعيد ضبط أحلامها من تغيير العالم إلى أحلام شخصية على نحو يائس.

تود ببساطة أن تكون قادرة على الرقاد ليلا، في سلام، ببال هادئ. تحاول أن تنام، عارفة أنها تحتاج إلى هذا الليلة ربما أكثر من أي ليلة أخرى في حياتها.

لذا بالطبع يراوغها النوم.

في المساء ينسلان خارجين من الباب الخلفي لبنايتها، منتظرين لحظة كي يتفحصا الشوارع القريبة قبل المغامرة بالخروج إلى العراء.

الحي في أغلبه عبارة عن مبانٍ صناعية مهجورة، وهناك حركة مرورية أقل من أن نتحدث عنها، ولا شيء يبدو مثيرا للشك.

وبينما يسلك باري بهما طريقا عبر بروكلين هايتس، يرمقها عبر وحدة التحكم بينهما. "عندما كنت ترينني الكرسي ليلة أمس، ذكرت أنك قد صنعتيه مرتين من قبل. متى كانت المرة الأولى؟" تأخذ رشفة من القهوة التي أحضرتها معها - تعويذتها ضد الليلة السابقة من السهد البائس.

"في الخط الزمني الأصلي، كنت رئيسة لمجموعة بحث وتطوير لصالح شركة اسمها إيون مقرها في سان فرانسيسكو. لم يكونوا مهتمين بالتطبيقات الطبية للكرسي. لم يروا إلا القيمة الترفيهية وعلامات الدولار التي جاءت معها.

كنت أستهلك طاقتي، أحرق وقتي، دون أن أصل إلى أي غاية. كانت إيون على وشك أن تقطع التمويل عن بحثي عندما أصيب موضوع اختبار بنوبة قلبية ومات داخل حوض العزل. مررنا جميعا بتحول طفيف للواقع، لكن لم يفهم أحد ما حدث. لا أحد باستثناء مساعدي، ماركوس سليد. كان عليّ أن أسلم الأمر إليه - وأدرك هو ما قد خلّقه حتى قبل أن أدركه أنا.

"وماذا حدث؟"

"بعد بضعة أيام، طلب أن يقابلني في المختبر. وقال إن الأمر طارئ. وعندما ظهرت، كان معه مسدس. أجبرني على الدخول إلى النظام وتحميل برنامج إعادة تنشيط ذكرى كنا قد رسمنا خريطة لها. وعندما فعلت ذلك، قتلني."

"متى كان هذا؟"

"منذ يومين. 5 نوفمبر 2018، بالطبع، حدث هذا منذ عدة خطوط زمنية."

يأخذ باري طريق الخروج متجها إلى جسر بروكلين.
يقول: "لا أقصد أن أشكك فيما فعلتيه سابقا، لكن ألم يكن باستطاعتك أن تعودى إلى ذكرى مختلفة؟"
"كأن أحول دون ولادتي حتى لا يُصنع الكرسي أبدا؟"
"هذا ليس ما قصدته."

"أنا لا أستطيع العودة والحيلولة دون ولادتي. يمكن هذا لشخص آخر، وعندئذ أغدو ذكرى ميتة. لكن عندما يتعلق الأمر بالكرسي لا توجد هناك أي مفارقة أصلية أو مفارقة زمنية. كل شيء يحدث، حتى لو جرى تغييره أو التراجع عنه، يستمر في العيش في الذكريات الميتة. السبب والنتيجة مازالا حيين وبخير."

"طيب، إذًا ماذا عن العودة إلى ذكرى ما على منصة النفط؟ كان بمقدورك أن تدفعي سليلد من فوق المنصة أو شيء كهذا."

"كل شيء حدث على المنصة موجود في الذكريات الميتة. لا يمكنك العودة إليها. لقد حاولنا - مع نتائج كارثية. لكن نعم، كان ينبغي أن أقتله عندما كانت لدي الفرصة."

هما الآن في منتصف الطريق عبر النهر، تندفع العوارض المعلقة مارة فوق رأسيهما. ربما يكون هذا من أثر القهوة، وربما نتيجة اقترابهما من المدينة، لكنها فجأة في كامل صحوها.

يسألها باري: "ما هي الذكريات الميتة؟"

"إنها ما يظنه الجميع ذكريات زائفة. فيما عدا أنها غير زائفة. هي فقط حدثت في خط زمني أنهاه شخص ما. مثلاً، الخط الزمني

الذي صدمت فيه سيارة ابنتك هو الآن ذكرى ميتة. أنت أنهيت هذا الخط الزمني وبدأت هذا الخط عندما قتلك سليد في حجرة العزل.

يدخلان وسط المدينة، ويتوجهان شمالا في الجادة الثالثة، وبعد ذلك ينعطفان يسارا إلى الشارع التاسع والأربعين الشرقي قبل أن يتوقفا في النهاية إلى جانب الرصيف فقط على مسافة صغيرة مما قد يكون مدخلا إلى بناية سليد - بهو بواجهة كاذبة مع صف من المصاعد التي لا تؤدي إلى أي مكان. الطريق الوحيد الحقيقي هو عبر الجراج المنشأ تحت الأرض في الشارع الخمسين.

ينهمر المطر بغزارة عندما يترجلان من السيارة. يُخرج باري حقيبة سوداء من القماش الخشن من صندوق السيارة، وتتبعه هيلينا صاعدين الرصيف ومتجهين بعد خطوات قليلة إلى مدخل بار كانا فيه مرة من قبل، بعد أربعة شهور من الآن، عندما جاءا ليستطلعا مدخل النفق المؤدي إلى بناية سليد ويناقشا خططهما من أجل هذه اللحظة بالضبط.

بار (دبلومات) زنخ الرائحة ممثلى على نحو مدهش، وكل جزء منه بلا روح كما تتذكره بالضبط. تجذب^أ شارة باري انتباه النادل الضئيل الحجم. إنه نفس الشخص الذي قابلته هي وباري بعد أربعة شهور من الآن في مستقبل ميت - أحرق لديه عقدة نابليون، لكنه شخص يحمل على نحو مفيد خوفا صحيا من رجال الشرطة. تقف إلى جوار باري وهو يقدم نفسه، وبعد ذلك هيلينا باعتبارها زميلته، موضحا أنهما بحاجة إلى الدخول إلى القبو لأنه جرى الإبلاغ عن اعتداء جنسي حدث هناك ليلة أمس.

لمدة خمس ثوان، تعتقد هيلينا أن هذا لن ينجح. يحدق النادل فيها وكأنه لم يبتلع تماما وجودها في هذا الموقف بأكمله. يمكنه أن

يطلب أمر تفتيش. يمكنه أن يحمي مؤخرته وينادي صاحب المكان. لكنه بدلا من ذلك، ينادي على واحدة اسمها كارلا.

تضع واحدة من الساقيات صينية بلاستيكية مليئة بأكواب الجين الفارغة على البار وتأتي على مهلها.

يقول النادل: "هذان شرطيان. هما في حاجة إلى رؤية القبو."

تهز كارلا كتفيها، ثم تستدير دون كلمة وتتوجه بطول البار إلى داخل حجرة تخزين باردة. تقودهما عبر متاهة من البراميل الفضية الصغيرة إلى باب ضيق في أبعد ركن من الحجرة المبردة.

بعد أن تنتزع مفتاحا من مسمار في الحائط، تفتح القفل المثبت على الباب. "كلمة تحذير - ليست هناك مصابيح في الأسفل."

يفتح باري سوستة الحقيبة، ويخرج مصباحا يدويا.

تقول: "أتى الرجل مستعدا. طيب، إذًا، سأترككما لعملكما."

ينتظر باري حتى ترحل ليفتح باب القبو.

يكشف شعاع المصباح اليدوي سلما خانقا مشكوكا في سلامته، يهبط إلى جوف الظلام. الرطوبة العتيقة المنتشرة كاسحة - رائحة مكان منسي منذ زمن طويل. تأخذ هيلينا نفسا عميقا لتهدئ من جنون نبضها المتسارع.

يسألها باري: "أهذا هو؟"

"هو هذا."

تتبعه هابطين الدرجات التي تئن تحت وطأتهما، والتي تفضي إلى قبو يضم صفوفًا من الرفوف المتداعية وبرميل نפט صدئا مليئا بالزباله المحروقة.

في الطرف الآخر من الحجرة، يجذب باري بابا آخر ليفتحه بصرير محطم للأعصاب. يعبران العتبة إلى داخل ممر مقوس بحوائط من الطوب المتفتت.

الجو أبرد هنا أسفل شوارع المدينة، الهواء شديد الرطوبة وممتلئ برائحة العفن الفطري ويضج بصوت تقاطر الماء الجاري والخربشات البعيدة غير المرئية لما تخشاه هيلينا: الفئران. تقود هيلينا المسيرة.

وقع أقدامهما يثير طرطشات لها صدى.

كل خمسين قدما، يمران بأبواب متفسخة تؤدي إلى أحشاء بنايات أخرى.

عند التقاطع الثاني، تنعطف في ممر جديد، وبعد مائة قدم أو نحو ذلك، تتوقف وتُري باري بابا مثل بقية الأبواب. يتطلب الأمر قدرا معقولا من الضغط حتى يتمكن من إدارة المقبض، وعندما يستجيب، يدفع الباب بكتفه، لينفتح بصرير عال.

يخرجان من النفق إلى قبو آخر، حيث يلقي باري بالحقيبة القماشية على الأرضية الحجرية ويفتحها. يُخرج منها عتلة، وحزمة من رابطات الأسلاك، وعلبة من القذائف عيار 12، وبندقية آلية، وأربع خزائن احتياطية لمسدسه الجلوك.

يقول: "احملي أكبر عدد من الخراطيش الزائدة يمكنك حمله."

تمزق هيلينا غطاء العلبة وتبدأ في حشو الجيوب الداخلية لسترتها الجلدية بالقذائف. ويتأكد باري من حشو مسدسه الجلوك، ويخلع معطف المطر الذي يرتديه، ويحشو جيوبه بالخزائن الاحتياطية. ثم يرفع العتلة ويجتاز الحجرة نحو الباب الأحدث. هو موصل

من الناحية الأخرى. يضع طرف العتلة عميقا داخل عضادة الباب ويجذب الذراع إلى الخلف بأقوى ما يمكنه.

في البداية، لا شيء هناك إلا صوته وهو يعتل. ثم يأتي صوت التشقق العميق للخشب وصرير المعدن وهو يسقط. وعندما ينشق الباب، يمد باري يده عبر الفتحة وينتزع قفلا مكسورا صدئا. وبعد ذلك يفتح بحرص الباب بما يكفي من اتساع لهما كي يعبرا منضغطين. يدخلان حجرة المرجل القديمة في الفندق، والتي يبدو أنها كانت متعطلة خلال نصف القرن الماضي على الأقل. يشقان طريقهما عبر متاهة من الماكينات والآلات القديمة، حتى يمران أخيرا بالمرجل الضخم ذاته، ثم يتحركان عبر مدخل يؤدي إلى أسفل سلم خدمات يلتف صاعدا إلى جوف الظلام.

يهمس باري: "مرة أخرى أي طابق فيه شقة سليد؟"

"الرابع والعشرون. المختبر في السابع عشر، والخوادم الحاسوبية في السادس عشر. هل أنت مستعد؟"

"أتمنى لو كنا سنستقل المصاعد."

خطتهما أن يذهبا مباشرة من أجل سليد، أملين أن يكون في مقره في شقة الدور العلوي. في اللحظة التي سيسمع فيها إطلاق نار أو يلتقط رائحة لأي شيء مريب، من المحتمل أن يهرع إلى الكرسي حتى يتمكن من العودة وإيقافهما قبل حتى أن يضعا قدما داخل بنايته. يبدأ باري الصعود، مبقيا المصباح اليدوي موجهها نحو أقدامهما. تصعد هيلينا في أثره، محاولة أن تخطو برفق قدر ما تستطيع، لكن خشب السلام القديم يتلوى ويئن تحت ثقلهما.

بعد عدة دقائق، يتوقف باري عند باب مرسوم رقم 8 على الحائط بجواره، ويطفئ النور.

تهمس هيلينا: "ما الأمر؟"

"سمعت شيئا."

يقفان مصغيين في الظلام، وقلبيها يدق بقوة والبندقية الآلية تزداد ثقلا مع كل لحظة. لا يمكنها أن ترى شيئا، ولا يمكنها أن تسمع شيئا غير أنة خافتة منخفضة أشبه بنفّس يمر فوق فتحة زجاجة.

من مكان عال فوقهما، يُصوّب شعاع واحد من الضوء هابطا مركز السلم ويميل نحوهما عبر الأرضية ذات المربعات الشطرنجية. "هيا..". يهمس باري، فاتحا الباب وجاذبا إياها إلى داخل ممر.

يتحركان بسرعة في الممر المغطى بالسجاد الأحمر بين حجرات فندقية، أرقامها مُسقطّة على الأبواب من مصابيح في الحائط المقابل. في منتصف الممر، يفتح باب الحجرة 825 إلى الداخل وتخرج سيدة في منتصف عمرها، ترتدي روبا أزرق منقوش على طية صدره حرفا "HM" وتحمل دلو ثلج فضيا.

يلقي باري نظرة سريعة نحو هيلينا، التي تومئ برأسها. هما على مبعدة عشرة أقدام الآن من نزيلة الفندق، التي لم ترهما بعد.

يقول باري: "سيدتي؟"

وعندما تنظر في اتجاههما، يصبو مسدسه نحوها.

يسقط دلو الثلج على الأرض.

يرفع باري إصبعه على شفّتيه بينما يقتربان منها بسرعة.

"ولا كلمة.." يقول، ويدفعانها عبر المدخل ويتبعانها إلى داخل الغرفة.

توصد هيلينا المزلاج، وتربط السلسلة.

"لديّ بعض المال والبطاقات الائتمانية..."

"لسنا هنا من أجل هذا. اجلسي على الأرض وابق فمك مغلقا.."
يقول باري.

يبدو أن المرأة خرجت للتو من الدش. شعرها الأسود مبتل، ولا أثر لماكياج على وجهها. لا تلتقي عينا هيلينا بعينيها.

يلقي باري بالحقيبة القماشية على الأرض، ويفتحها ويخرج حزمة الأربطة.

تتوسل المرأة: "أرجوك، لا أريد أن أموت."

تقول هيلينا: "لن يؤذيكي أحد.."

"هل أرسلكما زوجي؟"

"لا..!" يقول باري. ينظر إلى هيلينا. "أذهبني وضعي بعض الوسادات في حوض الاستحمام."

تنتزع هيلينا أربع وسادات من فوق السرير المتداعي ذي الأعمدة الأربعة وتضعها في الحوض ذي الأقدام المخليبة، الذي يقف على منصة صغيرة تطل على الغسق الهابط على المدينة والبنائيات بادئة في التوهج بأنوارها.

عندما تعود إلى حجرة النوم، يكون باري قد جعل المرأة ترقد على بطنها ويربط رسخيها وكاحليها. وأخيرا يرفعها فوق كتفه ويحملها إلى داخل الحمام، حيث يضعها برفق في الحوض.

يسألها: "لماذا جئتِ إلى هنا؟"

"أتعرف ماهية هذا المكان؟"

"بلى."

تسيل الدموع على وجهها. "صنعت خطأ جسيماً منذ خمسة عشر عاماً."

تسألها هيلينا: "ماذا؟"

"لم أترك زوجي عندما كان ينبغي أن أتركه. أضعت أفضل سنين حياتي."

يقول باري: "سيأتي أحدهم من أجلك.." ثم يمزق قطعة من لفافة شريط لاصق ويضعها على فمها.

يغلقان الباب المؤدي إلى الحمام. المدفأة المدارة بالغاز تشع حرارة لطيفة. وزجاجة الشمبانيا التي يبدو أن المرأة كانت على وشك أن تشربها تقف على منضدة القهوة إلى جوار كوب وحيد ودفتر يوميات مفتوح على صفحتين مليئتين بخط اليد.

لا تستطيع هيلينا أن تتمالك نفسها. تلقي نظرة على الكتابة الأنيقة وتذكر أنها سرد لذكرى، ربما هي التي كانت المرأة الراقدة في حوض الاستحمام ستعود إليها.

تبدأ هكذا: في المرة الأولى التي ضربني فيها كنت واقفة في المطبخ في الساعة العاشرة مساءً، أسأله أين كان. أتذكر حمرة وجهه ورائحة البوربون في أنفاسه وعينه الدامعتين.

تغلق هيلينا الدفتر وتذهب إلى النافذة، مزينة الستارة جانباً.

يتسلل ضوء هزيل.

تطل من ارتفاع ثمانية طوابق على الشارع التاسع والأربعين الشرقي، ويمكنها أن ترى سيارة باري على مبعدة بضعة أمتار من كتلة المباني.

المدينة مبتلة، كثيفة.

المرأة تبكي في الحمام.

يتجه باري إليها ويقول: "لا أعرف إن كنا مستعدين تماما. لكن بغض النظر، ينبغي علينا أن نغمر في أثر سليلد الآن. أقترح أن نجرب حظوظنا مع المصعد."

مكتبة

t.me/t_pdf

"هل معك سكين؟"

"نعم."

"هل يمكنني أن أراها؟"

يمد باري يده داخل جيبه ويخرج سكيناً مطويًا بينما تخلع هيلينا سترتها الجلدية وتطوي كمّي قميصها الرمادي.

تتناول السكين منه، وتجلس على أحد المقاعد الكبيرة، وتفتح النصل.

يسألها: "ماذا تفعلين؟"

"أصنع نقطة توفير."

"ماذا؟"

تُدخل طرف السكين في جانب ذراعها الأيسر فوق الكوع وتسحب النصل عبر جلدها.

وعندما يأتي الألم ويبدأ الدم في التدفق...

باري

7 نوفمبر 2018

يسألها باري: "ماذا تفعلين بحق الجحيم؟"

عينا هيلينا مغلقتان، وفمها يرتخي قليلا منفتحا، وهي ساكنة تماما.

ينتزع باري السكين من يديها بحرص. للحظة طويلة، لا شيء يحدث. ثم تنفتح عيناها الخضراوتان اللامعتان على نحو خاطف. لقد تغير شيء ما فيهما. هما تنضحان بخوف وحدة حديثي العهد.

يسألها باري: "أأنت بخير؟"

تمسح هيلينا الحجر بعينيها، وتلقي بنظرة على ساعة معصمها، ثم تحيط بذراعيها باري بشراسة مباغتة.
"أنت حي."

"بالطبع أنا حي. ماذا حدث لك؟"

تقوده إلى السرير. يجلسان، وتزيح هيلينا واحدا من أكياس الوسائد وتمزق قطعة من القماش، وتبدأ في ربطها حول جرحها الذي أصابت به نفسها لتوقف النزيف.

تقول: "أنا فقط استخدمت الكرسي للعودة إلى هذه اللحظة. أنا أبدأ خطأ زمنيا جديدا."

"كرسيك؟"

"لا، الكرسي الموجود بالأعلى في الطابق السابع عشر. كرسي سليد."
"لا أفهم."

"لقد عشت بالفعل الخمس عشرة دقيقة التالية. وألم جرح نفسي للتو كان مجرد دليل إرشادي للعودة إلى هذه اللحظة. فقد ترك لي ذكرى حية قصيرة المدى كي أعود إليها."
"إذاً تعرفين ما سيحدث بعد قليل؟"

"إذا ذهبنا إلى شقة الدور العلوي، نعم. سليد يعرف أننا قادمان. سيكون في انتظارنا. لن نتمكن حتى من الخروج من المصعد قبل أن تخرق رصاصة عينك. هناك الكثير من الدم، وأنا أبدأ في إطلاق النار. لا بد أني أصبت سليد، لأنه يزحف فجأة عبر حجرة معيشته."

أخذ المصعد هابطة إلى الطابق السابع عشر، أجد المختبر، أطلق النار على الباب لأفتحه بينما جي-وون يتسلق داخلا الحوض. يتحرك في اتجاهي قائلاً إنه يعرف أنني لن أؤذيه أبدا بعد كل ما فعله من أجلي، لكنه لم يكن أبدا مخطئا بشأن شيء في حياته أكثر من هذا.

عند البوابة، أسجل الدخول ببعض أوراق الاعتماد السرية. ثم أرسم خريطة ذكرى، وأصعد داخلة الحوض، وأعود إلى ذكرى جرح نفسي في هذه الحجرة."

"لم يكن عليك أن تعودني من أجلي."

"كي أكون صادقة تماما، لم أكن لأعود. لكنني لم أعرف أين كان سيرجي، ولم يكن هناك وقت كاف لتدمير كل المعدات. لكنني سعيدة جدا لأنك حي." تنظر إلى ساعتها مرة أخرى. "ستكون لديك ذكرى فظيعة عن كل هذا خلال حوالي اثنتي عشرة دقيقة، وكذلك كل شخص آخر في المبنى، وتلك مشكلة."

ينهض باري عن الفراش، ويمد يده لينهض هيلينا.

ترفع البندقية الآلية.

يقول: "إذا سليل موجود في شقة الدور العلوي، متوقعا المكان الذي سذهب إليه أولا - وهو ما فعلناه في المرة الأولى." "صحيح."

"وجي-وون يتوجه بالفعل إلى الكرسي في الطابق السابع عشر، منتظرا ربما أن يسمع إن كان هناك اختراق أمني حتى يتمكن من القفز داخل حجرة العزل ويستبدل هذا الخط الزمني. وسيرجي..." "مجهول. أقترح أن نذهب مباشرة إلى المختبر ونتعامل مع جي-وون أولاً. مهما حدث، لا يمكن السماح له بالدخول في الحوض."

ينطلقان خارجين من الحجرة ويقطعان الممر. ويظل باري يتلمس بطريقة لا إرادية الخزائن الإضافية في جيوبه.

عند صف المصاعد، يستدعي واحدا، منصنا إلى التروس وهي تدور على الجانب الآخر من الأبواب وقابضا على مسدسه الجلوك في وضع استعداد.

تقول هيلينا: "لقد أتمنا هذا الجزء بالفعل. لا أحد سينزل."

وعندما يضيء المصباح أعلى المصعد، يدق الجرس.

يرفع باري مسدسه، وإصبعه على الزناد.

ينفرج الباب.

فارغ.

يدخلان الكابينة الصغيرة، وتضغط هيلينا الزر رقم 17. حوائط
المصعد قديمة، ومراياه ملطخة بالدخان، والتحديد فيها يخلق وهما
استعاديا - عدد لا نهائي من شخوص باري وهيلينا في كابينات مصعد
تتلوى عبر الفضاء.

وعندما يبدأ في الصعود، يقول باري: "دعينا نقف لصق الحائط.
أريد أن أتيح أصغر أهداف ممكنة عندما تنفتح الأبواب. ما السلاح
الذي كان لدى سليد؟"

"مسدس. كان فضيا."

"جي-وون؟"

"كان هناك مسدس بدا شبيها بسلاحك عند البوابة."

يضيء زر كل طابق عندما يمران عبره.

التاسع.

العاشر.

تضربه موجة من الغثيان - إنها الأعصاب. هناك طعم للخوف في
فمه من فائض الأدرينالين في مجرى دمه.

الحادي عشر.

الثاني عشر.

الثالث عشر.

يتعجب من أن هيلينا لا تبدو مرعوبة كما يحس هو. لكن مرة أخرى، من منظورها، هي بالفعل خاضت المعركة مرة من قبل. يقول: "شكرا لعودتك من أجلي.."

الرابع عشر.

"فقط، كما تعرف، حاول ألا تموت هذه المرة."

الخامس عشر.

السادس عشر.

تقول: "ها نحن ذا.."

يتباطأ المصعد حتى يتوقف في السابع عشر.

يرفع باري المسدس الجلوك.

تسند هيلينا كعب البندقية الآلية على كتفها.

تنزلق الأبواب مفتوحة لتكشف ممرا خاليا يمتد بطول المبنى، مع تفرع ممرات أخرى منه بعد بضعة أمتار.

يخطو باري بحذر فوق العتبة.

الصوت الوحيد هو الطنين الخافت للمصابيح المشتعلة في السقف.

تتقدم هيلينا إلى جانبه، وبينما تزيج شعرها عن وجهها، يجتاح باري إحساس حمائي وحشي يربعه ويحيره. هو لم يعرفها إلا منذ أربع وعشرين ساعة فقط.

يتقدمان.

المختبر مساحة لامعة بيضاء، مليئة بالإضاءة المدفونة والزجاج. يمران بنافذة تطل على حجرة تضم أكثر من ستة ميكروسكوبات

(ميچ)، حيث تقوم عالمة شابة بلحام لوحة دائرة كهربية. لا تراهما وهما يمران متسللين.

وبينما يقتربان من التقاطع الأول، ينغلق باب في مكان قريب. يتوقف باري، منتظرا أن يسمع وقع أقدام، لكن كل ما يمكنه سماعه هو طنين هذه المصابيح.

تقوده هيلينا عبر ممر آخر ينتهي عند حائط طويل من النوافذ التي تطل على ظلمة مانهاتن الزرقاء في هذا المساء البارد، وأضواء المباني المحيطة تسطع عبر الغسق الضبابي.

تهمس هيلينا: "المختبر أمامنا تماما.."

تتعرق يدا باري. يسمح كفيه في جانبي بنطاله ليحظى بقبضة أقوى على المسدس الجلوك.

يتوقفان عند باب مجهز بلوحة مفاتيح للدخول.

تهمس: "ربما يكون في الداخل بالفعل.."

"ألا تعرفين الرقم السري؟"

تهز رأسها، وترفع البندقية الآلية: "لكن هذه نجحت المرة السابقة."

يلتقط باري حركة تتأرجح حول الزاوية في نهاية الممر.

يخطو أمام هيلينا التي تصرخ: "جي-وون، لا!"

الطلقات النارية تفجر الصمت، ويتفجر وميض من ماسورة بندقية مصوبة نحو باري الذي يفرغ مسدسه الجلوك في ضجة خاطفة.

لقد اختفى جي-وون.

كل هذا حدث في خمس ثوان.

يلقي باري الخزانة الفارغة، ويثبت بعنف واحدة جديدة، ويشد الأجزاء.

ينظر إلى هيلينا: "هل أنت بخير؟"

"نعم. لأنك خطوت أمام.. يا إلهي، أنت مصاب."

يترنح باري إلى الخلف، والدم يسيل من بطنه، وأسفل ساقه تحت البنطال، متدفقا من فوق حذائه على الأرضية في خط طويل قاني الحمرة. الألم قادم، لكنه أكثر امتلاء بالأدريينالين من أن يلاحظ تأثيره الكامل - فقط ضغط متزايد في القسم الأيمن الأوسط من جذعه.

"علينا أن نخرج من هذا الممر.." يقول متوجعا وهو يفكر: هناك رصاصة في كبدي.

تجذبه هيلينا متراجعين خلف الزاوية.

يتهاوى باري على الأرض.

ينزف الآن بغزارة، والدم أسود تقريبا.

يتطلع رافعا عينيه إلى هيلينا ويقول: "تأكدي... أنه ليس قادما."

تسترق هيلينا النظر حول الزاوية.

يرفع باري مسدسه، الذي لم يلاحظ أنه انزلق من قبضته، عن الأرض.

يقول: "من الممكن أن يكونوا في المختبر بالفعل.."

"سأوقفهم."

"لن أفلح في البقاء طويلا."

ثمة حركة على يساره؛ يحاول أن يرفع المسدس الجلوك، لكن هيلينا تسبقه، مطلقة دفعة طلقات تصم الأذان من بندقيتها الآلية تجبر رجلا لم يره من قبل على التراجع داخل الممر.

"أذهبي.." يقول باري. "أسرعي."

العالم يظلم، وأذناه تدويان بالرنين. ثم يرقد ووجهه على الأرض والحياة تندفع خارجة منه.

يسمع المزيد من طلقات الرصاص.

هيلينا تصرخ: "سيرجي، لا تجعلني أفعل هذا. أنت تعرفني!"

ثم تدوي طلقتان.

يتبعهما صراخ.

من منظوره الجانبي، يرى العديد من الأشخاص يجرون عبر تقاطع الممرات، متوجهين إلى الخلف نحو المصاعد - نزلاء وأعضاء فريق العمل الآخرون يفرون من المعركة.

يحاول أن ينهض، لكنه بالكاد يستطيع تحريك يده. يشعر أن جسده مثبت إلى الأرض بإسمنت.

النهاية قادمة.

مجرد النهوض مرتكزا على كوعيه هو أصعب شيء فعله في حياته. يتمكن بطريقة ما من الزحف، ساحبا نفسه مرة أخرى حول زاوية الممر المليء بالنوافذ والمؤدي إلى المختبر.

يسمع المزيد من الطلقات.

تتأرجح رؤيته بين الوضوح والغيش، وشظايا الزجاج على الأرضية من النوافذ التي حطمها الرصاص تدخل في ذراعيه ومطر بارد يهب

داخلا المبني. الحوائط مرشومة بثقوب الرصاص، وسديم من الدخان يتخلل الهواء بطعم أشبه بالحديد والكبريت في مؤخرة حلقه.

يزحف باري عبر نثار من أغلفة قذائفه عيار 0.40، ويحاول أن ينادي هيلينا، لكن اسمها يفارق شفثيه كأنين ليس إلا.

يسحب نفسه بقية الطريق إلى المدخل. يستغرق الأمر منه لحظة حتى يشحذ بصره في بؤرة التركيز. تقف هيلينا عند البوابة، وأصابعها تتقاذف عبر صف من لوحات المفاتيح والشاشات التي تعمل باللمس. يستجمع صوته، ويجبره على أن يهتف باسمها.

تلقي بنظرة إليه. "أعرف أنك تتألم. أعمل بأسرع ما يمكنني."

"ماذا تفعلين؟" يسألها باري، وكل نفس يجلب عذابا أكبر من سابقه، ويحمل أكسجيناً أقل إلى مخه.

"سأعود إلى ذكرى جرح نفسي في تلك الحجرة بالفندق."

"جي-وون وسيرجي رحلا." يسعل دما. "فقط... دمري كل شيء الآن."

"سليد مازال هناك.." تقول هيلينا. "لو هرب، يمكنه صنع كرسي آخر. أحتاج إليك كي تحرس الباب. أعرف أنك تتألم، لكن هل يمكنك أن تفعل هذا؟ دعني أعرف إن جاء." تبتعد عن البوابة، وتصدر الجسد المنحني لكرسي الذاكرة.

"سأحاول.." يقول باري.

يريح رأسه على الأرضية الباردة.

تقول هيلينا: "سنفعلها بشكل صحيح المرة القادمة.." ترفع يدها وتُنزل بحرص الميكروسكوب (ميج).

وبينما تربط حزام الذقن، يناضل باري كي يبقي عينيه على الممر، عارفا أنه لو جاء سليد، لا شيء يمكنه أن يفعله كي يوقفه. هو حتى لا يملك القوة كي يرفع سلاحه.

وأخيرا تتدافع في وعيه الذكريات المليئة لموته في الخط الزمني السابق.

أبواب المصعد تنفتح على مدخل شقة سليد في الدور العلوي.

سليد واقف في حجرة معيشتة الفاخرة المليئة بالنوافذ يصوب مسدسا إلى كابينة المصعد.

باري يفكر: اللعنة. لقد عرف.

انفجار من ضوء دون صوت.

ثم - لا شيء.

عبر ضباب الموت، يناضل باري كي يلقي نظرة لآخر مرة داخل المختبر، ويرى هيلينا تمزق قميصها، وتنضو بنطالها الجينز عن ساقها، وتتسلق داخلة في حوض العزل.

باري يعدو بسرعة في ممر، أنفه تنزف، ورأسه ينبض. ذهب ألم الإصابة بالرصاص في الخط الزمني السابق، وتتوالى ذكريات هذا الخط الجديد محلها.

هو وهيلينا خرجا من الحجرة 825.

خرجوا من المصعد في الدور 17، اتخذوا طريقا مختلفا إلى المختبر، عازمين على اللحاق بجي-وون وسليد وهما يخرجان من المصعد.

لكنهما اصطدما بسيرجي بدلا من ذلك وأضاعوا وقتا أكثر من اللازم في تجاوزه.

والآن هما يعدوان بسرعة في اتجاه المختبر.

يمسح باري الدم من أنفه ويرمش عبر لسعة الماء المالح لعرقه المتساقط في عينيه. يدوران حول زاوية ويصلان إلى باب المختبر، الذي تفتحه هيلينا بدفعة طلقات من البندقية الآلية. يندفع باري داخلا أولا، وتنفجر طلقتان مدويتان تخطئان رأسه بأقل من قدم. ولدهشته، جاءت الطلقات من رجل رآه مرة من قبل - منذ أحد عشر عاما، في الليلة التي أعيد فيها إلى الذكرى.

ماركوس سليد واقف على مبعدة عشرين قدما قرب البوابة، مرتديا فانلة بيضاء بلا أكمام وسروالا رياضيا رماديا، وكأنه جاء للتو من صالة الألعاب الرياضية، وشعره الأسود المجمع يلتصق بالعرق. يمسك مسدسا من الفولاذ المقاوم للصدأ ويحدق في باري بتعرف تام.

يطلق باري رصاصة تخترق كتفه الأيمن، يترنح سليد متراجعا ليصطدم بصف لوحات التحكم، وينزلق المسدس من قبضته بينما يسقط هو على الأرض.

تندفع هيلينا إلى حوض العزل وتجذب ذراع تحرير الطوارئ.

قبل أن يصل باري إلى الحوض، تكون بالفعل قد فتحت الغطاء لتكشف جي-وون يطفو على ظهره في الماء المالح، محاولا في يأس أن يجذب القسطرة الوريدية من ساعده الأيسر.

يضع باري مسدسه الجلوك في جرابه، ويمد يديه داخل الماء الدافئ، ويجذب جي-وون خارجا، ملقيا إياه عبر الحجرة.

يصطدم جي-وون بالأرض ويعتدل، متطلعا إلى باري وهيلينا، على يديه وقدميه، عاريا والماء يقطر منه على البلاط. ينظر إلى مسدس سليد، على مبعدة ثمانية أقدام، ويندفع نحوه، وباري يتتبعه، وبينما

يطلق النار، تطلق هيلينا النار بدورها، وترفع الدفعة الكاملة من الخرطوش جي-وون ليصطدم بالحائط، وصدره عبارة عن جرح واسع، وقواه تنسرب بسرعة منه مع دمه.

يتحرك باري بحذر في اتجاهه، مبقيا المسدس مصوبا على صدر الرجل الملحطم، لكن جي-وون رحل قبل أن يصل إليه - وعيناه تتخذان سمتا زجاجيا مع الخواء الأخير.

هيلينا

7 نوفمبر 2018

إنها واحدة من أمتع لحظات وجودها المتشظي أن تضع سليد أسفل ماسورة بندقيتها الآلية.

تمد يدها داخل جيبها وتُخرج وحدة ذاكرة فلاشية. "سوف أمحو كل خط من خطوط الشفرة. وبعد ذلك سوف أفكك الكرسي والميكروسكوب و..."

"هيلينا..."

"أنا من أتحدث الآن! والمحفزات. كل قطعة من المعدات والبرمجيات في المبنى. سيكون الأمر وكأن الكرسي لم يوجد قط."

يميل سليد على قاعدة البوابة، شاعرا بالألم في عينيه. "لقد مرت دقيقة، هه؟"

تقول: "ثلاثة عشر عاما بالنسبة لي، كم المدة بالنسبة لك؟"

يبدو أنه يتأمل السؤال بينما يتجه باري نحوه ويركل المسدس عبر الحجرة.

أخيرا يقول: "من يعرف؟ بعد أن اختفيت كالشبح من منصتي - أحسنت فعلها بالمناسبة، لم أفهم قط كيف نجحت بالضبط - استغرق الأمر مني سنوات كي أعيد صنع الكرسي. لكن منذ هذا الوقت، عشت أعمارا أكثر مما يمكنك أن تستوعبي."

تسأله: "وماذا فعلت فيها؟"

"أغلبها كانت استكشافات هادئة لمن أكون، ومن يمكن أن أكون، في أماكن مختلفة، مع أناس مختلفين. بعضها كانت... أكثر صخبا. لكن في هذا الخط الزمني الأخير، اكتشفت أنه لم يعد بمقدوري توليد عدد كاف من المشبكيات العصبية لرسم خريطة ذاكرتي الخاصة. لقد سافرت أكثر من اللازم. ملأت ذهني بحيوات أكثر من اللازم. خبرات أكثر من اللازم. لقد بدأ ذهني يتمزق. هناك حيوات كاملة لم أتذكرها إطلاقا، فقط تمربي ومضات منها. هذا الفندق ليس أول شيء فعلته. إنه الأخير. بنيته لأدع الآخرين يعرفون قوة ما يزال وما سيظل دائما إبداعك أنت."

ياخذ نفسا مجهدا وينظر إلى باري، وتفكر هيلينا أن عينيه، بالرغم من الألم الواضح، تعكسان ذلك العمق الواثق لرجل عاش زمنا طويلا طويلا.

يقول سليد: "طريقة ممتازة لشكر الرجل الذي أعاد إليك ابنتك.."

"حسن، والآن هي ميتة مرة أخرى، أيها الأحق اللعين. صدمة تذكرها لموتها وذلك المبنى الذي ظهر بالأمس دفعها من فوق الحافة."

"أنا آسف حقيقةً لسماع هذا."

"أنت تستخدم الكرسي بطريقة مدمرة."

يقول سليد: "نعم. سيكون مدمرا في البداية، مثل كل أشكال التقدم. بالضبط مثلما جلب العصر الصناعي حربين عالميتين. بالضبط مثلما حل الإنسان العاقل محل الإنسان البدائي. لكن هل يمكنك أن تعود بالساعة إلى الوراء بكل ما تجيء به؟ هل يمكنك؟ التقدم حتمي. وهو قوة دافعة من أجل الصالح والخير."

يلقي سليد نظرة على جرح دخول الرصاصة في كتفه، ويلمسه، يقطب ثم يعود بناظره إلى باري. "تريد أن تتكلم عن التدمير؟ ماذا عن كوننا محبوسين في أحواض السمك الصغيرة الخاصة بنا، في تلك النكتة لوجود مفروض علينا بحدود حواسنا الأساسية؟ الحياة معاناة. لكنها لا يجب أن تكون هكذا. لماذا ينبغي عليك أن تكون مجبرا على قبول موت ابتك عندما يكون في مقدورك أن تغير هذا؟ لماذا لا ينبغي لرجل يحتضر أن يعود إلى شبابه بحكمة ومعرفة كاملتين بدلا من أن يلفظ ساعاته الأخيرة في عذاب؟ لماذا تترك مأساة تقع بينما في مقدورك أن تعود وتمنعها؟ ما تدافع عنه ليس الواقع - إنه سجن، كذبة." ينظر سليد إلى هيلينا. "أنت تعرفين هذا. عليك أن تري هذا. لقد أتيت بعصر جديد للإنسانية، عصر لم يعد علينا فيه أن نعاني وموت. حيث يمكننا أن نمر بالكثير والكثير. ثقي بي، يتغير منظورك عندما تعيشين حيوات لا حصر لها. لقد سمحت لنا بالهروب من حدود حواسنا. لقد أنقذتنا جميعا. هذا هو إرثك."

تقول هيلينا: "أعرف ما فعلته بي في سان فرانسيسكو. في الخط الزمني الأصلي." يحدق سليد فيها بدوره، دون أن يرمش. "عندما أخبرتني باكتشافك صدفةً لما يمكن للكرسي أن يفعله، تجنبت الجزء الذي قتلتنى فيه."

"ومع ذلك ها أنتِ ذا. لم يعد للموت أي سيطرة علينا. هذا هو عمل حياتك يا هيلينا. احتضنيه."

تقول: "لا يمكنك أن تفكر في أنه يمكن الوثوق في البشرية مع وجود كرسي الذاكرة."

"فكري في الخير الذي يمكن أن يحققه. أعرف أنك أردتِ استخدام هذه التكنولوجيا لمساعدة الناس. لمساعدة والدتك. يمكنك العودة والتواجد معها قبل أن تموت، قبل أن يدمر عقلها نفسه. يمكنك أن تنقذي ذكرياتها. يمكننا التراجع عن قتل جي-وون وسيرجي. وكأن شيئاً من هذا لم يحدث." تمثلي ابتسامته بالألم. "ألا يمكنك أن تري كم سيكون عالماً جميلاً؟"

تخطو نحوه خطوة واحدة: "قد تكون على حق. ربما هناك عالم يجعل فيه الكرسي كل حياتنا أفضل. لكن ليست هذه هي النقطة. النقطة هي أنك قد تكون مخطئاً أيضاً. النقطة هي أننا لا نعرف ما سيفعله الناس بهذه المعرفة. كل ما نعرفه هو أنه بمجرد أن يعرف عدد كافٍ من الناس بأمر الكرسي، أو كيف يصنعونه، لن يكون هناك مجال للتراجع. لن نهرب أبداً من دائرة المعرفة العالمية بالكرسي. ستستمر في العيش في كل خط زمني لاحق. سنكون قد حكمنا على البشرية للأبد. أفضل أن آخذ فرصة في التنازل عن شيء رائع بدلاً من المخاطرة بكل شيء على رمية نرد واحدة."

يبتسم سليلد تلك الابتسامة التي تعني (أنا أعرف أكثر مما تخيلين) التي تعيدها إلى سنواتها معه على منصة النفط.

يقول: "ما زالت محدوديتك تعميك. مازلتِ لا تريين الصورة كاملة. وربما لن تريها قط، إلا إذا تمكنتِ من السفر بالطريقة التي سافرت بها..."

"ماذا يعني هذا؟"

يهز رأسه.

"عم تتحدث يا ماركوس؟ ماذا تعني بـ 'الطريقة التي سافرت بها'؟"

يكتفي سليلد بالتحديق فيها، وهو ينزف. وبعد ذلك يخبو طنين معالجي الكم، وتغدو الحجرة صامتة فجأة.

واحدة إثر الأخرى، تظلم الشاشات في البوابة، وبينما ينظر باري في تساؤل إلى هيلينا، تخبو كل الأضواء.

باري

7 نوفمبر 2018

يرى طيف صور هيلينا وسليد والكرسي.

ثم لا شيء.

لا صوت غير إيقاع نبض قلبه.

أمامه مباشرة، حيث كان سليد يجلس منذ بضع ثوان فقط،
يسمع باري ضجة شخص يندفع عبر الأرضية.

دفعة طلاقات من البندقية الآلية تضيء الحجرة لكسر من الثانية
يصم الأذان - وهو وقت كاف لباري كي يرى سليد وهو يختفي عبر
المدخل.

يأخذ باري خطوة مترددة إلى الأمام، وشبكية عينيه مازالت ترتج
من وميض فوهة بندقية هيلينا الآلية، والظلام مصطبغ بالبرتقالي.

يتجسد المدخل في مجال الرؤية عندما تتسلل الأضواء من المباني المحيطة عبر نوافذ الرواق.

كان سمعه قد تعافى من صوت الطلقات فقط بما يكفي كي يميز صوت خطوات سريعة تندفع مبتعدة في الممر. لا يعتقد باري أن سليد كان لديه الوقت، في تلك الثواني القليلة من الظلام، ليضع يديه على المسدس، لكنه ليس متأكدا. الأرجح أن سليد يقوم باندفاع مجنون باتجاه واحد من السلام.

ينبثق صوت هيلينا من عند المدخل هامسة: "أتراه؟"

"لا. ابقِ هنا حتى أرى ما يحدث."

يهرول إلى جوار النوافذ التي تطل على ليلة مطيرة من ليالي مناهاتن. ومن مكان ما على الأرضية يأتي صوت مطلق كصوت العزف على طبلة جانبية.

ينعطف في الزاوية التالية إلى ظلام خالص، وعندما يقترب من الممر الرئيسي، تصطدم قدمه بشيء على الأرضية.

عندما ينحني، تلمس يده القماش المخضب بالدم لفانلة سليد. مازال لا يستطيع رؤية أي شيء، لكنه يميز الصغير ذا الطبقة العالية لرنة مثقوبة تفشل في الامتلاء الكامل بالهواء، والغرغرات الأقل صخبا لغرق سليد في دمه.

يحيط به رعب بارد. يجري مستندا بيده على الحائط حتى يصل إلى تقاطع الممرات.

للحظة، الصوت الوحيد هو سليد المحتضر خلفه مباشرة.

يخفق شيء مارا بطرف أنفه ويخبط في الحائط وراءه.

طلقات رصاص مكتومة ووهج فوهات البنادق يكشف نصف دسته من الضباط قرب صف المصاعد، كلهم يرتدون الخوذات

التكتيكية الكاملة ودروع الجسد، وعلى أكتافهم استندت أسلحة الهجوم.

يرتد باري خلف الزاوية ويصيح: "المحقق ساتون، إدارة شرطة نيويورك! المنطقة الرابعة والعشرون!"

"باري؟"

يعرف ذلك الصوت.

"جوين؟"

"ماذا يحدث بحق الجحيم يا باري؟" ثم لمن حولها: "أعرفه، أعرفه!"

يسألها باري: "ماذا تفعلين هنا؟"

"تلقينا بلاغا عن إطلاق نار في هذا المبنى. ماذا تفعل أنت هنا؟"

"جوين، عليك أن تخرجي فريقك من هنا وتدعيني..."

"ليس فريقتي."

"فريق من؟"

يدوي صوت ذكوري عبر الرواق: "تبين طائرتنا الصغيرة بدون طيار إشارة حرارية في واحدة من الحجرات خلفك."

يقول باري: "ليست تهديداً.."

تقول جوين: "باري، عليك أن تترك هؤلاء الرجال يقومون بعملهم.."

يسألها باري: "من يكونون؟"

"ولماذا لا تخرج من مكنك وتحدث إلينا؟ سأقوم بالتعريف اللازم. أنت تجعل الجميع متوترين للغاية."

يتمنى أن تكون هيلينا قد أدركت ما يحدث وفرت. يحتاج إلى كسب مزيد من الوقت لها. لو أمكنها أن تصل إلى مختبرها في ريد

هوك، خلال أربعة شهور سيمكنها إنهاء صنع الكرسي والعودة إلى هذا اليوم لإصلاح هذا.

"أنت لا تسمعينني يا جوين. خذي الجميع وعودوا إلى الجراج وارحلوا." يلتفت باري ويصرخ في الممر باتجاه المختبر: "هيلينا، اهربي!"

يبدأ صوت قعقة العتاد في الممر - إنهم يتحركون نحوه.

يمد باري جسده حول الزاوية ويطلق رصاصة في السقف.

ويأتي الرد على هذه الرصاصة في شكل رد فعل فوري مبالغ فيه - زوبعة من الرصاصات تنهمر على كل مكان في الممر من حوله.

تصرخ جوين: "أتحاول أن تقتل نفسك؟"

"هيلينا، اذهبي! اخرجي من المبنى!"

والآن يتدحرج شيء ما على أرض الممر ويتوقف على مبعدة ثلاثة أقدام من باري. قبل حتى أن يملك الوقت ليتساءل عن ماهيته، ينشق الشيء عن دوي وضوء خاطف، شريط يغشي الأبصار من الضوء ويتصاعد الدخان منتشرا، لا يرى إلا بياضا ساطعا ويحجب الطنين ذو الدرجة العالية سمعه مؤقتا عن كل الضجة الأخرى.

عندما تضربه الرصاصة الأولى، لا يشعر بأي ألم - فقط بأثر الصدمة.

ثم تأتي رصاصة أخرى وأخرى، ممزقة جانبيه وساقه وذراعه، وعندما يأتي الألم، يخطر بباله أن هيلينا لن تنقذه هذه المرة.

السفر الرابع

من يتحكم في الماضي يتحكم في المستقبل.
ومن يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي.

جورج أورويل، 1984

هيلينا

15 نوفمبر 2018 – 16 أبريل 2019

اليوم الثامن

إنه أغرب أشكال الأسر.

الشقة عبارة عن حجرة نوم واحدة قرب حي ساتون بليس، فسيحة وعالية السقف، لها مَطَلٌ يستحق مليون دولار على جسر الشارع التاسع والخمسين، والنهر الشرقي، والامتداد البعيد لبروكلين وكوينز.

ليس لديها منفذ إلى هاتف أو وصلة إنترنت أو أي شكل آخر من أشكال الاتصال بالعالم الخارجي.

أربع كاميرات، مرفوعة ومثبتة إلى الجدران، تظل تراقب كل بوصة مربعة في المكان، وأضواء تسجيلها الحمراء تضوي فوقها حتى وهي نائمة.

أسراها، زوج اسمهما ألونزو وجيسكا، يتخذان سمتا هادئا رابط الجأش. في البداية، أراح هذا أعصابها.

في اليوم الأول، أجلساها في حجرة المعيشة وقالا: "نعرف أن لديك أسئلة، لكننا لسنا الأشخاص القادرين على إجابتها."

وتسأل هيلينا على أي حال.

ماذا حدث لباري؟

من هاجم مبنى ماركوس سليد؟

من يحتجزني هنا؟

مالت جيسكا إلى الأمام وقالت: "نحن سجانان غالبا الثمن. ماشي؟ لا شيء أكثر من هذا. لا نعرف لماذا أنت هنا. ولا نريد أن نعرف لماذا أنت هنا. لكن لو كنت عاقلة، فنحن - والأشخاص الآخرون العاملون معنا والذين لن تقابلهم أبدا - سنكون عاقلين معك."

يقدمان لها الوجبات.

وبين يوم وآخر، يذهبان إلى متجر البقالة ويجلبان كل ما تكتبه في ورقة.

على مستوى ظاهري، هما ودودان بشكل كاف، لكن هناك قسوة لا يمكن إنكارها في عيونهما - لا، بل حيادية - وهو ما يجعلها واثقة إلى حد كبير من أنهما سيؤذيانهما، أو أسوأ من ذلك، إذا حدث وانهار النظام.

أول ما تفعله في الصباح هو مشاهدة الأخبار، ومع كل دورة تمر، تشغل متلازمة الذاكرة الزائفة نطاقاً أقل في الاستعراض اللانهائي للمآسي والفضائح والقيـل والقال حول المشاهير.

وعندما يختطف حادث إطلاق نار آخر في مدرسة تسع عشرة نفساً، يكون هذا هو أول يوم منذ ظهور بيـج بيند لا تُذكر فيه متلازمة الذاكرة الزائفة في العناوين الرئيسية الأولى.

في يومها الثامن في الشقة، تجلس هيلينا إلى منضدة المطبخ، تتناول إفطار من (ويـفوس رانتشيروس) وتراقب ضوء الشمس وهو ينسكب عبر النافذة التي تطل على النهر.

هذا الصباح، في انعكاس مرآة المطبخ، تفحصت صف الغرز بعرض جبهتها والكدمة المتضائلة ذات اللونين الأسود والأصفر من ضابط قوات التدخل السريع الذي ضربها وأفقدتها الوعي على سلم بناية سليد بينما كانت تحاول الهروب.

كل يوم، يقل الألم بينما يتزايد الخوف والشك.

تأكل ببطء، محاولة ألا تفكر في باري؛ لأنها عندما تتخيل وجهه، يصبح العجز المذل لموقفها أمراً لا يُحتمل، وعدم معرفتها بما يحدث يجعلها تريد أن تصرخ.

يدور المزلـاج، وتنظر هيلينا عبر الصالة القصيرة إلى البهو بينما يفتح الباب ليكشف رجلاً كان، حتى الآن، موجوداً فقط في ذكرى ميتة.

راجيش آناند يقول لشخص ما في الصالة: "اغلق الباب واطفئ الكاميرات."

"يا خبر! راج؟" تترك مقعدها المستدير عند المنضدة وتقابله حيث تفتح الصالة على حجرة المعيشة. "ماذا تفعل هنا؟"

"جئت لأراك." يحدق في هيلينا بسمت واثق لم يكن يملكه عندما عملا معا على المنصة، يبدو أفضل حالا مع تقدمه في العمر، وملامحه الحليقة رقيقة ووسيمة معا. يرتدي حلة كاملة ويمسك بحقيبة أوراق في يده اليسرى. وتتغضن زوايا عينيه البنيتين بابتسامة حقيقية.

ينتقلان إلى حجرة المعيشة ويجلسان في مواجهة أحدهما الآخر على أريكتين جلديتين.

يسألها: "أأنت مرتاحة هنا؟"

"راج، ماذا يحدث؟"

"أنت محتجزة في بيت آمن."

"تحت سلطة من؟"

"وكالة مشاريع البحوث الدفاعية المتطورة."

تنقبض معدتها: "داربا؟"

"هل هناك أي شيء يمكنني أن آتي به إليك يا هيلينا؟"

"إجابات. هل أنا رهن الاعتقال؟"

"لا."

"إذًا أنا محتجزة؟"

يومي برأسه.

"أريد محاميا."

"ليس ممكنا."

"كيف يكون هذا ليس ممكنا؟ أنا مواطنة أمريكية. أليس هذا

أمرا غير قانوني؟"

"محتمل."

يرفع راج حقيبة أوراقه ويضعها على المنضدة. بلى الجلد الأسود في بعض المواضع والأجزاء النحاسية صدئة بشدة. يقول: "أعلم أنه لا يوجد الكثير كي تطالعيه، كانت هذه حقيبة أبي. أعطاها لي في اليوم الذي غادرت فيه إلى أمريكا."

وبينما يبدأ في تحسس آلية القفل، تقول هيلينا: "كان هناك رجل معي في الطابق السابع عشر لذلك..."
"باري ساتون؟"

"لا يريدون أن يقولوا لي ما حدث له."
"لأنهم لا يعرفون. لقد قُتل."

كانت تعرف هذا.

أحست به في عظامها طوال الأسبوع الذي حُبست خلاله في هذا السجن الفاخر.

وما زال هذا يكسرها.

وبينما تبكي، يتلوى وجهها بالحسرة، ويمكنها الشعور بالغرز وهي تتقلص عبر جبهتها.

يقول راج: "أنا آسف جدا. لقد أطلق الرصاص على فريق التدخل السريع."

تمسح هيلينا عينيها وتحقق بغضب من وراء المنضدة.
"كيف تورطت في كل هذا؟"

"كان تركي لمشروعنا على منصة نفط سليلد هو خطأ حياتي. اعتقدت أنه مجنون، اعتقدنا ذلك كلنا. بعد ستة عشر شهرا، استيقظت ذات ليلة على نزيف من أنفي. لم أعرف كيف أو ماذا كان يعني هذا،

لكن وقتنا كله معا على المنصة كان قد تحول إلى ذكريات زائفة. أدركت أنك قد أنجزت شيئا مستحيلا.

"إذاً عرفت ما كانه الكرسي حتى ذلك الوقت؟"

"لا. شككت فقط أنك قد تصورت طريقة ما لتغيير الذكريات. أردت أن أكون جزءا من ذلك. حاولت أن أجذك أنت وسليد، لكنكما كنتما قد اختلفتما أنتما الاثنان. وعندما تفجرت متلازمة الذاكرة الزائفة لأول مرة على نطاق واسع، ذهبت إلى المكان الوحيد الذي عرفت أنه سيكون مهتما بقصتي."

"داربا؟ أظننت بجدية أن هذه كانت فكرة جيدة؟"

"كانت كل الوكالات الحكومية مرتبكة. كانت (مراكز مكافحة الأمراض) تحاول العثور على مسبب مرض غير موجود. وكتب فيزيائي من مؤسسة (راند) مذكرة تُنظر لأن متلازمة الذاكرة الزائفة يمكن أن تكون تغيرات مجهرية في الزمكان. لكن الناس في (داربا) صدقوني. بدأنا تتبع ضحايا متلازمة الذاكرة الزائفة وإجراء مقابلات شخصية معهم. في الشهر الماضي، وجدت شخصا زعم أنه وُضع في كرسي وأعيد إلى ذكرى قديمة. وكل ما عرفه أن هذا قد حدث في فندق في مكان ما في مانهاتن. عرفت أن من فعل ذلك إما أنت أو سليد، أو أنتما الاثنان عاملين معا."

"ولماذا ذهبت إلى داربا بشيء كهذا؟"

"المال والموارد. أتيت بفريق إلى نيويورك. وبدأنا البحث عن هذا الفندق، لكننا لم نستطع العثور عليه. ثم بعد أن ظهر بيج بيند، سمعنا ثرثرة بأن فريقا من قوات التدخل السريع بإدارة شرطة نيويورك كان يخطط هجوما على مبنى في وسط المدينة قد تكون له صلة ما بمتلازمة الذاكرة الزائفة. فتولى فريقنا المهمة."

تنظر هيلينا من النافذة عبر النهر، والشمس دافئة على وجهها.

يسألها راج: "هل كنتِ تعملين مع سليد؟"

"كنت أحاول أن أوقفه."

"لماذا؟"

"لأن الكرسي خطر. هل استخدمته؟"

"لقد أجريت القليل من التشخيصات. بالأساس كنت أعد نفسي لتسريع التشغيل." يفتح راج قفل حقيبة الأوراق. "انظري، أسمع مخاوفك، لكن يمكننا بالفعل استخدامك. هناك الكثير مما لا نعرفه." من حقيبة الأوراق، يُخرج حزمة من الأوراق ويلقي بها على منضدة القهوة.

تسأل: "ما هذا؟"

"عقد توظيف."

تتطلع إلى راج. "ألم تسمع ما قلته للتو؟"

"هم يعرفون أن الكرسي قادر على إعادة الذكريات. هل تعتقدين فعلاً أنهم لن يستخدموه؟ هذا الجني لن يعود أبداً إلى القمقم."

"لا يعني هذا أن عليّ أن أساعدهم."

"لكنك إذا كنتِ مستعدة، ستعاملين بالاحترام الواجب للعبقريّة التي اخترعت هذه التقنية. سيكون لديك مقعد حول المائدة. ستكونين جزءاً من صنع التاريخ. هذا هو عرضي. هل يمكنني أن أحسبك في صفوفنا؟"

تنظر هيلينا إليه من وراء المنضدة بابتسامة كحد الموسى: "يمكنك أن تأكل خراءك!"

الثلج يتساقط في الخارج، تجمع بالفعل منه قدر بوصة هشة على عتبة النافذة. حركة المرور تزحف بطول جسر الشارع التاسع والخمسين، الذي يبدو حاضرا وغائبا عن الوجود بناء على كثافة سقوط الثلج.

بعد الإفطار، تفتح جيسيكا المزلج وتخبرها أن ترتدي ملابسها.

تسأل هيلينا: "لماذا؟"

"الآن.." تقول جيسيكا، في أول لحظة من الوعيد تسمعها هيلينا من أي منهما خلال العشرة أيام التي كانوا فيها معا.

يهبطان في مصعد البضائع إلى جراج صف السيارات تحت الأرض وصف من سيارات سوبربان السوداء الأصلية.

يأخذون نفق كوينز-وسط المدينة وكأنهم خارجون متجهون إلى لاجوارديا، وتتساءل هيلينا إن كانوا سيركبون طائرة إلى مكان ما، لكنها لا تجرؤ على طرح السؤال. يمرون إلى جوار المطار ويستمرون إلى حي فلاشينج، مارين بواجهات المحلات الملونة بألوان قوس قزح في الحي الصيني، ثم يتوقفون أخيرا عند مجموعة من مباني المكاتب قليلة الارتفاع التي تتأبى على الوصف.

بمجرد خروجهم، يمسك ألونزو بذراع هيلينا ويرافقها صاعدين الممر إلى المدخل الرئيسي، عبر الأبواب المزدوجة، ثم يسلمها قرب المكتب الأمامي، حيث يقف منتظرا رجل طويل جدا - على الأقل طول له ستة أقدام ونصف.

يصرف ألونزو بجملة يقولها بصوت عميق: "سأرسل إليك رسالة.." ويوجه انتباهه إلى هيلينا.

يسألها الرجل: "إدًا أنت هي العبقريّة؟" لديه لحيّة جليّة وحاجبان سميكان أسودان ينعقدان مثل سياج أسفل جبهته. يمدّ يده. "أنا جون شو. أهلا بك في داريا."

"ماذا تعمل هنا يا سيد شو؟"

"أعتقد أنّه يمكنك القول أيّ المسؤول. تعاليّ معي." ينطلق نحو نقطة الفحص الأمنيّة، لكنها لا تتحرك. بعد خمس خطوات، يلتفت ناظرا إليها. "لم يكن هذا اقتراحا يا د. سميث."

يصطحبها رافعا شارته عبر الأبواب الزجاجيّة المنزلقّة ويقودها في رواق مكسو ببساط أخضر خشن. وبينما كان المبنى من الخارج يشبه مجمعا مكتبيا حزينا، إلا أنّه من الداخل - بإضاءته الكالحة وتصميمه النفعي - عبارة عن متاهة حكوميّة بلا روح حتى النخاع.

يقول: "لقد انتزعنا أحشاء مكتب سليد وأحضرنا كل شيء هنا حتى نتمكن من تأمينه بشكل سليم."

"ألم ينقل راج رأيي حول مساعدتكم؟"

"فعل."

"إدًا لماذا أنا هنا؟"

"أريد أن أريك ما نفعله."

"إذا كان يتضمن استخدام الكرسي، فأنا لست مهتمة."

يصلان عند باب دوّار من الزجاج الذي يبدو غير قابل للاختراق ونظام أمنيّ بيومّ تري.

ينظر شو من علّ إلى هيلينا، مرتفعا فوقها بأكثر من قدم. ربّما يكون وجهه ودودا في ظروف أخرى، لكنه في هذه اللحظة، يبدو منزعجا بشدّة.

تهب عليها رائحة أقراص حلوى (ألتويدن) بنكهة القرفة إذ يقول: "أريدك أن تعرفي، لا يوجد مكان في طول وعرض العالم بأكمله أأمن من الجانب الآخر لهذا الزجاج. قد لا يبدو كذلك، لكن هذا المبنى حصين لعين، وفي داربا؛ نحفظ بأسرارنا."

"لا يمكن لهذا الزجاج أن يحتوي الكرسي. لا شيء يمكنه. لماذا تريده على أي حال؟"

ينعقص الجانب الأيمن من فمه مرتفعاً، وللحظة تلمح ذلك المكر الفولاذي في عينيه.

يقول شو: "افعلي لي معروفًا يا د. سميث.."

"وما هو؟"

"طوال الساعة التالية من حياتك، حاولي أن تبقي ذهنك مفتوحاً."

الكرسي وحجرة العزل قائمان جنباً إلى جنب كقطعتين مركبتين تحت حرارة الأضواء الكاشفة، في أفخم مختبر رأته هيلينا في حياتها. يكون راج جالساً بالفعل عند البوابة الإلكترونية عندما يدخلان، وخلفه تقف امرأة في منتصف العشرينيات من عمرها مرتدية زياً عسكرياً أسود وحذاء طويل الرقبة، ذراعها مكسوان بالوشوم وشعرها الأسود مشدود في ذيل حصان.

يأخذ شو بيد هيلينا إلى البوابة.

"هذه هي تيموني رودريجز."

تومئ الجنديّة إلى هيلينا: "من هذه؟"

"هيلينا سميث. لقد خلقت كل هذا. راج، كيف يسير بنا الحال؟"

"ننطلق بأقصى قوتنا." يدور بمقعده ويتطلع إلى تيموني. "هل أنت

مستعدة؟"

"أعتقد هذا."

تنظر هيلينا إلى شو. "ماذا يحدث؟"

"سنعيد تيموني إلى إحدى ذكرياتها."

"لأي غرض؟"

"سترين."

تلتفت هيلينا إلى تيموني: "هل تدركين أنهم سيقتلونك في ذلك الحوض؟"

"حكي لي جون وراج كل شيء باختصار عندما أتوا بي إلى هنا."

"سيشلونك وسيوقفون قلبك. ولأني مررت بها أربع مرات، يمكنني أن أؤكد لك أنها عملية موجهة، وليس هناك من طريقة للتحايل على الأم."

"لا بأس، لا بأس."

"التغييرات التي تقومين بها ستؤثر على أشخاص آخرين وتسبب لهم كل أنواع الألم. ألم ليسوا مستعدين له. هل تعتقدين أن لديك حقاً في فعل هذا؟"

لا يبالي أحد بسؤال هيلينا.

ينهض راج ويشير إلى الكرسي. "تفضلي بالجلوس يا تيموني."

يأخذ واحدة من الخوذات الفضية في الخزانة المجاورة للبوابة ويحملها إلى الكرسي. ثم يثبتها على رأس تيموني ويبدأ في ربط حزام الذقن.

تسأل تيموني: "هذا هو جهاز إعادة التنشيط؟"

"بالضبط. وهو يعمل مع ميكروسكوب (ميج) على تسجيل الذكرى. ثم عندما تنتقلين إلى الحوض، يحفظ النموذج العصبي لإعادة التنشيط عن طريق المحفزات." يخفض الميكروسكوب فوق الخوذة. "هل فكرت في أي ذكرى تريد أن تسجليها؟"

"قال جون إنه سيقدم لي بعض الإرشاد."

يقول شو: "المقياس الوحيد من جانبي هو أنها يجب أن تبلغ ثلاثة أيام من العمر.."

يفتح راج المقصورات المضمنة في مسند رأس الكرسي ويخرج قضبان التيتانيوم التليسكروبية، التي يربطها في مواضعها على السطح الخارجي للميكروسكوب.

يقول: "ليس من الضروري أن تكون الذكرى كبيرة. من الضروري فقط أن تكون واضحة. الألم والمتعة مؤثران جيدان. وكذلك العاطفة القوية. أليس كذلك يا هيلينا؟"

لا تنطق بشيء. فهي تشاهد أسوأ كوابيسها يتجسد أمامها - الكرسي في مختبر حكومي.

يتوجه راج إلى البوابة، وينشئ ملف تسجيل جديد، ويحمل اللوح الذي يعمل كجهاز تحكم عن بُعد.

بعد أن يجلس على مقعد مستدير إلى جوار تيموني، يقول: "أفضل طريقة لتسجيل ذكرى، خاصة في البداية، هي أن تتحدثي عنها بطريقة مقنعة. أن تذهبي إلى أعماق من مجرد ما رأيت وشعرت. ذكرى الأصوات والمذاقات والروائح كلها هامة من أجل استعادة واضحة. في انتظارك عندما تكونين مستعدة."

تغلق تيموني عينيها، وتأخذ نفسا عميقا.

تتذكر الوقوف عند بار مغطى بالنحاس الأحمر في محل ويسكي
تتردد عليه في مطعم فيليدج، منتظرة كأسا من البوربون طلبته.
تنحسر امرأة بجوارها لتلوح بذراعها للنادل، وتصطدم بتيموني، قريبة
بما يكفي لتيموني كي تشم العطر الذي تضعه. التفتت المرأة كي تعتذر،
وتعانقت نظراتهما لمدة ثلاث ثوان. كانت تيموني تعرف أنه في أي
يوم الآن ستصعد إلى داخل الحوض وتموت. كانت مستثارة ومرعوبة
من هذا الاحتمال. في الواقع، كان السبب وراء خروجها في ذلك المساء
هو حاجتها لاتصال جسدي ما.

"كان جلدها بلون القهوة والكرème، وفتنتني شفتاها تماما. أردت
أن ألمسها بشدة. يا إلهي، كنت بحاجة لممارسة جنسية عنيفة، لكنني
فقط ابتسمت وقلت: 'لا بأس، لا تقلقي بشأن ذلك.' الحياة مصنوعة
من ألف حسرة صغيرة مثل هذه، أليس كذلك؟"

تفتح تيموني عينيها: "كيف كان ذلك؟"

يرفع راج اللوح ليري الجميع - عدد المشبكيات العصبية: 156.

يسأل شو: "هل هذا كافٍ؟"

"أي رقم أعلى من 120 يكون في المنطقة الآمنة."

يضع أنبوبا ويريد في ساعد تيموني الأيسر ويرفع منفذ الحقن. ثم
تتجرد تيموني من زيها العسكري وتوجه إلى الحوض.

يفتح راج الغطاء، ويضرب شو يده بيدها وهي تصعد داخلة.

ينظر من علٍ إلى جنديته الطافية في الماء المالح ويقول شو:
"أتذكرين كل ما ناقشناه؟"

"بلى. لست متأكدة مما ينتظرنني."

"للأمانة، لا أحد منا متأكد. سراك على الجانب الآخر."

يغلق راج الغطاء ويتحرك إلى البوابة. يجلس شو إلى جواره، وتقرب هيلينا كي تفحص الشاشات. بروتوكول إعادة التنشيط بادئ بالفعل، ويتفحص راج مجددا جرعات الروكورونيوم وثيوبنتال الصوديوم.

تقول هيلينا: "سيد شو؟"

يتطلع إليها.

"الآن، نحن الأشخاص الوحيدون في العالم المتحكمون في الكرسي."

"أتمنى هذا."

"أتوسل إليك. أظهر ضبط النفس. لم يتسبب استخدامه إلا في الأذى والألم."

"ربما كان الأشخاص الخطأ في موقع التحكم."

"لا تملك الإنسانية الحكمة للتعامل مع هذا النوع من القوة."

"أنا على وشك أن أثبت أنك على خطأ."

يتوجب عليها أن توقف هذا، لكن هناك حارسين مسلحين خارج الباب مباشرة. لو حاولت القيام بأي شيء، سيكونان فوقها في غضون ثوانٍ.

يرفع راج سماعة الرأس ويتحدث في الميكروفون: "سنبدأ خلال عشر ثوان يا تيموني."

يأتي لهاث المرأة سريعا من السماعة: "أنا جاهزة."

يُفَعَّل راج منفذ الحقن. لقد تحسنت معدات سليد كثيرا منذ أيامهما على المنصة، عندما كان الأمر يتطلب وجود طبيب ليراقب موضوعات الاختبار وينصح بالوقت المناسب الذي ينبغي أن تُطلق فيه المحفزات. أما هذه البرمجيات الجديدة فتطلق سلسلة العقاقير بطريقة آلية بناء على تقارير العلامات الحيوية في وقتها وتُشغل

المحفزات الكهرومغناطيسية فقط عندما يُكتشف إطلاق ثنائي ميثيل التريبتامين.

يسأل شو: "كم المدة التي يستغرقها الأمر قبل التحول؟"

"يتوقف الأمر على كيفية استجابة جسدها للعقاقير."

ينطلق الروكورونيوم، ويتبعه بعد ثلاثين ثانية ثيوبنتال الصوديوم.

يميل شو نحو شاشة مقسومة تعرض علامات تيموني الحيوية على اليسار، وبثا عبر كاميرا رؤية ليلية للمرأة داخل الحوض على اليمين.

"معدل نبض قلبها عال بشدة، لكنها تبدو هادئة جدا."

تقول هيلينا: "سيكون معدل نبضك كذلك لو كنت تختنق بعد أن تم إيقاف قلبك.."

يشاهدون جميعا قلب تيموني وهو يتوقف عن النبض.

تمر الدقائق.

يسيل خيط من العرق على جانب وجه شو.

يسأل: "هل ينبغي أن يستغرق الأمر كل هذا الوقت؟"

تقول هيلينا: "نعم. هذه هي المدة التي تستغرقها كي تموت بعد أن يتوقف قلبك عن الدق. وأؤكد لك أن الوقت يبدو أطول بكثير بالنسبة لها."

الشاشة التي تعرض حالة المحفزات تومض بتنبيه: تم رصد إطلاق ث م ت. وتنفجر صورة مخ تيموني - التي كانت مظلمة قبل ذلك - بعرض نشاط مضيء.

يقول راج: "المحفزات تنطلق.."

بعد عشر ثوان، يحل تنبيه آخر محل ملاحظة ث م ت: اكتملت إعادة تنشيط الذكرى.

ينظر راج إلى شو ويقول: "أي لحظة..."

بدلاً من البوابة، هيلينا فجأة عند مائدة الاجتماعات في الجانب الآخر من المختبر. أنفها تنزف، ورأسها ينبض.

شو وراج وتيموني أيضاً حول المائدة، وأنوف الجميع تنزف ما عدا أنف تيموني.

يضحك شو: "يا إلهي." وينظر إلى راج. "لقد نجحت. لقد نجحت اللعينة!"

"ماذا فعلت؟" تسأل هيلينا وهي مازالت تحاول أن تميز الذكريات الميته من الذكريات الحقيقية الجديدة.

يقول راج: "تذكرني حادث إطلاق النار في المدرسة منذ يومين.."

تحاول هيلينا أن تتذكر التغطية الإخبارية التي شاهدها في الصباحات القليلة الماضية في شقتها - جحافل من الطلاب يُخلون المدارس، فيديوهات مريعة التقطت بهواتف الطلاب تعرض الهياج وهو ينتشر داخل الكافيتريا، آباء مدمرون يناشدون السياسيين كي يفعلوا أي شيء، كي لا يجعلوا هذا يحدث مرة أخرى أبداً، طلبات إحاطة ووقفات احتجاجية من أجل تطبيق القانون...

لكن لا شيء من هذا حدث.

هذه ذكريات ميتة الآن.

وبدلاً من ذلك، بينما كان الشخص الذي أطلق النار يصعد درجات سلم المدرسة، معلقاً على كتفه بندقية نصف آلية طراز AR-15 ويحمل حقيبة سوداء من القماش الخشن معبأة بقنابل منزلية الصنع ومسدسات وخمسين خزانة بسعة عالية، انطلقت خرطوشة

ناتو 7.62 من بندقية M40 على بُعد حوالي 300 ياردة ودخلت مؤخرة رأسه لتخرج عبر تجويفه الأنفي الأيسر.

بعد أكثر من أربع وعشرين ساعة، مازالت هوية من كان سيغدو مطلق النار في المدرسة غير معروفة، بينما رجل القصاص مجهول الاسم الذي قضى عليه ينادى به عبر العالم كبطل. شو ينظر إلى هيلينا: "أنقذ كرسيك تسع عشرة حياة." لا تحر جوابا.

يقول: "انظري، أعلم أنه سيظهر رأي قائل بأنه ينبغي محو الكرسي من على وجه الأرض. أنه تحدٍ سافر للنظام الطبيعي للأشياء. لكنه أنقذ للتو تسعة عشر طفلا ومحا الألم الذي لا يقاس عمقه لدى أسرهم.."

مكتبة

t.me/t_pdf

"هذا..."

"لعب لدور الرب؟"

"نعم."

"لكن ألا يُعد أيضا لعبا لدور الرب ألا تتدخل عندما تكون لديك تلك القوة؟"

"لا ينبغي أن تكون لدينا هذه القوة."

"لكننا نملكها. بسبب شيء خلقتيه أنت."

تتهاوى.

يقول شو: "وكأنك لا ترين إلا الأذى الذي قد يسببه كرسيك. عندما كنت تبتدئين لأول مرة العمل على بحثك، قديما عندما كنت تجري التجارب على الفئران، ماذا كان غرضك المرشد؟"

"كنت دوماً مهتمة بالذاكرة. وعندما أصيبت أُمِّي بالألزهايمر، أردت أن أصنع شيئاً يمكنه إنقاذ الذكريات الجوهرية."

تقول تيموني: "لقد مضيت إلى مسافة أبعد من هذا. أنت لم تنقذي الذكريات فقط. لقد أنقذت أرواحاً."

يقول شو: "سألتيني لماذا أردت الكرسي، وآمل أن اليوم قد منحك إطلالة على من أكون، وعمّا أهتم. عودي إلى البيت، واستمتعي بهذه اللحظة. هؤلاء الأطفال أحياء بسببك."

هناك في الشقة بعد عودتها، تجلس في الفراش طوال المساء، تشاهد التغطية الإخبارية العاجلة عن إطلاق النار في المدرسة الذي "لم يحدث". التلاميذ الذين قُتلوا يقفون أمام آلات التصوير، يروون ذكريات زائفة عن تعرضهم لإطلاق الرصاص. ويتحدث أب باكٍ عن ذهابه إلى المشرحة ليتعرف على جثة ابنه الميت، وتحكي أم محطمة عن كونها وسط التخطيط لجنازة ابنتها فقط لتنتقل إلى لحظة تقود فيها سيارتها لتوصلها إلى المدرسة بدلاً من ذلك.

تتساءل هيلينا إن كانت هي الوحيدة التي ترى التشوش الخفيف في عيني واحد من التلاميذ الذين قُتلوا سابقاً.

وبينما تشاهد العالم وهو يحاول التعامل مع المستحيل، تتساءل ماذا تفهم الجماهير من هذا.

يتحدث علماء الدين عن الأزمنة القديمة، عندما كانت المعجزات تحدث بوتيرة كبيرة. ويرون أننا قد عدنا إلى عصر كهذا، وأن هذا قد يكون نذيراً بالمجيء الثاني للمسيح.

وبينما يندفع الناس ذاهبين إلى الكنائس جماعات، يمكن لأفضل العلماء الخروج بفكرة أن العالم مر "بحادث ذاكرة جماعية" آخر.

ورغم أنهم يتحدثون عن أشكال الواقع البديل وتشظي الزمكان، إلا أنهم يبدوون أكثر حيرة وتشوشا من رجال الرب.

تظل تعود بذاكرتها إلى شيء قاله لها شو في المختبر. وكأنك لا ترين إلا الأذى الذي قد يسببه كرسيك. هذا صحيح. كل ما كانت تفكر فيه هو الدمار المحتمل، ولقد أضاء هذا الخوف مسار حياتها منذ وقتها على منصة نفط سليد.

وإذ يهبط الليل على مانهاتن، تقف قرب النافذة الممتدة من الأرض إلى السقف، تتطلع إلى جسر الشارع التاسع والخمسين، وقد أضيئت دعاماته وانعكست بطريقة رائعة في دوامة من الألوان المتلألئة على صفحة النهر الشرقي.

تتذوق ما يبدو عليه طعم تغيير العالم.

اليوم الحادي عشر

في الصباح التالي، يجري تسليمها إلى مبنى داربا في كوينز، حيث ينتظرها شو مرة أخرى خارج مكتب الأمن.

وبينما يتوجهان من جديد إلى المختبر، يسألها: "هل شاهدت الأخبار ليلة أمس؟"

"بعضها."

"كان شعورا طيبا، أليس كذلك؟"

في المختبر، تيموني وراج ورجلان لم ترهما هيلينا من قبل يجلسون إلى مائدة اجتماعات. يقدمها شو إلى القادمين الجديدين: شاب من قوة العمليات الخاصة البحرية اسمه ستيف، يصفه شو بأنه نظير تيموني، ورجل يرتدي بعناية حلة مفصلة خصيصا واسمه ألبرت كيني.

يقول شو: "ألبرت أتى إلينا هنا منشقا من مؤسسة راند."

"أنت من صممت الكرسي؟" يسألها ألبرت وهو يضافحها.

تقول هيلينا: "لسوء الحظ."

"إنه مذهل."

تتخذ مجلسها على أحد المقاعد غير المشغولة بينما يتحرك شو إلى رأس المائدة، حيث يقف، متفحصا المجموعة.

يقول: "مرحبا. لقد تحدثت إلى كل واحد منكم على حدة خلال الأسبوع الماضي عن كرسي الذاكرة الذي استعاده فريقتي. مساء الأمس، استخدمنا الكرسي بنجاح لتعديل ناتج حادث إطلاق الرصاص المدرسي في ماريلاند. والآن، هناك فلسفة - أحترمها - تقول إننا لا يمكننا الوثوق بأنفسنا مع شيء لديه مثل هذه القوة الغاشمة. لا أقصد الحديث نيابة عنك يا د. سميث، لكن حتى أنت - خالقة الكرسي - تحملين هذا الرأي."

"هذا صحيح."

"لدي وجهة نظر مختلفة، شجعتني عليها ما أنجزناه بالأمس. أعتقد أننا، مع صعود التكنولوجيا في العالم، منوط بنا أن نجد أفضل استخدام لها من أجل استمرارية وتحسين جنسنا البشري. أعتقد أن الكرسي يتضمن قدرة رائعة على جلب الخير للعالم."

بالإضافة إلى د. سميث، لدينا في هذه المائدة تيموني رودريجز وستيف كراودر، اثنان من أشجع وأكفأ الجنود الذين أخرجهم جيش الولايات المتحدة على الإطلاق. وألبرت كيني، باحث في نظرية النظم من مؤسسة راند له عقل كالماس. وأنا. نائب مدير داريا، ولدي الموارد اللازمة لخلق برنامج جديد - تحت ستار السرية المطلقة - وهو ما سنبدأه اليوم."

د. أل هيلينا: "هل تنوون الاستمرار في استخدام الكرسي؟"

"بالطبع."

"لأي غرض؟"

"بيان الرسالة الخاص بمجموعتنا شيء سنصيغه معا."

يسأل ألبرت: "إدًا أنت تنظر إلينا كنوع من فريق الخبراء الثقافات؟"

"بالضبط. ومقاييس الاستخدام أيضا شيء سنقرره معا."

تدفع هيلينا مقعدها إلى الوراء وتنهض: "لن أكون جزءا من هذا."

يتطلع شو إليها من رأس المائدة، متصلب الفك.

"هذه المجموعة بحاجة إلى صوتك. إلى شكك."

"ليس شكا. نعم، أنقذنا أرواحا بالأمس، لكننا بفعلنا هذا خلقنا ذكريات زائفة وارتاباكا في عقول ملايين الناس. في كل مرة تستخدمون فيها الكرسي، ستقومون بتغيير الطريقة التي يتعامل بها البشر مع الواقع. ليست لدينا فكرة عما قد تكون عليه هذه التأثيرات طويلة المدى."

يقول شو: "دعيني أسألك سؤالا؛ هل تعتقدون أن أي شخص محترم سيكون حزينا الآن لأن تسعة عشر تلميذا لم يُقتلوا في الواقع؟ نحن لا نتحدث عن استبدال ذكريات طيبة بأخرى سيئة أو تغيير الواقع بشكل عشوائي. نحن هنا لغرض واحد - منع البؤس الإنساني."

تميل هيلينا إلى الأمام: "لا يختلف هذا عن الطريقة التي كان ماركوس سليد يستخدم بها الكرسي. كان يريد أن يغير الطريقة التي نتلقى بها الواقع، لكنه على مستوى عملي؛ كان يدع الناس يعودون ويصلحون حياتهم، وهو ما كان طيبا لبعض الناس، وكارثيا لآخرين."

يقول ألبرت: "تثير هيلينا قلقا مشروعا. هناك بالفعل قدر لا بأس به من الأدبيات الموجودة عن تأثيرات متلازمة الذاكرة الزائفة على

المخ، وموضوعات تخزين الذاكرة المفرد، والذكريات الزائفة لدى الأشخاص المصابين باضطرابات ذهنية. كنت لأوصي بأن يكون لدينا فريق يبحث كل ورقة جادة نُشرت حول الموضوع، حتى تتمكن من البقاء مطلعين أثناء تحركنا للأمام. نظريا، إذا وضعنا حدا لعمر الذكريات التي نعيد عملاءنا إليها، فسنضع حدا للتنافر المعرفي بين خطوط الزمن الحقيقية وتلك الزائفة."

"نظريا؟" تتساءل هيلينا. "ألا ينبغي أن تتقدم نحو معلومات أفضل من النظريات إذا كنت تتكلم عن تغيير طبيعة الواقع؟"

يتساءل شو: "ألبرت، هل تقترح أن نقوم بالسفر إلى الماضي البعيد؟ لأن لدي قائمة هنا - ويلمس كراسة جلدية سوداء - من الفطائع والكوارث في القرنين العشرين والواحد والعشرين. أنا فقط ألقى اقتراحا، لكن ماذا لو وجدنا ذكرى عمرها خمسة وتسعون عاما مع قنص يتدرب في الماضي. ذهن حاد. تذكر واضح. هيلينا، ما هو أقدم عمر كنت لتشعرين بالراحة لأن تعيدي شخصا ما فيه إلى ذكرى ما؟" "لا يمكنني تصديق أننا حتى نناقش هذا؟"

"نحن نتحدث هنا فقط. لا توجد أفكار سيئة حول هذه المائدة."

تقول: "مخ الأنثى يكون ناضجا تماما في سن الحادية والعشرين. أما مخ الذكر فيكتمل نضجه بعدها ببضع سنوات. ربما يمكن لسن السادسة عشر أن يتعامل مع الأمر، لكن سنحتاج إلى اختبارات للتأكد. هناك احتمال أننا إذا أعدنا شخصا إلى ذكرياته في سن أصغر من اللازم، ستتهار ببساطة وظائفه المعرفية. إن الزج بوعي بالغ في مخ غير مكتمل يمكن أن يكون كارثيا."

يسأل ألبرت: "هل تقترح ما أظنك تقترحه يا جون؟ أن نرسل عملاء إلى الماضي أربعين أو خمسين أو ستين عاما لاغتيال الديكتاتوريين قبل أن يبدأوا في قتل الملايين؟"

"أو لمنع قتل كان عاملا محفزاً لمأساة ملحمية - مثلاً، عندما قام جافريلو برينسيب، وهو صربي من البوسنة، باغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند عام 1914، وبفعلته تلك أسقط أول قطعة دومينو في سلسلة أشعلت في النهاية الحرب العالمية الأولى. أنا فقط أثير هذه الاحتمالية للنقاش. نحن نجلس في حجرة مع آلة ذات قوة لا تُصدّق."

يحل صمت جاد على المجموعة.

تعود هيلينا إلى الجلوس. قلبها يدق متسارعا، وفمها أصبح جافا.

تقول: "السبب الوحيد لكوني مازلت حول هذه المائدة هو أنه يتوجب أن يكون أحد ما ممثلاً لصوت العقل."

يقول شو: "أتفق معك تماما.."

"أن تغير أحداثاً تتعلق بالأيام القليلة الماضية شيء... لا تفهموني خطأ، مازال هذا أمراً خطيراً ولا ينبغي أن تفعلوه مرة أخرى، وأن تنقذ أرواح الملايين منذ نصف قرن شيء آخر تماماً. على سبيل الجدل، ماذا لو تصورنا طريقة ما لمنع الحرب العالمية الثانية من الحدوث؟ ماذا لو، عاش ثلاثون مليون شخص، بسبب أفعالنا، كانوا ليموتون بغير ذلك؟ ربما تعتقدون أن هذا يبدو رائعا. انظروا بمزيد من التدقيق، كيف تبدأون في حساب الاحتمالات الطيبة والشريرة لهؤلاء الذين ماتوا؟ من يقول أن أفعال وحش مثل هتلر أو ستالين أو بول بوت لم تمنع ظهور وحش أكبر بكثير؟ على الأقل، تعديل على هذا النطاق سيغير بالتأكيد حاضرتنا بما يتجاوز الاستيعاب. سيحول دون زيجات وولادات ملايين البشر. دون هتلر، لم يكن جيل كامل من المهاجرين ليأتي أبداً إلى الولايات المتحدة. أو، أيضاً على نحو أبسط، لو لم يمت حبيب جدتك لأبيك في المدرسة الثانوية في الحرب، لتزوجته بدلا من جدك لأبيك. لم يكن ليولد جذاك قط، لم يكن ليولد أبواك قط - وبوضوح لعين - لم تكون لتولد أنت قط." تنظر عبر المائدة إلى ألبرت.

"أنت باحث في نظرية النظم؟ هل هناك أي نموذج يمكنك تصويره لما قد يبدأ في استنباط التغيرات في تعداد سكان الكوكب على هذا المستوى من الحجم؟"

"نعم، يمكنني تطوير بعض النماذج، لكن بالنسبة لنقطتك، تتبع السبب والنتيجة مع قاعدة بيانات ضخمة كهذه مستحيل عمليا. أتفق معك أننا نحوم بشكل خطر قرب قانون العواقب غير المقصودة. إليك تجربة فكرية عفو الخاطر.

لو لم تدخل إنجلترا الحرب مع ألمانيا نتيجة شيء فعلناه، لم يكن آلان تورينج - أبو الحاسوب والذكاء الاصطناعي - ليُدفع إلى فك تكنولوجيا شفرة ألمانيا. والآن، ربما كان أيضا ليستمر في وضع أساس العالم الحديث الذي نعيش فيه والذي تحركه الشرائح الإلكترونية. ثم مرة أخرى، ربما لا. أو إلى درجة أقل. وكم حياة جرى إنقاذها بناء على كل هذه التكنولوجيا التي تحمينا؟ أكثر من الحيوانات التي فُقدت في الحرب العالمية الثانية؟ تنطلق كرة الثلج لأسئلة 'ماذا لو؟' إلى اللانهائية."

يقول شو: "تم أخذ هذه النقطة في الاعتبار. هذا هو نوع المناقشات الذي نحتاج إلى إجرائه." ينظر إلى هيليتا. "لهذا أريدك هنا. لن تمنعيني من استخدام الكرسي، لكن ربما يمكنك مساعدتنا في استخدامه بحكمة."

اليوم السابع عشر

يقضون الأسبوع الأول في نحت القواعد الأساسية، ومن بينها: الأشخاص الوحيدون المسموح لهم باستخدام الكرسي هم العملاء المدربون، مثل تيموني وستيف.

لا يمكن استخدام الكرسي قط لتغيير أحداث في التواريخ الشخصية لأعضاء الفريق، أو أصدقائهم وعائلاتهم.

لا يمكن استخدام الكرسي قط لإعادة العملاء أبعد من خمسة أيام في الماضي.

الاستخدام الوحيد للكرسي هو للحيلولة دون المآسي والكوارث التي لا يمكن تصورها، والتي يمكن إبطالها بسهولة على يد عميل وحيد ودون أن يعرف أحد اسمه.

كل قرارات استخدام الكرسي سيجري طرحها للتصويت.

اعتاد ألبرت أن يطلق على المجموعة (قسم منع القرف الفظيع جدا)، ومثل أسماء كثيرة تبدأ كنكتة سيئة دون بديل سريع، التصق بهم الاسم.

اليوم الخامس والعشرون

بعد أسبوع، يقدم شو المهمة التالية المرشحة كي تضعها المجموعة في اعتبارها، بل ويجلب صورة فوتوغرافية ليوضح قضيته.

منذ أربع وعشرين ساعة، في مدينة لاندنر، بولاية وايومنغ، عُثر على فتاة في الحادية عشرة من عمرها مقتولة في حجرة نومها، بأسلوب مشابه على نحو مخيف لخمس جرائم قتل سابقة حدثت على مدى ثمانية أسابيع في مدن متباعدة عبر الغرب الأمريكي.

كان الجاني قد اقتحم حجرة النوم في لحظة ما بين الحادية عشر ليلا والرابعة صباحا باستخدام قاطع زجاج. كمم ضحيته واغتصبها بينما كان والداها نائمين غافلين في حجرة في الناحية الأخرى من الصالة.

يقول شو: "على عكس الجرائم السابقة، حيث لم يكن يتم العثور على الضحايا إلا بعد أيام أو أسابيع، تركها هذه المرة في سريرها، مدسوسة تحت الأغشية ليحدها والداها في الصباح التالي. وهو ما

يعني أن لدينا إطارا زمنيا محددا للوقت الذي حدثت فيه جريمة القتل، ونعرف أيضا المكان المحدد. لا يبدو أن هناك شكًا كثيرًا في أن هذا الوحش سيفعلها مرة أخرى. أود اقتراح القيام بتصويت لاستخدام الكرسي، وأنا أصوت بنعم."

يصوت تيموني وستيف بنعم على الفور.

يسأل ألبرت: "كيف تنوي أن يقتل ستيف القاتل؟"

"ماذا تقصد؟"

"حسنًا، هناك طريقة هادئة لإنجاز الأمر، حيث يعترض طريق الشخص ويأخذه إلى مكان مجهول ويضعه في حفرة في الأرض حيث لن يجده أحد أبدا. وهناك الطريقة الضاحجة، حيث يُعثر على القاتل المفترض مذبوحا وسط الشجيرات أسفل النافذة ذاتها التي كان على وشك التسلق عبرها، وما زالت في حوزته السكين وقاطع الزجاج. بالنسخة الضاحجة، سنقوم في الحقيقة بإعلان وجود (قسم منع القرف الفظيع جدا). ربما نريد أن نقوم بهذا الإعلان، وربما لا نريد. أنا فقط أثير السؤال."

كانت هيلينا تحديق في أفضع صورة رأتها على الإطلاق، والتفكير المنطقي يتفتت وراءها. في هذه اللحظة، كل ما تريده للشخص الذي فعل هذا أن يتعذب.

تقول: "صوتي هو لتفكيك هذا المختبر ومسح الخوادم الحاسوبية. لكن إذا قررت أن تخوضوا غمار هذا الأمر - وأعي أنه لا يمكنني إيقافكم - فاقتلوا هذا الحيوان واتركوه بأدوات جريمته أسفل نافذة الفتاة."

يسألها شو: "لماذا يا هيلينا؟"

"لأنه لو عرف الناس أن شخصا ما، أو كيانا ما، خلف هذه التحولات للواقع؛ فإن الوعي بعملكم سيبدأ في اتخاذ مكانة أسطورية."

يسألها ألبرت بابتسامة متكلفة: "أتقصدين مثل باتمان؟"

ترفع هيلينا عينيهما إلى السقف متأففة وتقول: "إذا كان هدفك هو إصلاح الشر الذي يفعله الناس، ربما يكون من مصلحتك أن يخشاك الأشرار. أيضا، إذا وجدوا هذا الشخص قرب مسرح الجريمة، متأهبا لاقتحام بيت، ستربطه السلطات بالجرائم الأخرى، ولنا أمل أن يمنح هذا الطمأنينة للعائلات الأخرى."

تقول تيموني: "تقولين أننا سنصبح البُعبع؟"

"إذا اختار أحد ألا يرتكب شرا لأنه يخشى جماعة في الظل لديها القدرة على التلاعب بالذاكرة والوقت، فهذه مهمة لن تضطروا أبدا إلى مواجهتها، وذكريات زائفة لن تضطروا أبدا إلى خلقها. إذاً نعم. فلتصبحوا البُعبع."

اليوم الرابع والعشرون

يجد ستيڤ قاتل الطفلة في الساعة 1:35 صباحا، بينما يبدأ في قطع ثقب في نافذة حجرة نوم ديزي روبنسون. يضع شريطا لاصقا على فمه ورسغيه ويذبحه ببطء من الأذن إلى الأذن، مراقبا إياه وهو يتلوى وينزف في التراب إلى جوار البيت.

اليوم الحادي والثلاثون

في الأسبوع التالي، يرفضون التدخل في حادث خروج قطار عن القضبان في تلال ريف تكساس، وهو الحادث الذي يقتل تسعة أشخاص ويصيب عددا أكبر بكثير.

اليوم الرابع والخمسون

عندما نتحطم طائرة إقليمية في الغابة دائمة الخضرة جنوبي سياتل، يختارون مرة أخرى ألا يستخدموا الكرسي، ومنطق المجموعة هو أنه، كما كان الحال في حادث الخروج عن القضبان، فإنه قبل أن يُحدد سبب الحادث، سيكون قد مر وقت أكثر بكثير من اللازم لإعادة ستيث أو تيموني.

اليوم الثامن والخمسون

يوما بعد يوم، تتضح أكثر أنواع المآسي الأنسب لهم كي يصلحوها، وإذا كان هناك أي تردد، أي شك مهما كان، فإنهم - لراحة هيلينا - يعطون الأولوية لعدم التدخل.

تستمر محتجزة في العمارة القريبة من حي ساتون بليس. كان ألونزو وجيسيكا قد سمحا لها بالبداية في القيام بجولات سير ليلية. يسير أحدهما خلفها على بعد عدة مبانٍ، ويظل الآخر أمامها على مبعدة عدة مبانٍ أخرى.

إنه الأسبوع الأول من يناير، والهواء المندفع كالسيارات بين المباني أشبه بتيار قطبي في وجهها. لكنها تنعم بالحرية الزائفة للسير في نيويورك ليلاً، متخيلة أنها بالفعل وحدها.

تغدو متأملّة، تفكر في أبويها، في باري. تستمر في العودة إلى الصورة الأخيرة التي تحتفظ بها له - واقفاً في مختبر سليد قبل أن تنطفئ الأنوار مباشرة. وبعد ذلك بدقة، صوته صارخاً فيها أن تهرب.

تجري الدموع باردة على وجنتيها.

لقد رحل أهم ثلاثة أشخاص في حياتها، ولن تراهم مرة أخرى أبداً. إن الوحدة القاسية التي تجلبها هذه المعرفة تقطعها حتى العظم.

هي في التاسعة والأربعين، وتتساءل إن كان هذا ما يعنيه بالفعل الشعور بالتقدم في العمر - ليس فقط تدهورا جسديا، بل تدهورا في العلاقات الشخصية. صمت متزايد يسببه الناس الذين تكن لهم أكبر الحب، الذين شكلوك وحددوا عالمك، ليمضي قُدُما إلى أي ما كان سيأتي لاحقا.

بلا مهرب، بلا نهاية منظورة للعبة، وبرحيل كل من تحب؛ هي غير واثقة كم ستظل تفعل هذا لوقت أطول.

اليوم الحادي والستون

تعود تيموني إلى إحدى الذكريات لتمنع موظف تأمينات مختلا في الثانية والخمسين من عمره من اقتحام مظاهرة سياسية في بيركلي وقتل ثمانية وعشرين طالبا ببندقية آلية.

اليوم السبعون

يقتحم ستيث شقة في ليدز بينما يقوم الرجل بإحكام ربط صديريته، ويمرر نصل سكين قتالي عبر قاعدة جمجمته، ويفتت نخاعه المستطيل، تاركا إياه مقلوبا على وجهه فوق سطح مائدة مليء بالمسامير والبراغي والصواميل التي كانت ستمزق اثني عشر شخصا أشلاء في قطار أنفاق لندن في الصباح التالي.

اليوم التسعون

في ذكرى مرور ثلاثة أشهر على بدء البرنامج، يقدم تقرير في جريدة نيويورك تايمز لمحة عن مهامهم الثمانية، مخمنا أن ميتات المحتملين من القتلة ومطلق النار في المدارس والتفجيري الانتحاري تشير إلى عمل منظمة غامضة تمتلك تكنولوجيا تتجاوز كل فهم.

هيلينا في الفراش، على حافة النوم، عندما تأتي طريقة شديدة على الباب الأمامي لتجعل قلبها يدق متسارعا. لو كانت هذه شقتها، لأمكنها التظاهر أنها في الخارج والانتظار حتى يرحل هذا القادم في وقت متأخر، لكن للأسف، هي تعيش تحت المراقبة، والمزلاج يدور بالفعل.

تهبط من الفراش، وتضع عليها رداء استحمامها، وتخرج إلى حجرة المعيشة بينما يفتح جون شو الباب الأمامي.

تقول: "ادخل مباشرة، بالطبع."

"آسف، وأعتذر عن الزيارة المتأخرة." يقطع الصالة داخلا حجرة المعيشة. "شقة لطيفة."

يمكنها أن تشم لفحة البوربون بنكهة القرفة تفوح من أنفاسه - قدر كبير منها. "نعم، إنها شقة بإيجار خاضع للسيطرة وكل شيء." بمقدورها أن تعرض عليه زجاجة بيرة أو شيئا ما، لكنها لا تفعل.

يستوي شو جالسا على مقعد مستدير له وسادة أمام منضدة المطبخ، وتقف هيلينا في مواجهته، مفكرة أنه يبدو أكثر استغراقا في التفكير وانزعاجا من أي مرة رآته فيها.

"ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك يا جون؟"

"أعرف أنك لم تؤمني أبدا بما نفعله."

"هذا صحيح."

"لكنني سعيد بوجودك في الحوار. تجعليننا أفضل. أنت لا تعرفينني جيدا، لكنني لم أكن دائما... إيه! هل لديك أي شيء للشرب؟"

تتجه إلى الثلاثة ماركة (صَب زيرو) وتُخرج زجاجتيّ بيرة (بروكلين بروري) وتنزع الغطاءين.

يأخذ شو جرعة كبيرة ويقول: "أصنع أشياء لعينة للجيش لمساعدته على قتل أشخاص بكفاءة قذر المستطاع. لقد كنت السبب وراء بعض التكنولوجيا المريعة فعلا. لكن تلك الشهور القليلة الأخيرة كانت الأفضل في حياتي. كل ليلة، بينما أذهب إلى النوم، أفكر في الأسى الذي نمحوه. أرى وجوه الناس الذين ننقذ أرواحهم أو أرواح أحبائهم. أفكر في ديزي روبنسون. أفكر فيهم جميعا."

"أعلم أنك تحاول فعل ما هو صواب."

"بالفعل. للمرة الأولى في حياتي، ربما." يشرب بيرته. "لم أقل شيئا للفريق، لكنني أتعرض لضغط من أشخاص في أماكن عليا."
"أي نوع من الضغط؟"

"بسبب تاريخي، أتيح لي لجام طويل وحد أدنى من الرقابة. لكن مازال لديّ سادتي. لا أعرف إن كانوا يشكّون في شيء ما، لكنهم يريدون معرفة ما أعمل عليه."

تسأله: "ماذا يمكنك أن تفعل؟"

"هناك طرق قليلة لممارسة اللعبة. يمكننا خلق برنامج واجهة زائفة، ومنحهم شيئا براقا ينظرون إليه، لا يحمل شيئا فعليا لما نفعله. ربما يوفر لنا هذا بعض الوقت. اللعبة الأفضل هي إخبارهم فقط."

"لا يمكنك القيام بهذا."

"إن الهدف الأساسي لداربا هو صنع تطورات رائدة في التكنولوجيا تقوي أمننا القومي، مع التركيز على التطبيقات العسكرية. إنها مسألة وقت فقط يا هيلينا. لا يمكننا إخفاء الأمر عنهم إلى الأبد."

"وكيف سيستخدم الجيش الكرسي؟"

"كيف لن يستخدمه؟ بالأمس كانت فصيلة من الوحدة 101 تنصب كمينا في ولاية قندهار. ثمانية من قوات المارينز قُتلوا أثناء العملية. هذه ليست معلومات للجمهور حتى الآن. في الشهر الماضي، تحطمت مروحية (بلاك هوك) في مهمة تدريب ليلية في هاواي. مات خمسة. أتعلمين كم مهمة تفشل لأنك أفليت العدو ببضعة أيام أو ساعات؟ في المكان الصحيح، في الوقت الخاطئ؟ سيرون الكرسي كأداة تمنح القادة القدرة على تعديل الحرب."

"ماذا لو أنهم لا يشاركونك وجهة نظرك حول الكيفية التي ينبغي أن يُستخدم بها الكرسي؟"

"أوه، لن يفعلوا." ينهي شو آخر قطرة في بيرته. يفك أزرار ياقته، ويرخي ربطة عنقه. "لا أريد أن أفزعك، لكن ليست وزارة الدفاع فقط من ستستغل الكرسي. السي آي إيه، ووكالة الأمن القومي، والإف بي آي - كل وكالة ستريد قطعة منه إذا ذاع السر. نحن وكالة تابعة لوزارة الدفاع، وسيوفرون غطاء ما، لكنهم جميعا سيطالبون بجلسة على الكرسي."

"يا إلهي! وهل سيذيع السر؟"

"من الصعب قول هذا، لكن هل يمكنك أن تتخيلي لو كانت هذه التقنية لدى وزارة العدل؟ سيحولون هذا البلد إلى فيلم (تقرير الأقلية)⁽¹⁾."

"دمر الكرسي."

(1) فيلم تقرير الأقلية Minority Report من إنتاج عام 2002 للمخرج ستيفن سبيلبرج وبطولة توم كروز وتدور أحداثه عام 2054 عن وحدة ما قبل الجريمة، وهي وحدة شرطة متخصصة في القبض على المجرمين بناء على معرفتهم المسبقة بالجرائم قبل وقوعها.

"هيلينا..."

"ماذا؟ كم يبدو هذا صعباً؟ دمره قبل أن يحدث أي شيء من هذا."

"احتماليته للخير عالية جداً. لقد أثبتنا هذا بالفعل. لا يمكننا تدميره بسبب الخوف مما قد يحدث."

يسود الصمت في الشقة. تلف هيلينا أصابعها حول زجاجة البيرة الباردة المتعركة.

تسأله: "إذاً ما هي خطتك؟"

"ليست لدي خطة. ليس بعد. فقط احتجت أن تعرفي ما هو آت."

اليوم 136

يبدأ الأمر أسرع مما يتوقع أحد.

يدخل شو المختبر يوم 22 مارس من أجل موجزهم اليومي بكل القرف المريع الذي حدث في العالم في الأربع والعشرين ساعة الماضية ويقول: "لدينا أول مهمة يتم نكليفنا بها."

يسأله راج: "ممن؟"

"الأعلى في السلسلة الغذائية."

تسأل هيلينا: "إذاً هم يعرفون؟"

"نعم." ويفتح ملفاً من الورق المقوى على غلافه ختم (سري للغاية) باللون الأحمر. "لم يظهر هذا في الأخبار. في الخامس من يناير، منذ خمسة وسبعين يوماً، تعطلت طائرة مقاتلة من الجيل السادس وسقطت قرب الحدود بين أوكرانيا وروسيا البيضاء. هم لا يعتقدون أن الطائرة دُمرت، وهم متأكدون إلى حد كبير أن الطيار تعرض للأسر. نحن نتحدث عن طائرة بوينج F/A-XX، والتي مازالت قيد التطوير،

وتحظى بتصنيف عال، ومحملة بكل أنواع الإضافات والكماليات التي لا نفضل ألا يملكها الروس.

طلبوا مني أن أرسل عميلاً ليعود إلى يوم الرابع من يناير ويخبرني بأمر هذا التحطم. وبعد ذلك يُفترض أن أسلم رسالة إلى نائب وزير الدفاع، الذي سيتأكد من وصول الرسالة نزولاً عبر الرتب المختلفة بحيث يتم فحص الطائرة قبل الطيران التجريبي ومنعها من الطيران قرب أي مكان من الأراضي الروسية.

تسأل هيلينا: "سته وسبعون يوماً؟"

"صحيح."

يقول ألبرت: "هل أخبرتهم أننا لا نستخدم الكرسي للرجوع إلى هذا الوقت البعيد؟"

مكتبة

t.me/t_pdf

"لم أصغها بهذه المباشرة، لكن نعم."

"و...؟"

"قالوا 'افعل كما تؤمر.'"

يرسلون تيموني إلى الماضي في العاشرة صباحاً يوم 22 مارس.

قبل الحادية عشر صباحاً، تكون هيلينا والفريق أمام التلفزيون، مسمرين أمام قناة (سي إن إن) مصدومين. هذه هي المرة الأولى التي يستخدمون فيها الكرسي للعودة قبل تاريخ تدخل سابق، وبقدر ما يمكنهم أن يفهموا من التقارير، كان لهذا تأثير غير عادي. حتى الآن، كانت ظاهرة الذكرى الزائفة تخضع لنموذجها القابل للتنبؤ، ملتزمة بذكرى حدوثها في خطها الزمني الفردي. بصيغة أخرى، عندما يغير عميل ما خطأ زمنياً، فإن الذكريات الزائفة لذلك الخط الزمني "الميت" تصل دائماً في نفس اللحظة التي مات فيها العميل في الحوض. لكن هذه المرة، يبدو أن هذه النقاط الخاصة بذكرى الحدوث قد جرى

تجاوزها - لم تُحصى، بل دُفعت إلى الوراثة حتى العاشرة صباحا، هذا الصباح، لحظة آخر استخدام للكرسي عندما عادت تيموني لتعطي شو الرسالة الخاصة بالطائرة المقاتلة التي جرى إسقاطها. لذلك وبدلا من تذكر كل خط زمني ميت كما حدث، تلقى الجمهور الصدمة الكاملة للذكريات الميتة في جرعة واحدة، في العاشرة صباحا، اليوم، حيث تذكر الجميع في نفس الوقت كل المذابح التي جرى تجنبها منذ الرابع من يناير، بما في ذلك بيركلي والتفجير الانتحاري لقطار أنفاق لندن.

كان الابتلاء بهذه الذكريات الزائفة واحدة واحدة، على مدار عدة أشهر، مدمرا بما فيه الكفاية. أما أن يصطدم الجميع بها كلها في لحظة واحدة، فهو أكثر من هذا أضعافا مضاعفة.

حتى الآن لا تذكر وسائل الإعلام أي ميتات أو انهيارات عصبية كنتيجة للهجوم المفاجئ، لكن بالنسبة لهيلينا فهذا تذكير قاس بأن ماكينتها أكثر غموضا وخطرا واستعصاء على المعرفة من أن توجد.

اليوم 140

مازالوا يعطون شو مطلق الحرية في التدخل لمنع المآسي المدنية، لكن عملهم يغدو ذا طبيعة عسكرية على نحو متزايد.

يستخدمون الكرسي من أجل العودة ومنع هجمة طائرة بدون طيار ضربت حفل زفاف، وقتلت في الأغلب نساء وأطفالا أفغان، وأفلت منها الهدف المقصود تماما، والذي لم يكن حتى من بين الحاضرين.

اليوم 146

يراجعون ضربة جوية من قاذفة قنابل لانسر B-1 أخطأت توجيه حمولتها وقتلت فريقا من القوات الخاصة في مقاطعة زابل بدلا من قوة طالبان التي تم استدعاؤها لضربها.

اليوم 152

أربعة جنود موتى، هاجمهم مقاتلون إسلاميون أثناء قيامهم بدورية في صحراء النيجر، بُعثوا إلى الحياة عندما ماتت تيموني في الحوض وأعطت شو تفاصيل الكمين الوشيك.

إنهم يستخدمون الكرسي بوتيرة كبيرة - على الأقل مرة في الأسبوع الآن - حتى أن شو يأتي بعميل جديد لتخفيف العبء عن ستيث وتيموني، اللذين يبدآن في المعاناة من أولى علامات التدهور العقلي جراء ضغط الموت مرة بعد مرة.

اليوم 160

تهبط هيلينا إلى جراج صف السيارات في بنائها وتتوجه إلى السوبربان السوداء مع ألونزو وجيسيك، شاعرة بياس أكبر مما يمكنها أن تتذكر شعورها بمثله. لا يمكنها الاستمرار في القيام بهذا. الجيش يستخدم كرسيها، وهي عاجزة عن إيقافهم. والكرسي نفسه موضوع تحت المراقبة أربعًا وعشرين ساعة سبعة أيام في الأسبوع، وليس لديها مدخل إلى النظام. حتى لو تمكنت من الهرب من ألونزو وجيسيك، وفي ضوء ما تعرفه، لن تتوقف الحكومة أبدا عن مطاردتها. بالإضافة إلى هذا، يمكن لشو ببساطة أن يعيد عميلا إلى ذكرى ماضية كي يمنع هروبها من الحدوث مطلقا.

ذكريات سود تهمس لها مرة أخرى.

يهتز هاتفها في جيبتها بينما يتوجهون جنوبا على طريق فرانكلين د. روزفلت السريع المحاط بالمتنزهات على الجانبين - شو يتصل.

تجيب: "أهلا، أنا في الطريق."

"أردت أن أخبرك أولا."

"ماذا؟"

"حصلنا على تكليف جديد هذا الصباح."

"ما هو؟"

تختفي السماء بينما يمرون عبر مدخل مانهاتن لنفق كوينز-ميدتاون.

"يريدوننا أن نعيد أحدا إلى عام مضى تقريبا."

"لماذا؟ لأي غرض؟"

تضغط جيسكا على بدال الفرامل بقوة كافية كي تدفع هيلينا إلى الأمام رغم حزام ظهرها. عبر الزجاج الأمامي، بحر من الأضواء الخلفية الحمراء يضيء النفق أمامهم، مصحوبا بتناثر نغمات لسائقين بدأوا في إطلاق أبواق سياراتهم.

"اغتيال."

ثمة انفجار بعيد من الضوء، يتبعه صوت كالرعد، في عمق أبعد داخل النفق.

تجلجل النوافذ، وترتج السيارة أسفلها، وترتعث المصابيح العلوية للحظة مرعبة قبل أن تومض من جديد.

يسأل ألونزو: "ما كان هذا بحق الجحيم؟"

"جون، سأصل بك مرة أخرى." تخفض هيلينا هاتفها. "ماذا يحدث؟"

"اعتقد أنه كان هناك انفجار ما أمامنا."

يبدأ الناس في الخروج من سياراتهم.
يفتح ألونزو بابه، ويخرج متجها إلى داخل النفق.
تتبعه جيسिका.

رائحة الدخان المندفعة عبر فتحات التهوية تعيد هيلينا فجأة
إلى الحاضر. تنظر وراءها عبر الزجاج الخلفي إلى السيارات المكتظة
خلفهم.

يعدو رجل مار بنافذتها، منطلقا بأقصى سرعته نحو نور النهار،
وتسري أول رعشة خوف هابطة عمود هيلينا الفقري.

مزيد من الناس يأتون الآن، وكلهم يبدون مذعورين، مندفعين ما
بين السيارات عاندين نحو مانهاتن، محاولين أن يهربوا من شيء ما.
تفتح هيلينا بابها، وتخطو خارجة.

فوضى الخوف واليأس البشريين يتردد صداها من جدران النفق،
ويتصاعد مغطيا على هدير ألف محرك سيارة.

"ألونزو؟"

يقول: "لا أعرف ماذا حدث، لكنه شيء سيء."

يحمل الهواء رائحة سيئة - ليس فقط من عوادم السيارات لكن
رائحة بنزين وأشياء منصهرة.

يخرج الدخان ملتفا من النفق أمامهم، والناس المتعثرون في
اتجاهها يبدون مصابين بالارتجاج الدماغي، ووجوههم تنزف ومسودة.
تتدهور نوعية الهواء سريعا، وتبدأ عيناها في الالتهاب، والآن يمكنها
بالكاد رؤية ما يكمن أمامها.

تقول جيسिका: "يجب أن نخرج من هنا يا ألونزو. الآن حالا."

وبينما يلتفتون كي يمضوا، يظهر رجل من بين الدخان، يعرج ويمسك بجانبه، في ألم واضح.

تندفع هيلينا في اتجاهه، وهي تسعل الآن، وعندما تقترب ترى أنه يمسك بشظية زجاج مغروسة في جانبه. يداه منقوعتان في الدماء ووجهه مسود من الدخان وملتو من الوجع.

تصيح جيسكا: "هيلينا! نحن مغادرون!"

"هو بحاجة لمساعدتنا!"

يسقط الرجل بين يدي هيلينا، وهو يلهث باحثا عن الهواء. يهرع ألونزو نحوهما، يأخذ هو وهيلينا كل بذراع للرجل ويضعانها على كتفيهما. هو رجل كبير الحجم، على الأقل في الثانية والخمسين، ويرتدي قميصا نصف محترق على جيبه العلوي اسم وشعار شركة لخدمات الشحن.

من المريح التوجه نحو منفذ للخروج. مع كل خطوة، تُخوض قدم الرجل اليسرى في حذائه، الذي يمتلئ بالدم.

تسأله هيلينا: "هل رأيت ما حدث؟"

"توقفت هاتان المقطورتان الجارتان في الطريق. كانتا تسدان كلتي الحارتين على مسافة ليست بعيدة عني. وضع الجميع أيديهم على الأبواق. ولم يستغرق الأمر كثيرا حتى بدأ الناس يخرجون من سياراتهم ويقتربون من الشاحنتين ليروا ما الأمر. وبمجرد أن صعد ذلك الشخص على واحدة من المقطورتين، رأيت ضوءا خاطفا ساطعا وبعده أعلى صوت سمعته في حياتي. وفجأة اندفعت هذه الكرة من النار فوق كل السيارات. انفجر الزجاج الأمامي وبعد ذلك اشتعل داخل السيارة. اعتقدت أنني سأحترق حتى الموت، لكن بطريقة ما أنا..."

يتوقف الرجل عن الكلام.

تحقق هيلينا أسفلها في الرصيف، الذي يهتز تحت قدميها، وبعد ذلك ينظرون جميعا إلى النفق في اتجاه كوينز.

من الصعب تمييز الأمر في البداية بسبب الدخان، لكن سرعان ما تغدو الحركة واضحة على البُعد - الناس يجرون نحوهم، وصوت الصراخ يرتفع ويتردد صداه من الجدران.

ترفع هيلينا عينيها بينما ينفتح شق في منتصف السقف، أعلى رأسها باثني عشر قدما وينكسر بزوايا مستقيمة، وتتساقط كتل من الخرسانة في كل مكان حولها، لتسحق زجاج السيارات والناس. ثمة ريح باردة في وجهها، والآن، فوق صرخات الرعب، ثمة صوت أشبه بالضجيج الأبيض⁽¹⁾ والرعد، يعلو أضعافا مضاعفة مع كل ثانية تمر.

ينشج رجل توصيل الطلبات.

يقول ألونزو: "اللعة".

تشعر هيلينا بغشاوة فوق وجهها، ويعد ذلك انفجر حائط من الماء خارجا من الدخان ليحمل السيارات والناس.

يضرب هيلينا مثل حائط من الطوب المتجمد، مقتلعا إياها من وقفاتها، وتنقلب في دوامة من العنف البارد، تتخبط في الجدران والسقف، ثم تصطدم بامرأة ترتدي زيا رسميا، تلتقي عيونهما للحظتين سرياليتين قبل أن تنقذف هيلينا مخترقة الزجاج الأمامي لشاحنة تابعة لشركة فيديكس.

(1) الضجيج الأبيض مجموعة من الأصوات التي تجمع كافة الترددات التي يستطيع الإنسان سماعها، والتي تقع في مجال الطيف الترددي ما بين 20 إلى 20 ألف هرتز.

تقف هيلينا عند النافذة في حجرة المعيشة، أنفها تنزف، رأسها ينبض، محاولة التعامل مع ما حدث للتو.

رغم أنها مازالت تستطيع الشعور برعب الاكتساح عبر أنبوبة في موجة حطام من الماء والناس والسيارات، إلا أن موتها في النفق لم يحدث قط.

كل هذا ذكرى ميتة.

استيقظت، وأعدت الإفطار، واستعدت، وكانت تتوجه خارج الباب عندما سمعت انفجارين عاليين للغاية وقريبين حتى أنهما هزا الأرض وجلجلا الزجاج.

جرت عائدة إلى حجرة المعيشة، وعبر النافذة، شاهدت في ذهول جسر الشارع التاسع والخمسين مشتعلا. وبعد خمس دقائق، استعادت الذكريات الميتة لموتها في النفق.

والآن، برجا جسر الشارع التاسع والخمسين اللذان يؤطران جزيرة روزفلت محاطان بأعمدة لهب متلوية تمتد مئات الأقدام في الهواء وتشتعل بسخونة كافية بالنسبة لها كي تشعر بالحرارة، حتى من على بُعد ألف قدم ومن خلال النافذة.

ماذا يحدث بحق الجحيم؟

امتداد الجسر بين مانهاتن وجزيرة روزفلت متدلٍ عبر النهر الشرقي كوتر مقطوع، ودعاماته مازالت متشبثة ببرج مانهاتن. تنزلق السيارات من فوق الرصيف المائل داخل النهر، ويتشبث الناس بالقضبان بينما ينتزع التيار ببطء فلقة الجسر من محجرها بصرير عزم الدوران الذي يمكنها الشعور به في حشوات أسنانها.

تمسح الدم السائل من أنفها بينما يخطر لها فجأة - لقد مررت بتحول للواقع. مت في النفق. والآن أنا هنا. شخص ما يستخدم الكرسي.

الامتداد الذي يربط بين جزيرة روزفلت وكوينز تمزق بالفعل تماما، وبامتداد النهر ترى قسما بطول ألف قدم من الطريق المشتعل يصطدم بسفينة حاويات، مخوزقا هيكلها بنتوءات كالرماح من الدعامات الحديدية المنفصمة.

حتى داخل شقتها، يفوح الهواء برائحة احتراق أشياء لم يكن ينبغي أن تكون قابلة للاحتراق، وعويل سارينات مئات من سيارات النجدة القادمة يصم الآذان.

وبينما يهتز هاتفها خلفها على منضدة المطبخ، تنفك آخر الخيوط المعدنية من برج مانهاتن مثل سياط تقرقع، وبأنة هائلة تنفصل فلكة الجسر، لتسقط عموديا بارتفاع مائة وثلاثين قدما، ويتحطم الطريق ذو المستويين مخترقا الخرسانة إلى طريق فرانكلين د. روزفلت السريع، ليسحق السيارات المارة، ويسوي الأشجار بخط الساحل، ثم يكشط ببطء الحد الشرقي لشارعٍ تسعة وخمسين وثمانية وخمسين، مقتلعا الجانب الشمالي الشرقي كاملا من إحدى ناطحات السحاب، ومفلتا بالكاد بناية هيلينا قبل أن ينزلق غاطسا في النهر الشرقي.

تندفع داخل المطبخ وتجبب الهاتف بسؤال: "من يستخدم الكرسي؟"

يقول جون: "لسنا نحن من استخدمه.."

"هراء. لقد انتقلت للتو من الموت في نفق وسط المدينة إلى الوقوف في شقتي، لأراقب هذا الجسر يحترق."

"فقط تعالي إلى هنا بأسرع ما يمكنك."

"نحن مُدمِّرون يا هيلينا. نحن مُدمِّرون جدا."

ينفتح باب شقتها بعنف. يندفع ألونزو وجيسكا داخلين، وأنفاهما ينزفان، ويبدو عليهما رعب يكاد يفقدهما عقلهما.

تشعر هيلينا بتباطؤ الحركة كلها.

تحول آخر قادم؟

تقول جيسكا: "ماذا بحق الجحيم..."

هيلينا الآن تحديق عبر الزجاج الغامق لنافذة المقعد الخلفي، ناظرة شمالا بامتداد النهر الشرقي نحو هارلم وحي ذا برونكس.

لم تمت أبدا في النفق.

لم يحدث دمار جسر الشارع التاسع والخمسين.

في الحقيقة، هم في منتصف الطريق يقطعون المستوى الأعلى من جسر الشارع التاسع والخمسين، الذي يقف سليما تماما في هذه اللحظة.

من خلف عجلة القيادة تقول جيسكا: "أوه يا إلهي!"

تنحرف السيارة السوبربان إلى داخل الحارة المجاورة، ويمد ألونزو يده من المقعد المجاور ليقبض على عجلة القيادة، ويعيد السيارة مرة أخرى إلى حارتها.

أمامهم مباشرة، تنحرف حافلة داخل حارتهم، لتضرب بجانبها ثلاث سيارات وتصدمها بالحاجز وسط رذاذ من الشرارات والزجاج المهشم.

تلوي جيسيكاً عجلة القيادة، لتفلت بالكاد من الركاب بينما تميل السيارة للحظة سائرة على عجلتين.

تقول: "انظرا خلفنا.."

تنظر هيلينا وراءها، وترى أعمدة هائلة من الدخان تتصاعد من ميدتاون.

تقول جيسيكاً: "هذا شيء ما متعلق بالذاكرة الزائفة، أليس كذلك؟"

تتصل هيلينا بشو، وترفع الهاتف على أذنها مفكرة: شخص ما يستخدم الكرسي ليحول الواقع من كارثة إلى أخرى.

"كل الدوائر مشغولة، من فضلك حاول الاتصال في وقت لاحق."

يفتح ألونزو الراديو.

"... ترد تقارير عن انفجار مقطورتين جرارتين قرب محطة جراند سنترال. وهناك بعض الارتباك. كما وردت تقارير في وقت سابق عن حادثة من نوع ما في نفق كوينز-ميدتاون، وأتذكر رؤية جسر الشارع التاسع والخمسين ينهار، لكن... لا أعرف كيف يكون هذا ممكناً - أراه واقفاً في حالة ممتازة على شاشة كاميرا برجنا الآن..."

... ويتوقفون في الشارع السابع والخمسين، الهواء يغص بالدخان، وأذناها تطنان.

صداع آخر.

نزيف أنف آخر.

تحول آخر.

حادثة النفق لم تحدث قط.

حادثة الجسر لم تحدث قط.

لم تنفجر محطة جراند سنترال.

فقط تبقى الذكريات الميثة لهذه الأحداث، مكدسة في عقلها كذكريات الأحلام.

استيقظت، أعدت الإفطار، ارتدت ملابسها، استقلت المصعد هابطة إلى جراج صف السيارات أسفل بنائها مع جيسكا وألوزو، بالضبط مثل كل صباح آخر. كانوا متوجهين غربا في الشارع السابع والخمسين ليلتفوا صاعدين الجسر عندما شق السماء وميض خاطف يغشي الأبصار، مقترنا بصوت يشبه ألف دانة مدفع تنطلق في وقت واحد مرتدة أصداؤها من المباني المحيطة.

هم عالقون في المرور الآن، وفي كل مكان حولها يقف الناس على الرصيف، ناظرين في رعب إلى (برج ترامب)، الذي تحول إلى سحب متصاعدة من الدخان واللهب.

تدلى الطوابق العشرة الأدنى كوجه منصهر، وأحشاء الحجرات المفردة مكشوفة كالصناديق الصغيرة. والطوابق الأعلى مازالت سليمة إلى حد كبير، والناس بداخلها يحدقون من فوق الهوة حديثة الصنع إلى داخل فوهة البركان التي كانت سابقا تقاطع الشارع السابع والخمسين مع الجادة الخامسة.

وبينما تزعق المدينة بأصوات السارينات القادمة، تصرخ جيسكا: "ماذا يحدث؟ ماذا يحدث؟"

أمامهم مباشرة، يسقط كائن بشري من السماء ويصطدم بسقف سيارة أجرة.

ويسقط شخص آخر محطما الزجاج الأمامي لسيارة تقف وراء السوبربان مباشرة.

ويسقط ثالث بشكل عمودي مخترقا سقيفة نادي رياضي خاص،
وتتساءل هيلينا متعجبة إن كان الناس يلقون بأنفسهم من المباني لأن
هذا أكثر مما يمكن لأعصابهم تحمله. لن يدهشها هذا. لو لم تكن
تعرف بأمر الكرسي، ماذا تراها كانت لتعتقد أنه يحدث للمدينة
وللزمان وللواقع نفسه؟

جيسيكا تبكي.

يقول ألونزو: "يبدو وكأنها نهاية كل شيء."

تتطلع هيلينا إلى المبنى القريب من نافذتها بينما تقفز امرأة
شقراء الشعر من مكتب تهشم زجاجه بفعل الانفجار. تسقط
كالصاروخ، برأسها أولا، صارخة في طريقها للارتطام، وتبدأ هيلينا في
الالتفات بعيدا، لكنها لا تستطيع.

تتباطأ حركة كل شيء مرة أخرى.

الدخان العكر.

السنة اللهب.

تهبط المرأة الساقطة في حركة بطيئة بشدة، ورأسها يقترب بوصة
بوصة من الرصيف.

يتوقف كل شيء.

يحتضر هذا الخط الزمني.

تشبث يدا جيسيكا للأبد بعجلة القيادة.

لا تستطيع هيلينا أبدا أن تشيح بناظريها عن المرأة القافزة، التي
لن ترتطم بالأرض أبدا، لأنها تجمدت في الهواء، وأم رأسها على مبعدة
قدم واحد من الرصيف، شعرها الأصفر متناثر حول وجهها، عيناها
مغلقتان، وجهها في تقطية أبدية، متأهبا للصدمة...

وهيلينا تسير مجتازة الأبواب المزدوجة لمبنى داربا، حيث يقف شو بالضبط خارج مكتب الأمن.

يصدق أحدهما في الآخر، متعاملا مع هذا الواقع الجديد بينما المجموعة المصاحبة من ذكريات الاستبدال تدوي بالداخل. لم يحدث شيء منها.

لا النفق، ولا الجسر، ولا جراند سنترال، ولا برج ترامب. استيقظت هيلينا، استعدت، وتم اقتيادها بالسيارة إلى هنا مثل كل صباح آخر، دون أي حادثة.

تفتح فمها لتتكلم، لكن شو يقول: "ليس هنا في الخارج". راج وألبرت جالسان إلى مائدة الاجتماعات في المختبر، يشاهدان الأخبار في تلفاز منغرس في الحائط. انقسمت الشاشة إلى أربع صور حية من كاميرات برجية تعرض بثا حيا لجسر الشارع التاسع والخمسين، ومحطة جراند سنترال، وبرج ترامب، ونفق كوينز-ميدتاون، وعلى شريط الأخبار: "تعطل ذاكرة جماعي في مناهاتن".

تسأل هيلينا: "ما هذا الشيء اللعين الذي يحدث؟" جسدها يرتعش، لأنها - رغم أن هذا لم يحدث قط - مازال بإمكانها الشعور بأثر الصدمة من ارتطام جدار الماء بها. بإمكانها سماع الأجساد وهي تصطدم بالسيارات في كل مكان حولها. بإمكانها سماع صرير الجسر وهو يتمزق نصفين.

يقول شو: "اجلسي.."

تسحب المقعد المواجه لراج، الذي يبدو مصدوما تماما. * يظل شو واقفا، ويقول: "إن تخطيطات الكرسي والحوض وبرمجياتنا والبروتوكول - كلها تسربت."

تشير هيلينا إلى الشاشة: "شخص آخر من يفعل هذا؟"

"نعم."

"من؟"

"لا أعرف."

تقول: "سيستغرق الأمر أكثر من بضعة شهور لبناء الكرسي إذا كنت تعمل فقط من مسودات.."

"تسرب منذ عام."

"كيف يمكن هذا؟ أنتم حتى لم يكن لديكم الكرسي منذ عام..."

"كان ماركوس يعمل من ذلك الفندق لأكثر من عام. شعر شخص ما بالفضول حيال ما كان يفعله وقام باختراق خوادمه الحاسوبية. وقد وجد راج للتو دليلا على هذا الاختراق."

يقول راج: "كان خرقا هائلا للبيانات. أخفوه جيدا، وحصلوا على كل شيء.."

شو ينظر إلى ألبرت: "قل لها ما وجدته."

"أمثلة أخرى لتحولات في الواقع."

"أين؟"

"هونج كونج، طوكيو، موسكو، أربعة في باريس، اثنان في جلاسجو، واحد في أوسلو. بما يشبه كثيرا الطريقة التي ظهرت بها قصص متلازمة الذاكرة الزائفة لأول مرة في أمريكا العام الماضي."

"إذاً يستخدم الناس الكرسي، وأنت تعرف هذا بالتأكيد."

"نعم. بل وجدت شركة في ساو باولو تستخدمه للسياحة."

"يا إلهي! منذ متى يحدث كل هذا؟"

"يعود لحوالي ثلاثة شهور".

يقول شو: "وقد خرجت الحكومتان الصينية والروسية لتقولاً أنهما تملكان هذه التكنولوجيا".

"وكان كل جملة جديدة تقولها أكثر رعباً من سابقتها".

"حسن، تماشياً مع هذا الاتجاه..." يفتح جهاز لابتوب على المائدة وينقر عليه رابطاً. "خرج هذا البث منذ خمس دقائق. ليست هناك تغطية صحفية بعد".

تميل نحو الشاشة.

إنها الصفحة الرئيسية لموقع ويكيليكس.

تحت عنوان "الحرب والجيش"، ترى رسماً جرافيكياً لجندي يجلس على مقعد يشبه بالضبط الكرسي الموجود في منتصف هذه الحجرة، أعلى العنوان الرئيسي:

آلة الذاكرة الخاصة بالجيش الأمريكي. آلاف الصفحات التي تضم تخطيطات كاملة لجهاز يزعم أنه يعيد الجنود إلى ذكرياتهم قد يفسر فيض المآسي التي جرى إبطالها خلال الشهور الست الماضية.

يضيق صدرها.

تحترق نجوم سوداء في مجال رؤيتها.

تسأل: "كيف تربط ويكيليكس الكرسي بحكومتنا؟"

"لا نعرف".

يقول ألبرت: "الخلاصة أن خوادم سليلد جرى اختراقها. وربما بيعت المحتويات للعديد من المشتريين. ومن أحد هؤلاء المشتريين أو أكثر من واحد، أو من المخترقين أنفسهم، استمرت التخطيطات في التسرب. وفي هذه اللحظة من المحتمل أن توجد كراس عديدة مستخدمة في

بلاد كثيرة عبر العالم. تملك الصين وروسيا الكرسي، والآن، مع نشر ويكيليكس للتخطيطات، أي شركة أو ديكتاتور أو شخص ثري لديه خمسة وعشرون مليون دولار يمكنه صنع آلة الذاكرة الخاصة به.

يقول راج: "لا تنس - يبدو أن جماعة إرهابية من نوع ما ستكون واحدة من المالكين الجدد الفخوريين للكرسي، وهي تستخدمه لتكرر نفس الهجوم على معالم مختلفة في واحدة من أكثر المدن كثافة بالسكان في العالم."

تنظر هيلينا إلى الكرسي.

الحوض.

البوابة.

للهواء صوت أزيز خافت.

على شاشة التلفزيون، تغطي الأخبار الآن هجوما جديدا في سان فرانسيسكو، حيث تتصاعد من جسر جولدن جيت أعمدة من الدخان الأسود إلى سماء الصباح الباكر. يحاول عقلها أن يستجمع نفسه ويحيط بالموقف، لكنه أضخم وأعقد وألعن من قدرته على الاستيعاب.

يسأل شو: "ما هو سيناريو الحالة الأسوأ يا ألبرت؟"

"أعتقد أننا نمر به الآن."

"لا، أقصد فيما يتعلق بما يمكن أن يحدث بعد ذلك؟"

كان ألبرت دائما رابط الجأش، كما لو أن ذكائه الكبير كان يحميه ويرفعه فوق الجميع. لكن ليس اليوم. فهو يبدو اليوم مرعوبا.

يقول: "ليس من الواضح إن كانت روسيا أو الصين تمتلك مخططات الكرسي، أم أنهما قد صنعنا واحدا بالفعل. في الحالة الأولى تأكدوا أنهما تتسابقان لصنع كرسي، إلى جانب كل بلد أخرى في العالم."

تسأل هيلينا: "لماذا؟"

"لأنه سلاح. إنه السلاح النهائي. تذكروا اجتماعنا الأول حول هذه المائدة، عندما تحدثنا عن إرسال قنص عمره خمسة وتسعون عاما إلى ذكرى قديمة له ليغير نتيجة حرب؟ مَنْ من بين أعدائنا - اللعنة، بل من بين أصدقائنا - سيستفيد من استخدام الكرسي ضدنا؟"

يقول شو: "بل من لن يستفيد؟"

"يسأل راج: "إذا هل هذا مماثل لحالة مواجهة نووية؟"

"العكس تماما. لا تستخدم الحكومات الأسلحة النووية؛ لأنه في اللحظة التي يضغطون فيها على الزر، سيفعل أعداؤهم المثل. إن خطر الانتقام يمثل رادعا كبيرا للغاية. لكن لا يوجد أي خطر انتقام أو دمار متبادل أكيد مع الكرسي. فأول حكومة أو شركة أو فرد سيستخدمه بشكل ناجح واستراتيجي - سواء لتغيير نتيجة حرب أو اغتيال ديكتاتور مات منذ زمن طويل أو أيا كان - سيفوز."

تقول هيلينا: "معنى كلامك أنه من مصلحة الجميع استخدام الكرسي."

"بالضبط. وبأسرع ما يمكن. أيا كان من سيعيد كتابة التاريخ لمصلحته أولا، سيفوز. إنها مقامرة كبيرة جدا أن تدع شخصا آخر يصل إلى هناك أولاً."

تلقي هيلينا نظرة إلى التليفزيون مرة أخرى.

الآن تحترق ناطحة سحاب (ترانس-أمريكا بيراميد) في حي المال والأعمال بسان فرانسيسكو.

تقول هيلينا: "يمكن أن تكون حكومة أجنبية وراء هذه الهجمات.."

"لا.." يقول ألبرت، وهو يفحص هاتفه. "ثمة مجموعة مجهولة الاسم زعمت للتو مسؤوليتها على تويتر."

"وماذا يريدون؟"

"لا فكرة لديّ. غالبا مجرد خلق الفوضى والذعر في حد ذاته هو غاية اللعبة."

والآن تظهر امرأة على الشاشة جالسة إلى مكتب قراءة الأخبار، تبدو مهزوزة وهي تتحدث إلى الكاميرا.

يقول شو: "ارفع الصوت يا ألبرت."

"وسط التقارير المتضاربة عن هجمات إرهابية في نيويورك وسان فرانسيسكو، نُشر للتو تقرير من جلين جرينوالد صحفي جريدة الجارديان، يزعم أن الحكومة الأمريكية تمتلك تكنولوجيا جديدة تُدعى كرسي الذاكرة منذ ستة أشهر على الأقل، والتي قامت بقرصنتها من إحدى الشركات الخاصة. ويؤكد السيد جرينوالد أن الكرسي يسمح لوعي شاغله بالسفر إلى الماضي، ووفقا لمصادره السرية، فإن هذا الكرسي هو السبب الفعلي لمتلازمة الذاكرة الزائفة، العَرَض الغامض..."

يُسكت ألبرت التلفاز.

ويقول: "يجب أن نفعل شيئا الآن فورا. في أي لحظة، يمكن أن يتحول بنا الواقع إلى عالم مختلف كلية، أو نخرج من الوجود تماما." كان شو يذرع الغرفة جيئة وذهابا، لكنه الآن ينهار في مقعده وينظر إلى هيلينا: "كان ينبغي أن أنصت إليك."

"ليس الآن وقت ال..."

"اعتقدت أننا يمكننا استخدامه من أجل الخير. كنت على استعداد لتكريس بقية..."

"لا يهم. لو فعلت ما قلته ودمرت الكرسي، لكننا عاجزين الآن."

يلقي شو نظرة على هاتفه. "رؤسائي في طريقهم."

تسأل هيلينا: "كم أمامنا من وقت؟"

"هم على متن طائرة قادمة من واشنطن العاصمة، لذا أمامنا حوالي ثلاثون دقيقة. سيتولون كل شيء."

يقول ألبرت: "لن يُسمح لنا أبدا بالعودة إلى هنا..."

يقول شو: "دعونا نرسل تيموني إلى الماضي..."

يسأل ألبرت: "إلى متى؟"

"إلى ما قبل اختراق مختبر سليد. الآن بما أننا نعرف موقع هذا المبنى، يمكننا مهاجمته أولا. لن يكون هناك سطو عن طريق الإنترنت، وسنكون الأوصياء الوحيديين على الكرسي."

يقول ألبرت: "حتى نصل من جديد إلى هذه اللحظة، وعندئذ سيتذكر العالم كل الفوضى التي حدثت هذا الصباح."

تقول هيلينا: "وسيقوم الناس الذين يملكون الكرسي حاليا فقط بإعادة صنع الكرسي من الذاكرة الزائفة. مثلما فعل سليد. سيكون الأمر أصعب بدون التخطيطات، لكنه ليس مستحيلا. ما نحتاجه هو المزيد من الوقت."

تنهض هيلينا وتتوجه نحو البوابة الحاسوبية، حيث تتناول خوذة وتصعد إلى الكرسي.

يسألها شو: "ماذا تفعلين؟"

"كيف يبدو الأمر؟ راج؟ هل ستأتي وتساعدني؟ أحتاج إلى رسم خريطة ذكرى."

يتبادل راج وشو وألبرت نظرات عبر المائدة.
يسألها شو مرة أخرى: "ماذا تفعلين يا هيلينا؟"
"أقوم بإخراجنا من هذه الورطة."
"كيف؟"

تصرخ: "هل يمكنك فقط أن تثق بي يا جون؟ الوقت ينفد منا.
لقد وقفت بجانبك، وقدمت النصيح، ولعبت وفقا لقواعدك أنت.
والآن دورك كي تلعب وفق قواعدي."

يتنهد شو، شاعرا بالتضاؤل. هي تعلم ألم إفلات ما يعد به الكرسي.
لا يتعلق الأمر فقط بإحباط كل الاستخدامات العلمية والإنسانية غير
المتحققة التي كان يمكن أن يُستخدم لأجلها في ظل ظروف مثالية. بل
هو إدراك أنه، كجنس معيب على نحو عميق، لن نكون مستعدين
أبدا للسيطرة على مثل هذه القوة.

"طيب.." يقول أخيرا. "راج، شغل الكرسي."

إنه أول طعم حقيقي للحرية عرفته الفتاة على الإطلاق.

في بداية المساء، تخرج سائرة من البيت الريفي ذي الطابقين
وتركب السيارة ذات اللونين الأزرق والأبيض ماركة تشيفروليه
سيلفرادو موديل 78، وهي سيارة العائلة الوحيدة.

لم تتوقع قط أن يعطيها والداها سيارة عندما أكملت السادسة
عشرة منذ يومين. وخطتها هي أن تعمل الصيف القادم في حراسة

الشواطئ ومجالسة الأطفال، على أمل أن تكسب ما يكفي من المال لشراء سيارتها الخاصة.

والداها واقفان على الشرفة الأمامية التي تبدو دائما متدلية قليلا، يراقبانها بفخر وهي تضع المفتاح في وضع التشغيل. تتناول أمها كاميرا ماركة بولارويد.

وإذ يهدر المحرك عائدا إلى الحياة، فإن أكثر ما يدهشها هو خواء الشاحنة.

ليس هناك بابا يجلس في المقعد الأمامي.

ولا ماما بينهما.

هي فقط.

يمكنها الاستماع إلى أي موسيقى تريدها، بقدر ما تريد من صوت عال. يمكنها الذهاب إلى أي مكان تريده، والقيادة بالسرعة التي تريدها.

بالطبع لن تفعل هذا.

في رحلتها الأولى، خطتها هي أن تغامر بالدخول في البراري الخطرة والنائية لمحل البقالة، على مبعده ميل ونصف سيرا في الطريق.

ممتلئة بالطاقة، تتحرك بالشاحنة وتسرعها رويدا عبر ممر السيارات الطويل، وتدلي ذراعها الأيسر من النافذة لتلوح لوالديها. الطريق الريفي الممتد أمام بيتها خالٍ.

تخرج إلى الطريق وتفتح الراديو. الأغنية الجديدة لجورج مايكل "Faith" تذاق من محطة راديو الكلية من مدينة بولدر، وتغني هيلينا مع الأغنية بعلو صوتها بينما تنطلق بسرعة مارة بالحقول

المفتوحة، وإحساسها بالمستقبل أقرب من أي وقت مضى. وكأنه قد حل بالفعل.

تنوهج أضواء محطة الغاز على البُعد، وبينما ترفع قدمها عن بدال الفرامل، تشعر بألم لاذع خلف عينيها.

تنشوش رؤيتها، تنبض رأسها بقوة، وبالكاد تتفادي اصطدام الشاحنة بمضخات الغاز.

في مساحة لصف السيارات إلى جوار المتجر، تطفئ المحرك وتضغط بإبهاميهما على صدغيها في مواجهة الألم الحارق، لكنه يستمر في التصاعد والتصاعد - ألم شديد للغاية حتى أنها تخشى أن تكون مقبلة على المرض.

وعندئذ يحدث أغرب شيء على الإطلاق.

يتحرك ذراعها الأيمن نحو عمود التوجيه ويقبض على المفاتيح.

تقول: "ما هذا بحق الجحيم؟"

لأنها لم تحرك ذراعها.

بعد ذلك، تراقب رسغها وهو يدير المفتاح ويعيد تشغيل المحرك، والآن تتحرك يدها في اتجاه ذراع نقل السرعة وينقل الرافعة إلى عكس الاتجاه.

ضد إرادتها، تنظر من فوق كتفها، من النافذة الخلفية، راجعة بالشاحنة عبر أرض صف السيارات، وبعد ذلك تنتقل إلى القيادة.

تظل تفكر: أنا لا أقود، أنا لا أفعل أي شيء من هذا، بينما تسرع الشاحنة في الطريق السريع عائدة إلى البيت.

يزحف ظلام ما عند حواف رؤيتها، تبتعد كلية فرونت رينج وتخفت أضواء مدينة بولدر وتتضاءل، وكأنها تسقط ببطء داخل بئر

عميق. تريد أن تصرخ، أن تمنع هذا من الحدوث، لكنها مجرد راكبة في جسدها الآن، غير قادرة على أن تتحدث أو تشم أو تشعر بشيء. صوت الراديو لا يزيد عن همس محتضر إلا قليلا، وبغثة، ينطفئ بصيص الضوء الذي كان هو كل وعيها بالعالم.

مكتبة
t.me/t_pdf

هيلينا

15 أكتوبر 1986

تغادر هيلينا الطريق الريفي إلى ممر السيارات المؤدي إلى البيت الريفي ذي الطابقين الذي شُبت فيه، شاعرة بارتياح أكبر مع مرور كل لحظة في هذه النسخة الأصغر سنا من ذاتها.

يبدو البيت الريفي أصغر حجماً، أقل روعة بكثير مما كانت تتذكره به في عين عقولها، ويقف هشاً على نحو لا يمكن إنكاره في مواجهة حائط أزرق من الجبال التي ترتفع عالياً من قلب السهول، على مبعدة عشرة أميال.

تصف السيارة وتطفئ المحرك وتنظر في مرآة الرؤية الخلفية إلى وجهها في السادسة عشرة.

بلا خطوط.

كثير من النمش.

عينان صافيتان وخضراوتان ولامعتان.

ما زالت طفلة.

يصدر الباب صريرا إذ تدفعه بكتفها لتفتحه وتخطو على العشب.
يحمل النسيم ذلك الخصب الحلو الرطب لمزرعة ألبان قريبة، وهي
بلا شك أكثر رائحة ترتبط لديها بالبيت.

تشعر بخفة شديدة في قدميها وهي تصعد درجات الشرفة المهترئة
بفعل العوامل الجوية.

الضجيج الخافت للتليفزيون هو أول ما تسمعه بينما تجذب الباب
الأمامي لتفتحه وتخطو إلى الداخل. وفي نهاية المدخل الذي يمتد مارا
بالسلام، تسمع حركة في المطبخ - تقليب وخلط، قعقة أوانٍ وجريان
ماء. يفوح البيت كله برائحة دجاج يُشوى في الفرن.

تسترق هيلينا النظر داخل حجرة المعيشة.

والدها جالس في مقعده الكبير رافعا قدميه على مسند المقعد،
يفعل ما فعله مساء كل عطلة نهاية أسبوع في صباها - يشاهد
برنامج (وورلد نيوز تونايت).

بيتر جينينجز يقرأ تقريراً عن فوز إيلي فيزيل بجائزة نوبل
للسلام.

يسألها والدها: "كيف كانت رحلة قيادتك؟"

تدرك هيلينا أن الأطفال دائما ما يكونون أصغر وأكثر استغراقا في
أنفسهم من أن يروا بالفعل آباءهم في أوج حياتهم. لكنها ترى أباهما
في هذه اللحظة كما لم تره من قبل قط.

شاب جدا ووسيم.

لم يبلغ حتى الأربعين.

لا يمكنها أن ترفع عينيها عنه.

"كانت متعة كبيرة." يبدو صوتها غريبا عليها - عاليا ورقيقا.

يعود بناظريه إلى جهاز التليفزيون وتفوته رؤيتها وهي تمسح الدموع من عينيها.

"لا أحتاج الشاحنة غدا، لذا راجعي الأمر مع ماما، وإذا لم تكن بحاجة إليها أيضا، يمكنك أن تستقليها إلى المدرسة."

يبدو هذا الواقع أقوى وأكثر متانة مع كل لحظة.

تقترب من المقعد، وتميل منحنية، وتلف ذراعيها حول عنقه.

يسألها: "لم هذا؟"

تذوب تقريبا من رائحة عطر أولد سبايس وخشونة لحيته الخفيفة البادئة للتو في النمو كورق السنفرة.

تهمس: "لكونك بابا.."

تسير عبر حجرة الطعام وتدخل المطبخ، لتجد أمها مائلة بظهرها مستندة إلى المنضدة، تدخن سيجارة وتقرأ رواية عاطفية بغلاف ورقي.

في المرة الأخيرة التي رأتها فيها هيلينا كانت في مركز لرعاية الكبار قرب مدينة بولدر، بعد أربع وعشرين سنة من الآن، جسدها هزيل، وعقلها حَرَب.

مازال كل هذا سيحدث، لكن في هذه اللحظة، هي ترتدي بنطالا من الجينز الأزرق وبلوزة بأزرار. شعرها على موضة الثمانينيات المليئة بالتموجات وشعر الناصية المتهدل، وهي في الذروة القصوى لحياتها.

تعبر هيلينا المطبخ الصغير وتجذب أمها في حضن قوي.

تبكي مرة أخرى، ولا يمكنها أن تتوقف.

"ما الخطب يا هيلينا؟"

"لا شيء."

"هل حدث شيء أثناء قيادتك؟"

تهز هيلينا رأسها. "أنا فقط منفعة عاطفيا."

"لِمَ؟"

"لا أعرف حتى."

تشعر بيدي أمها تتخلل شعرها وتشم العطر الذي كانت تضعه دائما - إستي لودرز وايت لينن - مختلطا بلسعة دخان السيجارة.

تقول أمها: "التقدم في السن يمكن أن يكون مخيفا.."

يبدو من المستحيل أن تكون هنا. منذ لحظات، كانت تختنق في حوض عزل، على بُعد خمسة عشر ميلا وثلاثة وثلاثين عاما في المستقبل.

"هل تحتاجين لمساعدة في إعداد العشاء؟" تسألها هيلينا وهي تنسحب من حضنها أخيرا.

"لا، مازال أمام الدجاجة بعض الوقت حتى تنضج. هل أنت متأكدة أنك بخير؟"

"نعم."

"سأناديك عندما تكون جاهزة."

تتوجه هيلينا عبر المطبخ والصالة إلى أسفل السلم. درجاته أكثر انحدارا مما تتذكر، وأكثر صريرا.

حجرتها حطام.

مثلما كانت دائما.

ومثلما ستكون كل شققها ومكاتبها في المستقبل.

نرى قطعا من الثياب نسيت أمرها.

دب محشو بذراع واحد ستفقدته في الكلية.

جهاز ووكرمان، تفتحه لترى شريط الكاسيت الشفاف لألبوم *Listen*

Like Thieves لفريق INXS.

تجلس إلى المكتب الصغير وتحقق عبر الزجاج المشوه بطريقة ساحرة في ألواح النافذة القديمة. المنظر هو أضواء دينفر، على مبعدة عشرين ميلا، والسهول الأرجوانية إلى الشرق، أما العالم الكبير المتوحش فيلوح من وراء هذا خفيا وغير مرئي. كانت كثيرا ما تجلس هنا، تحلم في يقظتها بما قد تصبح عليه حياتها.

لم يكن بمقدورها أبدا أن تتخيل إلى أي عمق ستصل.

يرقد كتاب علوم مفتوحا بجوار اختبار يؤدي في المنزل في علم الأحياء الخلوي سيكون عليها أن تنهيه الليلة.

في درج المنتصف، تجد كراسة تعبیر باللونين الأسود والأبيض مكتوبا على غلافها الأمامي "هيلينا".

هذه الكراسة تتذكرها.

تفتحها صفحة وراء صفحة لتطالع خطها بالأحرف المتصلة في سن المراهقة.

ورغم أنها لم تفقد قط ذكرياتها من الخطوط الزمنية الماضية بعد الاستخدامات السابقة للكرسي، إلا أنها تحمل خوفا من إمكانية حدوثها الآن. هذه مياه مجهولة - فهي لم تسافر قط عائدا إلى هذا

البعد، أو داخل ذاتها وهي في سن صغيرة كهذه. هناك احتمال بأن تنسى ما جاءت من أجله، لماذا هي هنا.

تتناول قلما وتقلب صفحة بيضاء في المذكرة، وتكتب تاريخ اليوم، وتبدأ في كتابة ملحوظة لنفسها لتوضح كل شيء قد حدث في حيواتها السابقة:

عزيزتي هيلينا - في يوم 16 أبريل 2019، سيتذكر العالم كرسي ذاكرة اختراعيه. لديك 33 عاما كي تجدي طريقة لمنع هذا من الحدوث. أنتِ الشخص الوحيد الذي يمكنه منع هذا من الحدوث...

السفر الخامس

عندما يموت شخص ما، يبدو فقط أنه يموت. لكنه مازال
حيا إلى حد كبير في الماضي...

لقد وُجدت كل اللحظات، الماضي، والحاضر، والمستقبل،
وستوجد دائما. إنه مجرد

وهم ذلك الذي لدينا على الأرض أن لحظة تتبع الأخرى،
مثل حبات في خيط، وأنه

بمجرد أن تمضي لحظة، فإنها تمضي للأبد.

كورت فونيجت، المسلخ رقم خمسة

باري

16 أبريل 2019

باري جالس في مقعد في الظل، يتطلع عبر غابة من الصبار
السجواني في صحراء تحتضن ضوء الصباح.
الأم الحاد خلف عينيه يتراجع برحمة.

كان ممتددا في الطابق السابع عشر لبناية في مانهاتن، تنز الرصاصات
حوله وتغربل جسده فيتفجر الدم منه، عندما تراءى له وجه ابنته.
ثم ضربت رصاصة رأسه والآن ها هو ذا.

"باري." يلتفت لينظر إلى امرأة تجلس بجواره - لها شعر أحمر
قصير، وعينان خضرواتان، وشحوب كِلْتَي⁽¹⁾. هيلينا. "أنت تنزف."

(1) كلتي Celtic نسبة إلى شعوب هندوأوروبية قديمة كانت تستخدم اللغة الكلتية وتشمل
على سبيل المثال الأيرلنديين والأسكتلنديين الغالين وأهل ويلز.

تناوله منديلا، يضعه على أنفه ليوقف الدماء.

"تكلم معي يا حبيبي.." تقول. "هذه أرض جديدة. قادم إليك ما يساوي ثلاثة وثلاثين عاما من الذكريات الميتة. ماذا يدور بعقلك الآن؟"

"لا أعرف. كنت... أحس كما لو كنت في ذلك الفندق للتو."

"فندق ماركوس سليد؟"

"نعم، أطلق على الرصاص. كنت أحتضر. مازلت أشعر بالرصاصات تضربني. كنت أصرخ فيك كي تهربي. ثم وجدت نفسي هنا فجأة. وكأنه لم يمر أي وقت على الإطلاق. لكن ذكرياتي عن ذلك الفندق تبدو ميتة الآن. سوداء ورمادية."

"هل تشعر أنك تنتمي أكثر لباري الذي كان في ذلك الخط الزمني أم هذا الخط؟"

"ذلك الخط. ليست لدي أي فكرة عن مكاني. الشيء المألوف الوحيد لي هو أنت."

"ستمتلك ذكريات هذا الخط الزمني حالا."

"الكثير منها؟"

"عمر من الذكريات. لست واثقة مما ينتظرك. قد يكون صادما."

ينظر إلى سلسلة الجبال بُنية اللون. الصحراء تزهر. والطيور تغرد. ليست هناك رياح، وبرودة الليل عالققة في الجو.

"لم أر هذا المكان من قبل."

"هذا بيتنا يا باري."

يأخذ لحظة ليستوعب هذه الجملة.

"ما اليوم؟"

"16 أبريل 2019. في الخط الزمني الذي متّ فيه، استخدمتُ حوض عزل في داربا لأعود ثلاثة وثلاثين عاما إلى 1986. وبعد ذلك عشت حياتي كلها من جديد، حتى هذه اللحظة، محاولة أن أجد طريقة لمنع اليوم من الحدوث."

"ماذا يحدث اليوم؟"

"بعد أن متّ في فندق سليد، تسربت معرفة الكرسي إلى الجمهور، وجُن جنون العالم. يومنا هذا هو اليوم الذي سيتذكر فيه العالم الأمر كله. حتى الآن، أنا وأنت الوحيدان اللذان يعرفان."

يقول: "أشعر... شعورا غريبا."

يرفع كوبا من الماء المثلج من فوق المائدة ويشربه كله.

تبدأ يده في الارتعاش.

تلاحظ هيلينا وتقول: "لو ساء الأمر، لديّ هذه." وترفع حقنة مغطاة من فوق المائدة.

"ما هذا؟"

"مهدئ. فقط لو احتجت إليه."

يبدأ الأمر مثل عاصفة صيفية.

مجرد قطرة مطر أكثر من رائعة هنا وهناك.

هزيم رعد بعيد.

برق جاف ينقذح عبر الأفق.

وتسقط عليه الذكرى الأولى لهذا الخط الزمني.

في المرة الأولى التي رأى فيها هيلينا على الإطلاق صعدت على مقعد البار بجانبه في حانة وضيفة في بورتلاند، أوريجون، وقالت: "تبدو وكأنك تريد أن تدعوني إلى شراب." كان الوقت متأخرا، وكان هو ثملا، ولم تبدُ هي كشخص التقاه من قبل - في أوائل العشرينيات من عمرها لكنها بروح عجوز تمتلك أذكي عقل قابله في حياته. الألفة الفورية لكونه في حضرتها بدت... ليس فقط كأنه عرفها طوال حياته، لكن كأنه يصحو من النوم لأول مرة. ثثرا حتى جاء وقت الطلب الأخير، وبعد ذلك اصطحبته عائدة به إلى النزل الرخيص الذي كانت تقيم فيه وضاجعته كما لو أنه اليوم الأخير على الأرض.

ذكرى أخرى...

كانا معا منذ عدة أشهر، وكان بالفعل قد وقع في حبها، عندما أخبرته أن بإمكانها معرفة المستقبل.

قال: "هراء."

قالت: "سأثبت لك هذا يوما ما."

لم تصنع من الحبة قبة. قالتها بطريقة عابرة، كنكتة تقريبا، ونسي كل شيء عن زعمها ذاك حتى ديسمبر من عام 1990. كانا يشاهدان الأخبار ذات ليلة، وأخبرته أنه في الشهر التالي ستُخرج الولايات المتحدة القوات العراقية من الكويت في حملة اسمها (عملية عاصفة الصحراء).

وكانت هناك أمثلة أخرى.

أثناء دخولهما إحدى دور السينما لمشاهدة (صمت الحملان)، أخبرته أن هذا الفيلم سيكتسح جوائز الأوسكار هذه المرة في العام القادم.

وفي ذلك الربيع، أجلسته في الشقة الصغيرة التي كانا يعيشان فيها، وأعطته جهاز تسجيل يُحمل في اليد، وغنت لازمة أغنية فريق نرفانا "Smells Like Teen Spirit" قبل شهرين من إصدار الأغنية. ثم سجلت لنفسها وهي تخبره أن حاكم أركانساس سيعلن ترشحه كرئيس للولايات المتحدة قبل نهاية العام، وأنه سيفوز في العام القادم، متغلبا على الرئيس الحالي ومرشح حزب ثالث قوي.

كانا معا منذ ما يقرب من عامين عندما طلب منها أن تخبره كيف أمكنها أن تعرف هذه الأشياء. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يسألها فيها. كانا جالسين في بار في سياتل، يشاهدان إعلان نتائج انتخابات 1992 العامة. وبسبب الطريقة التي تعاملت بها مع الأمر - مثبتة مصداقيتها حتى قبل أن تطلب من باري أن يصدق قصة مجنونة عن كرسي ذاكرة ومستقبل عاشاه بالفعل - صدّقها، حتى عندما أخبرته أنه لن يتذكر أيا من حيواته الماضية لمدة سبعة وعشرين عاما أخرى، وأن التكنولوجيا المناسبة لها كي تصنع الكرسي لن توجد قبل خمسة عشر عاما أخرى.

تسأله هيلينا: "هل أنت بخير؟"

يعود تركيزه في الحال، جالسا في باحثهما الخرسانية، مراقبا نحلة تحوم حول بقايا إفطار.

يقول: "إنه أغرب شعور.."

"هل يمكنك محاولة وصفه؟"

"إنه أشبه بـ.. شخصان منفصلان، وعيان مختلفان، بتواريخ وخبرات مختلفة إلى حد كبير، يختلطان بداخلي."

"هل أحدهما أكثر هيمنة من الآخر؟"

"لا. في البداية شعرت كأني الشخص الذي أطلق عليه الرصاص في الفندق، لكنني الآن أشعر بالارتياح في هذا الواقع بنفس القدر."
إن تذكر عمر كامل في غضون ستين ثانية هو شيء كالجحيم.
يواجه موجة تسونامي من الذكريات، لكنها اللحظات الهادئة تلك التي تضرب بقوة أكثر...

ليلة كريسماس يتساقط فيها الثلج، يقضيها مع هيلينا وأبويها في بيتهم الريفي في بولدر، وتنسى دوروثي وضع الديك الرومي في الفرن ويضحك الجميع على الموضوع ما عدا هيلينا، لأنها كانت تعرف أن هذه بداية تدهور أمها العقلي.

حفل زفافهما في جزيرة أروبا.

رحلة، هما الاثنان فقط، إلى أنتاركتيكا في صيف عام 2001
ليشاهدا هجرة طيور البطريق الإمبراطور، والتي سيري كلاهما أنها أفضل لحظة في حياتهما معًا - استراحة قصيرة من السباق المستمر دومًا لإصلاح المستقبل الذي يلوح في الأفق.

العديد من الشجارات المريرة عن الإنجاب وإصرار هيلينا على ألا يجلبا طفلًا إلى عالم من المحتمل أن يدمر نفسه خلال عِقدين.

جنازات أمه، وأمها، وآخرها جنازة أبيها.

المرّة التي سألت فيها باري إن كان يريد أن يعرف أي شيء عن حياته القديمة، وقول باري أنه لا يريد أن يعرف أي واقع غير هذا.
المرّة الأولى التي أثبتت فيها قوة الكرسي.

والآن يصل القوس الكامل لزمئهما معا إلى بؤرة التركيز.

قضايا حياتهما يبنيان كرسي الذاكرة في السر ويحاولان أن يجدا طريقة لمنع العالم من تذكر طريقة بنائه. رغم أن الكرسي قد

استُخدم في مناسبات لا حصر لها في خطوط زمنية سابقة، إلا أن الاستخدام "الأخير" للكروسي بواسطة هيلينا (في مختبر داربا) تجاوز كل نقاط ذكريات الذاكرة الزائفة الأخرى. وهو ما كان يعني أنه لا أحد، ولا حتى سليد، سيمتلك معرفة بهذه الخطوط الزمنية السابقة. حتى 16 أبريل 2019.

عندئذ، وعندئذ فقط، ستأتي الذكريات الزائفة لكل ما حدث لتتبط هبوطا ساحقا على الجميع.

بثروة راكمها قبل عام 2001، أصبح لديهما كروسي قابل للتشغيل قبل بداية عام 2007.

بمجرد الانتهاء من بناء الكروسي، قضيا عقدا يجريان تجارب عليه ويصوران مخ أحدهما الآخر، دارسين النشاط العصبي في لحظة حدوث تحول الواقع وتدفق الذكريات الميتة، باحثين عن الشلال العصبي المصاحب من المعلومات الجديدة.

كان أملهما أن يجدا طريقة لمنع الذكريات الميتة القادمة من خطوط زمنية أقدم من الالتماع المفاجي دون إضرار المخ. لكن كل ما أنجزاه كان تسجيل النشاط العصبي المرتبط بالذكريات الميتة. ولم يحققا أي تقدم في اتجاه العثور على وسيلة لحماية المخ من هذه الذكريات.

ينظر باري إلى زوجته طوال أربعة وعشرين عاما، شاعرا أنه رجل مختلف تماما عن ذلك الذي كانه فقط منذ لحظات.

يقول: "فشلنا.."

"نعم."

النصف الآخر من شخصه المزدوج، النصف الذي عاش كل لحظة من هذا الخط الزمني، قد مر للتو بالذكريات الزائفة لميجان وجوليا.

حياته كمحقق في مدينة نيويورك. موت ابنته، طلاقه وسقوطه في الاكتئاب والندم. مقابلة سليد ورجوعه أحد عشر عاما كي ينقذ ميجان. وفقدوها مرة ثانية. دخول هيلينا في حياته. علاقتهما. موته في فندق سليد.

تقول هيلينا: "أنت تبكي.."

"هذا كثير."

تقترب منه وتأخذ يده في يدها.

يقول: "أتذكرها أخيرا."

"ماذا؟"

"تلك الحفنة من الشهور في نيويورك معك بعد أن هاجمت فندق سليد مع جوين أول مرة. أتذكر نهاية ذلك الخط الزمني، وأنا أنحني وأقبلك بينما كنت طافية في حوض العزل، على وشك الموت. كنت أحبك."

"كنت؟"

"بجنون."

يرين عليهما الهدوء للحظة، ينظران فيها عبر صحراء سونورا، تلك البقعة التي أصبحت يحبانها معا - والمختلفة للغاية عن غابات الإقليم الشمالي الغربي الهادئ الوفيرة في صباه والغابات دائمة الخضرة في صبا هيلينا.

كان هذا مكانا جيدا لهما.

تقول هيلينا: "ينبغي أن نلقي نظرة على الأخبار..."

يقول باري: "دعينا ننتظر.."

"وما نفع الانتظار؟"

"دعينا نعيش قليلا على أمل ألا يتذكر شخص آخر؟"

"أنت تعرف أن هذا لن يحدث."

"كنتِ دائما الشخص الواقعي."

تبتسم هيلينا، والدموع تلتصق في زوايا عينيها.

ينهض باري من مقعده ويلتفت ليواجه ظهر بيتهما الصحراوي الواسع. بيت مشيد من التراب المدكوك وألواح الزجاج الكبيرة، ممتزجا بسلاسة مع محيطه.

يدخل ويجتاز المطبخ، مارا بمائدة حجرة الطعام، ليصل إلى مساحة الجلوس قرب التلفاز. يرفع الريموت، ويتردد بينما تخطو هيلينا حافية القدمين نحوه عبر البلاط البارد.

تأخذ الريموت من يده وتضغط على زر التشغيل.

أول ما يقرأه شريط بعرض أسفل الشاشة.

تقارير عن حالات انتحار جماعي عبر العالم.

تطلق هيلينا تنهيدة متألمة.

لقطات بكاميرا الهاتف الخليوي من شارع بمدينة تظهر أجسادا ترتد عن الرصيف مثل عاصفة برد مرعبة من نوع ما.

لقد تذكر العالم للتو، مثله مثل باري، الخط الزمني السابق عندما أصبح وجود الكرسي بمثابة معرفة عامة. الهجمات على مدينة نيويورك. الويكيليكس. الاستخدام واسع النطاق للكرسي عبر الكرة الأرضية.

يقول باري: "ربما سيكون كل شيء على ما يرام. ربما كان سليل على حق. ربما ستأقلم البشرية وتتطور لتقبل هذا."

قارئ نشرة أخبار مرتبك المظهر يحاول أن يحتفظ ببعض بقايا الاحترافية. "أصدرت روسيا والصين للتو بياناً مشتركاً في الأمم المتحدة، تتهما فيه الولايات المتحدة بسرقة الواقع في محاولة لمنع الدول الأخرى من استخدام كرسي الذاكرة. وقد تعهدتا بإعادة بناء هذه التكنولوجيا فوراً وحذرتنا من أن أي استخدام آخر للكرسي سيُنظر إليه كعمل من أعمال الحرب. ولم ترد الولايات المتحدة حتى الآن..."

تغير هيلينا القناة مرة أخرى.

قارئ أخبار آخر مصدوم: "بالإضافة إلى حوادث الانتحار الجماعي، تبلغ المستشفيات في كل المدن الكبرى عن تدفق مرضى يعانون من الجامود - وهو حالة من الذهول دون استجابة تتسبب فيها..."

تقاطع زميلته في قراءة النشرة: "أسفة لمقاطعتك يا ديفيد. أعلنت إدارة الطيران الفيدرالية... يا إلهي... عن تحطم أربعين طائرة تجارية في المجال الجوي الأمريكي في آخر خمس عشرة..."

تطفئ هيلينا التليفزيون، وتلقي بالريموت على الأريكة، وتسير متجهة إلى البهو. يتبعها باري إلى الباب الأمامي، الذي تجذبه لفتحه.

المنظر من الشرفة الأمامية يطل على مدق السيارات المفروش بالحصى والميل البسيط للصحراء إذ تتحدر لمسافة اثني عشر ميلاً نحو مدينة توسون، التي تلمع مثل سراب على البُعد.

تقول: "ما زال الجو هادئاً للغاية. من الصعب أن تصدق أن كل شيء يسقط متفسخاً هناك في الطرف الآخر."

الثلاثة والثلاثون عاماً الأخيرة من وجود باري ترسي جذورها في عقله، لتبدو أكثر واقعية مع كل نَفَس. هو ليس الرجل الذي كان في فندق سليد. وهو ليس الرجل الذي قضى السنوات الأربع والعشرين

الأخيرة مع هيلينا، محاولا أن ينقذ العالم من المرور بهذا اليوم. هو، بطريقة ما، كلاهما.

يقول: "كان هناك جزء مني لم يصدق أن هذا ليحدث."

"نعم."

تلتفت هيلينا وتعانقه بقوة مفاجئة تدفعه إلى الوراء عدة خطوات نحو الباب.

يهمس: "أنا آسف.."

"لا أريد أن أفعل هذا."

"ماذا؟"

"هذا! حياتي! العودة إلى عام 1986، العثور عليك، إقناعك أني لست مجنونة. مراكمة ثروة. بناء الكرسي. محاولة منع الذكريات الميئة. الفشل. مشاهدة العالم وهو يتذكر. واللف والدوران من جديد. هل بقية حيواتي لن تكون أكثر من محاولة للعثور على طريقة للخروج من هذه الحلقة التي لا فكاك منها؟"

يرنو إليها، محتضنا وجهها بيديه. يقول: "لدي فكرة. دعينا ننسى كل هذا."

"عم تتحدث؟"

"دعينا فقط نكون معا اليوم. دعينا نعش فقط."

"لا يمكننا. هذا هو كل ما يحدث. هذا هو الحقيقي."

"أعرف، لكن يمكننا الانتظار حتى الليلة إذا كنت ستعودين إلى عام 1986. نحن نعرف ما سيأتي بعد ذلك. ما يجب أن يحدث. لا حاجة لنا في الانشغال الزائد بالأمر. دعينا فقط نكون حاضرين للوقت المتبقي لنا معا."

ينطلقان في تمشيتهما المفضلة عبر الصحراء ليجبرا نفسيهما على البقاء بعيدا عن الأخبار.

الدرب الذي مهّده عبر السنين، مباشرة من خلف بيتهما صاعدا إلى التلال المغطاة بالصبار السجواوي العملاق.

يتصبب العرق من باري، لكن بذل الجهد هو ما كان يحتاجه بالضبط - شيء يحرق ويهضم صدمة الصباح السريالية.

عند الظهر، يعتليان قمة الصخرة التي تبرز أعلى بيتهما بعدة مئات من الأقدام، بيتهما غير الظاهر فعليا من هذا الارتفاع، متماهيا مع البساط الصحراوي.

يفتح باري حقيبة ظهره ويخرج لترا من الماء. يتبادلانه بينهما ويحاولان التقاط أنفاسهما.

لا توجد أي حركة في أي مكان.

الصحراء صامتة ككاتدرائية.

يفكر باري أن هناك شيئا ما في الصخرة والصبار العتيق يوحى بالبقاء المجدد والسرمدى لذكرى ميتة.

ينظر إلى هيلينا.

تصب قليلا من الماء على وجهها وتناوله الزجاجاة.

تقول: "قد أفعل هذا وحدي في المرة القادمة.."

"أهذا ما تجلسين هنا لتفكري فيه خلال ساعاتنا الأخيرة معا؟"

تلمس جانب وجهه. "لعهود، شاركتني عبء هذا الكرسي. كنت تعرف أن هذا اليوم آت، أنه ربما يعني نهاية كل شيء، وأني سأضطر إلى العودة إلى عام 1986 ومحاولة العمل على الأمر كله من جديد."

"هيلينا..."

"أردت أطفالا، ولم أرد. ضحيّة باهتماماتك كي تساعدني."

"كانت تلك اختياريّ كلها."

"في المرة القادمة، يمكنك أن تنال حياة مختلفة، دون معرفة ما هو أت. هذا كل ما أقوله. يمكنك الحصول على الأشياء التي كنت..."

"أتريدون أن تفعلني هذا بدوني؟"

"لا. أريد أن أتنفس نفس الهواء الذي تتنفسه كل دقيقة من كل يوم في حياتي، مهما يكن عدد الخطوط الزمنية التي أعيشها. لهذا وجدتكم في المقام الأول. لكن هذا الكرسي هو صليبي الذي يجب أن أحمله."

"لا تحتاجين إليّ."

"ليس هذا ما أقوله. بالطبع أحتاجكم. أحتاج حبك، أحتاج عقلك، ودعمك، كل شيء. لكنني أحتاج منك أن تعرف..."

"هيلينا، لا تفعلني."

"دعني أقل هذا! يكفي أني مضطرة لرؤية الكرسي يدمر العالم بأسره. الناس يلقون بأنفسهم من فوق المباني بسبب شيء صنعته. شيء آخر أن أراه يدمر حياة الرجل الذي أحبه."

"الحياة معك ليست حياة مدمرة."

"لكنك تعرف أن هذا هو كل ما يمكن أن تكونه أبدا. عالقا في هذه الدائرة من الثلاثة وثلاثين عاما، محاولا أن تجد طريقة لمنع هذا اليوم من القدوم. كل ما أقوله هو أنه إذا كنت تريد فقط أن تعيش حياتك اللعينة دون ضغط محاولة إبقاء العالم سليما، فلا بأس."

كان الماء الذي نثرته على وجهها قد تشكل كحبات الخرز على طبقة الكريم الواقى من الشمس. يحدق في عينيها الزمرديتين، الصافيتين واللامعتين في الشمس.

"لا أعرف كيف تفعلين هذا يا هيلينا. لا أعرف كيف تحملين هذا الثقل. لكن طالما أنه على كتفيك، فهو على كتفي أيضا. سنجد طريقة لحل هذا. إن لم يكن في الحياة التالية، ففي الحياة التي بعدها. وإن لم يكن في تلك الحياة، ففي الحياة..."

تقبله على قمة جبلهما.

يكونان على مسافة مائة ياردة من بيتهما عندما يتصاعد صوت طائرة هليكوبتر وراءهما، وبعد ذلك تندفع كلمح البصر عبر سماء بداية الأصيل.

يتوقف باري ويراقبها وهي تحلق في اتجاه توسون.

يقول: "هذه (بلاك هوك). أتعجب ماذا يحدث في المدينة."

تميل الطائرة بشدة إلى اليسار وتبطئ من سرعتها الأفقية، عائدة الآن في اتجاههما بينما تهبط من ارتفاع خمسمائة قدم نحو الأرض.

تقول هيلينا: "إنهم قادمون من أجلنا."

يعدوان بأقصى سرعة نحو البيت، والبلاك هوك تحوم الآن على ارتفاع خمسة وسبعين قدما فوق أرض الصحراء، ومراوحها تهدر وتثير سحابة من الغبار والرمال، باري قريب بما يكفي لرؤية ثلاثة أزواج من السيقان تتدلى من كل جانب من جانبي الكابينة المفتوحة أعلى الزلاجات.

يصطدم طرف حذاء هيلينا بصخرة نصف مدفونة وتسقط سقطة عنيفة على الدرب. يرفعها باري من أسفل ذراعيها ويعيدها واقفة على قدميها، والدم يسيل الآن من ركبتيها اليمنى.

يصرخ: "هيا!"

يمران ببركة المياه المالحة ويصلان إلى الباحة التي تناولا فيها الإفطار.

تسقط حبال سمكة من البلاك هوك أشبه بالمخالب، وينزلق عليها الجنود بالفعل.

يدفع باري الباب الخلفي، ويندفعان عبر المطبخ وينعطفان في الرواق. وعبر النوافذ التي تطل على الصحراء في الناحية الأخرى من البيت، يرى كتلة من الجنود المدججين بالأسلحة والدروع مرتدين الزي المموه الصحراوي يهرولون عبر المشهد المحيط في تشكيل تكتيكي نحو الباب الأمامي.

هيلينا أمامه، تعرج بسبب السقطة.

يعدوان مارين بحجرة المكتب وحجرة الضيوف، وعبر نافذة أخرى، يلمح باري البلاك هوك تستقر على المدق خلف سيارتيهما.

يتوقفان حيث تنتهي الصالة، وتضغط هيلينا على إحدى الصخور في الحائط المصنوع من أحجار النهر، والذي ينفتح ليكشف عن فائدته السرية كباب سري.

تنزلق هي وباري داخلين بينما يرج صوت انفجار صغير أرجاء البيت.

بعدئذ يكونا هما الاثنان فقط، يلهثان ليلتقطا أنفاسهما في الظلام الدامس.

يهمس باري: "هم في البيت.."

"هل يمكنك أن تضيء النور؟"

يتحسس حوله حتى تخبط يده مفتاح الإضاءة.

"أواثقة من أنهم لن يروه."

"لا، لكنني لا أستطيع أن أفعل هذا في الظلام."

ينقر باري المفتاح. يضيء مصباح كهربي واحد بلا مظلة معلق فوق رأسيهما. هما واقفان فيما يمكن أن يكون ردهة، أكبر بالكاد من خزانة مطبخ. الباب الداخلي له الحجم والشكل الأساسي لباب عادي، غير أنه يزن ستمائة رطل، ومصنوع من صفائح فولاذية مصفوفة في طبقات بسُمك بوصتين، وعند تفعيله، يطلق عشرة ترابيس هائلة في عضادة الباب.

تنقر هيلينا الشفرة على لوحة المفاتيح، ووقع خطوات نصف دسنة جنود على الأقل يتحركون في اتجاههما عبر الرواق، يتصورهم باري وهم يقتربون من المحطة الأخيرة المصنوعة من أحجار النهر، ويغدو صدى الأصوات الهامسة ووقع الأحذية الثقيلة واحتكاك المعدات أقرب وأقرب.

يتردد في الصالة الطويلة صدى صوت صائح من أقصى البيت - ربما في جناحهما الرئيسي:

"لا أحد في الجانب الشرقي!"

"مستحيل. رأيناها يدخلان البيت. هل راجعتم الخزانات جميعاً؟ تحت الأسرة؟"

على الشاشة المضاء، يراقب باري هيلينا بينما تنقر الرقم الأخير.

الطنين عالي الصوت للتروس الداخلية يصبح مسموعا داخل
الردهة، وربما تجاوزها، وتلتقي نظرة باري وهيلينا المحدقة بينما
تسحب الترايس العشرة واحدا وراء الآخر مثل رصاصات مكتومة.
يأتي صوت امرأة عبر الجانب الآخر من الباب السري: "أسمعت
هذا؟"

"لقد جاء من داخل هذا الجدار."

يسمع أصوات تبدو كأيا تمر بسرعة على الحجارة الصناعية.
تجذب هيلينا الباب الثقيل لتفتحه، يتبعها باري عبر العتبة إلى مكان
آخر مظلم، في اللحظة التي ينشق فيها الباب السري منفتحا.

يصيح جندي: "هناك شيء ما هنا في الخلف!"

تجذب هيلينا باب القبو لتوصده، وتنقر شفرة الإغلاق على لوحة
المفاتيح الموجودة على هذا الجانب، وتنطلق الترايس العشرة عائدة
إلى مكانها من جديد.

وعندما تضيء المصابيح؛ تكشف عن سلم معدني ضيق بشكل
خائق، يلتف هابطا ثلاثين قدما في جوف الأرض.

تنخفض درجة الحرارة بينما يهبطان.

يدق الجنود بقوة على باب القبو.

يقول باري: "سيجدون طريقة لاختراقه.."

"إذاً فلنسرع."

بعد ثلاثة طوابق تحت الأرض، ينتهي السلم عند باب يؤدي إلى
مختبر مساحته ألفا قدم مربع، حيث قضيا أغلب ساعات يقظتهما
خلال الخمسة عشر عاما الماضية. إنه، بكل المعاني والأشكال، قبو
حصين؛ بنظام خاص لإعادة تدوير الهواء وترشيحه، ونظام كهربائي

يدار بالطاقة الشمسية قائم بذاته، ومطبخ كمطبخ السفن، وأماكن للنوم، ومؤن من الطعام والماء تكفي لعام.

يسألها باري: "كيف حال ساقك؟"

"لا يهم."

تخرج مارة بمقعد (إيمز) جلدي، قاما بتعديله ليصبح كرسي ذاكرة، وبعد ذلك مساحة من المعمل استخدمهما لتصوير المخ، ومكتبهما لمعالجة الذكريات المينة.

تجلس هيلينا عند البوابة الحاسوبية وتُحمّل برنامج إعادة تنشيط الذكريات الذي يحتفظان به دائماً على وضع الخمول تحسباً للطوارئ. وبما أنها قد رسمت بالفعل خريطة ذكرى قيادتها الأولى الفردية عندما أكملت السادسة عشرة، يمكنها الذهاب مباشرة إلى حوض العزل.

يقول باري: "ظننت أنه سيكون لدينا مزيد من الوقت اليوم.."

"وأنا أيضاً."

يهز تفجير فوقهما الأرض ويجلجل الجدران. وينهمر غبار جبس من السقف مثل ثلج ناعم.

يهرع باري عائداً عبر المختبر إلى أسفل السلم. الهواء مليء بالغبار، لكنه لا يسمع أصواتاً قادمة أو وقع أقدام بعد.

وإذ يتحرك عائداً إلى المختبر، يرى هيلينا تخلق قميصها وحمالة صدرها الرياضية، ثم تنزع سروالها القصير عن ساقها.

تقف عارية أمامه، تربط الخوذة، وساقها اليمنى تنزف، والدموع تنسال على وجهها.

يتوجه إلى زوجته ويعانقها بينما يرج انفجار آخر أساس مختبرهما تحت الأرض.

تقول: "لا تجعلهم يصلون إلى هنا.."

تمسح عينيها وتقبله، وبعد ذلك يساعدها باري على دخول الحوض.

عندما تطفو في الماء، ينحني ناظرا إليها ويقول: "سأكون في ذلك البار في بورتلاند في أكتوبر من عام 1990، أنتظرِكَ."
"لن نتعرف عليّ حتى."

"روحي تعرف روحك. في أي وقت."

يغلق الغطاء ويتوجه إلى البوابة الحاسوبية. لقد ساد الهدوء للحظة، ولا صوت غير طنين الخوادم الحاسوبية.
يُشغّل برنامج إعادة التنشيط ويتكئ بظهره في المقعد، محاولا أن يركز تفكيره على ما سيحدث بعد ذلك.

انفجار مزلزل للأرض يشقق الجدران والأرضية الخرسانية أسفل قدميه، جاعلا باري يتساءل متعجبا إن كانت البلاك هوك قد أسقطت قبلة على بيتهما.

يتدفق الدخان عبر فتحات التهوية، وترتعش ألواح الضوء الزجاجية، لكن برنامج إعادة التنشيط يستمر في العمل.
يتجه إلى السلم مرة أخرى - الطريق الوحيد لدخول المختبر أو الخروج منه.

الآن يسمع أصواتا في الأعلى ويرى أشعة ضوء تتأرجح عبر الدخان المليء بالغبار.

لقد اخترقوا باب القبو، وأحذيتهم الثقيلة تدوي على الدرجات المعدنية.

يصفق باري الباب المؤدي إلى المختبر ويدير المزلاج. إنه مجرد باب حريق معدني - بإمكانهم ربما أن يركلوه ويدخلوا.

يعود إلى البوابة ويفحص قراءات الأجهزة الحيوية لهيلينا. لقد ماتت منذ عدة دقائق وأصبحت القراءات خطوطا مستقيمة الآن.

شيء ما يضرب الجانب الآخر من الباب.

مرة أخرى.

ومرة أخرى.

ينطلق مدفع رشاش ويضرب المعدن حذاء آخر أو كتف أو عتلة.

يصمد الباب بطريقة إعجازية.

يقول باري: "هيا.."

يسمع أصوات تصيح على درجات السلم وبعد ذلك يأتي انفجار يصم الأذان ويجعل أذنيه تصفران - قنبلة يدوية أو قذيفة.

يتراءى حائط من الدخان في المكان الذي كان فيه الباب، ويخطو عبره جندي فوق الباب المسطح على الأرض، مسدداً بندقية آلية نحو باري.

يرفع باري ذراعيه فوق رأسه وينهض ببطء من المقعد بينما يتدفق مزيد من الجنود داخل المختبر.

الشاشة في البوابة الحاسوبية، التي تعرض حالة المحفزات، تومض بتنبيه: تم الكشف عن إطلاق ثنائي ميثيل التريبتامين.

هيا. هيا.

داخل الحوض، هيلينا تموت، ومخها يلقي بآخر قدر من المادة الكيميائية التي ستقذفها عائدة ثلاثة عقود إلى ذكرى صباها.

يتقدم الجندي القائد نحو باري، صائحا بشيء لا يمكنه فهمه بسبب الصغير في...

الدم يقطر من أنفه، صائحا فتحات صغيرة عنابية اللون في الجليد. ينظر حوله إلى الأشجار الداكنة دائمة الخضرة، تتدلى أغصانها تحت ثقل العاصفة الأخيرة.

ينظر إلى هيلينا، شعرها مختلف عن المرة الأخيرة التي رآها فيها، في قبو مختبرهما بصحراء سونورا. شعرها الآن يتساوى فيه اللونان الأبيض والأحمر. وهي تطيله الآن وتربطه في ذيل حصان، ووجهها يبدو بشكل ما أكثر صلابة.

يسألها: "ما اليوم؟"

"16 أبريل 2019. الذكرى الثانية للخط الزمني منذ أن مت في حوض داربا."

يقفان مرتدين أحذية الجليد في فرجة غابة على جانب جبل منحدر، تطل على مدينة في سهل، على بعد عشرة أميال.

تقول هيلينا: "تلك دينفر. بنينا مختبرنا هنا حتى أكون قريبة من والدي." وتنظر إليه: "لا شيء بعد؟"

"يبدو وكأنني كنت في بيتنا في توسون منذ ثوانٍ حرفيا."

"آسفة أن أقول أنك انتقلت للتو من يوم 16 أبريل 2019 حقير، إلى آخر أحقر."

"عم تتحدثين؟"

"فشلنا مرة أخرى."

لقاؤهما الأول في بار بورتلاند. لمرة ثانية. ادعاءات الاستبصار. لكنه وقع في حبها بشكل أسرع؛ لأنها بدت تعرفه أفضل مما يعرف نفسه. هجوم الذكريات أكثر حدة هذه المرة. مؤلم تقريبا.

يسقط على الجليد بينما تضرب مخه السنوات التسع والعشرون الماضية مع هيلينا كقطار من الذكريات.

قضايا العقد السابق على وجود التكنولوجيا الكافية لبناء الكرسي في دراسة الزمكان، وطبيعة المادة، والأبعاد، والتشابك الكمي. تعلمنا كل شيء أمكنهما أن يتعلماه عن فيزياء الزمن، لكن ليس ما يكفي. ليس ما يكفي تقريبا.

بعد ذلك استكشفا طرقا للسفر عائدين في الذاكرة دون استخدام الحوض، باحثين عن طريقة أسرع. لكن في غيبة العزل الحسي، كان كل ما حققاه هو أن يقتلا نفسيهما مرة بعد مرة. وبعد ذلك تأتي الذكريات التي تكسره.

فقد أمه مرة أخرى.

الشجارات مع هيلينا حول عدم الإنجاب (لا بد أن هذا كان مثيرا لغيظها للمرة الثانية).

الجنس، الحب، الحب الجميل.

لحظات الإثارة لمعرفتهما أنهما الشخصان الوحيدان في العالم اللذان يناضلان لإنقاذه.

لحظات الرعب من نفس الإدراك، ومن معرفة أنهما يفشلان.

وعندئذ يمتزج تماما بنفسه. باري مع ذكريات الخطوط الزمنية كلها.

ينظر إلى هيلينا. تجلس إلى جواره في الجليد، تحقق عبر ميل أفقي نحو المدينة بنفس تحديقة الجندي المتعب الجوفاء التي اكتسبتها طوال العام الماضي، عارفة أن هذا اليوم قادم إلا إذا حدثت معجزة. بمقارنة هذا الخط الزمني الجديد بالخط السابق، فإن التغير في هيلينا مقلق، هذه النسخة منها تُعد تراجعاً طفيفاً عن النسخة السابقة، وأكثر ما يتضح هذا في اللحظات الأكثر هدوءاً.

أقل صبراً.

أكثر نأياً.

أكثر غضباً.

أكثر اكتئاباً.

أقصى.

ترى كيف كان الأمر بالنسبة لها، أن تعيش من جديد علاقة من البداية، بهذه المعرفة الكلية بنقاط ضعفها ونقاط قوتها، حتى قبل أن تبدأ؟ كيف تمكنت حتى من التواصل معه، مع سذاجته؟ لا بد وأن الأمر بدا أشبه بالحديث إلى طفل أحياناً، لأن الفجوة في وجهة النظر بين من كان باري منذ خمس دقائق ومن هو الآن بكل ذكرياته أشبه بهوة تفغر فاهاً - رغم أنه تقنياً مازال الشخص نفسه. فقط الآن هو نفسه بالفعل.

يقول: "أنا آسف يا هيلينا."

"علام؟"

"لا بد وأنه كان شيئاً يبعث على الجنون، أن تعيشي علاقتنا مرة أخرى."

تبتسم تقريباً: "أردت أن أقتلك من وقت لآخر."

"هل مللت؟"

"إطلاقاً."

يثقل السؤال الهواء.

يقول: "ليس عليك أن تفعلها مرة أخرى.."

"ماذا تقصد؟"

"معى."

تنظر إليه متألماً: "أقول أنك لا تريد؟"

"ذلك ليس ما أقوله. على الإطلاق."

"لا بأس إن قلت."

"لم أقل."

تسأله: "هل تريد أن تكون معى مرة أخرى؟"

"أحبك."

"هذه ليست إجابة."

يقول: "أريد أن أقضي كل حياة معك. أخبرتك بهذا الأسبوع الماضي."

"الأمر مختلف الآن بما أن لديك ذكريات كاملة عن كل خط زمني.

أليس كذلك؟"

"أنا معك يا هيلينا. نحن فقط خدشنا سطح فيزياء الوقت. هناك

ما هو أكثر بكثير أماناً كي نتعلمه."

يشعر بهاتفه يهتز في جيب سترته المبطنة بالفراء. كانت هذه

التمشية الأخيرة معا إلى بقعتهما المفضلة تستحق الجهد، لكن ينبغي

عليهما المغادرة الآن. العودة إلى الحضارة. مراقبة العالم وهو يتذكر ثم

الهروب اللعين قبل أن يأتي الجنود سعياً وراءهما، رغم أنه يشك في

مكتبة
t.me/t_pdf

أن يعثروا عليه هو وهيلينا بهذه السرعة. فقد عاشا بهويتين جديدتين هذه المرة.

تُخرج هيلينا هاتفها وتفتح صفحة الشاشة الرئيسية.

تقول: "آه يا ربي!"

تجاهد كي تقف على قدميها، وتبدأ في العدو بحذاء الجليد الذي تنتعله، متحركة بصعوبة في طريق هبوطها عائدة على نفس الدرب.

يسألها: "ماذا تفعلين؟"

"علينا أن ننطلق!"

يصرخ وراءها: "ما الخطب؟"

ترد عليه صائحة: "سأتركك!"

ينهض بصعوبة وينطلق في إثرها.

إنه ربع ميل نزولا من التل عبر أشجار التنوب. يستمر هاتفه في الطنين - شخص ما يطره بالرسائل النصية - وبالرغم من الحذاء الضخم، يصل إلى بداية الدرب في أقل من خمس دقائق، مرميا على غطاء محرك سيارتهما الجيب، منقطع الأنفاس ومتعرقا في ملابسه الشتوية.

هيلينا بالفعل تصعد خلف عجلة القيادة، ويندفع هو في المقعد المجاور، وهو مازال يرتدي حذاء الجليد بينما تدير هي المحرك وتنطلق بسرعة من مكان صف السيارات الخالي إلا من سيارتهما، التي تدور إطاراتها بسرعة على الرصيف الثلجي.

"ماذا يحدث بحق الجحيم يا هيلينا؟"

"انظر إلى هاتفك."

ينتزعه من سترته.

ويقرأ السطور الأولى من رسالة نصية طارئة على شاشة الصفحة الرئيسية:

تنبيه طارئ

تهديد بصواريخ باليستية موجهة إلى أهداف عديدة في الولايات المتحدة. ابحثوا عن ملجأ فوري. هذا ليس تدريباً عسكرياً. وينزلق بأصابعه إلى أسفل بحثاً عن المزيد.

تقول: "كان ينبغي أن نتوقع حدوث هذا. أتذكر بيانهما في الأمم المتحدة خلال الخط الزمني السابق؟"

"أي استخدام آخر للكرسي سيُنظر إليه كعمل من أعمال الحرب."

تقود هيلينا أسرع من اللازم عبر منحني حاد، والإطارات تنزلق على طبقات الثلوج المتراكمة، ونظام منع انغلاق المكابح يبدأ في العمل.

"لو لففتِ بالجيب حول شجرة، لن نستطيع أبداً..."

"لقد شبيت هنا، وأعرف كيف أقوم بالقيادة اللعينة في الجليد."

تنطلق بالسيارة كالسهم في اتجاه مستقيم، وأشجار التنوب المثقلة بثلج كثيف تندفع على كلا الجانبين بينما يمران بها والسيارة تزعق هابطة الجبل.

تقول هيلينا: "عليهم أن يهاجمونا.."

"لماذا تقولين هذا؟"

"لكل الأسباب التي تحدثنا عنها عندما كنت في (داربا). السيناريو الأسوأ لدى الجميع هو أن تقوم بلد واحدة بإرسال شخص ما نصف

قرن إلى الوراء وإلغاء وجود المليارات من البشر. عليهم أن يضربونا بكل ما لديهم على أمل أن يدمروا الكرسي قبل أن نستخدمه."

تفتح هيلينا الراديو وتنطلق خارجة من المدخل المؤدي إلى المحمية الحكومية. كانا قد نزلا بالفعل ما يقرب من ألفي قدم، والثلج الوحيد الموجود على الأرض يتكون من بقع ذائبة في الظل.

"...مقاطعة هذا البرنامج. هذه حالة طوارئ قومية. هناك تعليمات هامة فيما يلي." الصوت المسجل المرعب لنظام تنبيه الطوارئ يدوي داخل الجيب. "الرسالة التالية تُبث بطلب من حكومة الولايات المتحدة. هذا ليس اختبارا. اكتشفت قيادة الدفاع الجوي لأمريكا الشمالية انطلاق صواريخ باليستية روسية وصينية عابرة للقارات. ومن المتوقع أن تضرب هذه الصواريخ أهدافا عديدة في القارة الأمريكية الشمالية خلال الدقائق العشر إلى الخمس عشرة القادمة. هذا تحذير من هجوم. أكرر. هذا تحذير من هجوم. تحذير من هجوم يعني أن هجوما فعليا ضد هذا البلد قد تم اكتشافه وأنه ينبغي اتخاذ إجراء وقائي. ينبغي على كل المواطنين اتخاذ سائر فورا. تحركوا إلى قبو أو حجرة داخلية في الطابق الأدنى لأي مبنى قوي. ابقوا بعيدا عن النوافذ. إذا كنتم في الشارع أو في مركبة، توجهوا إلى ملجأ. إذا لم يكن أي من هذا متاحا، تمددوا في خندق أو منخفض آخر."

تزيد هيلينا السرعة إلى مائة ميل في الساعة على الطريق الريفي، تتبعد سفوح الجبال وراءهما في المرايا الجانبية والخلفية.

ينحني باري ويبدأ في حل الأحزمة التي تربط حذاء الجليد بحذاء المشي المرصع بالجليد.

وعندما يبلغان الطريق السريع، تدفع هيلينا المحرك إلى درجة الانهيار.

بعد ميل، يدخلان ضواحي المدينة.

مزيد ومزيد من السيارات واقفة على جانب الطريق، وقد تُركت أبوابها مفتوحة بينما هجرها سائقوها بحثاً عن مخبأ.

تضغط هيلينا بقوة على الفرامل إذ يصبح الطريق مسدوداً عبر كل حارات المرور. حشود من الناس تفر من سياراتها، قافزين من فوق السياج، ويتعثرون فوق جسر يشرف على جدول تجري مياهه ثقيلة وبُنية بدؤب الثلج.

يتساءل باري: "هل يمكنك الوصول عبر هذا إلى المخرج القادم؟"
"لا أعرف."

تندفع هيلينا من جديد، مرواغة الناس ومتحركة بالسيارة عبر حفنة من أبواب السيارات المفتوحة، يقتلعها المصد الأمامي للجيب كي تمر. منحدر الخروج إلى تفريعتهما لا يمكن اجتيازه، لذلك تناور بالجيب صاعدة تلا معشبا مائلا ومنه إلى جانب الطريق، منحشرة في النهاية بين شاحنة لخدمة البريد السريع وسيارة مكشوفة كي تصل إلى قمة المعبر.

على عكس الطريق السريع، كانت الجادة المشجرة فارغة تقريبا، وتسرع هيلينا في منتصف الطريق حتى يكاد يحترق المحرك بينما يدوي تنبيه آخر عبر السماعات.

مختبرهما في ليكوود، وهي ضاحية غربية في دينفر، في مبنى مشيد بالطوب الأحمر كان محطة إطفاء سابقا.

هما الآن على مبعدة ما يزيد على ميل فقط، وباري يحدق من النافذة، مفكرا كم هو غريب أن يرى مثل هذه الحركة القليلة في أي مكان.

لا توجد سيارات أخرى تسير على الطريق.

وتقريباً لا يوجد أشخاص هناك.

في تقديره، مرت على الأقل عشر دقائق منذ سمعاً أول بث لتنبية الطوارئ.

يلتفت إلى هيلينا ليقول ما قاله من قبل بالفعل؛ إنه يريد أن يفعل ذلك من جديد معها مهما يكن، عندما يلمح عبر نافذتها أسطح ضوء رآه في حياته - زهرة وهاجة تفتتح على الأفق الشرقي قرب كتلة ناطحات السحاب في وسط المدينة، وهج من الحدة بمكان حتى أنه يلهب قرنيته بينما يضرب العالم على حين غرة.

يغدو وجه هيلينا مشعاً، وكل شيء في مجال رؤيته، حتى السماء، يُستلب منه لونه، ويمتقع في بياض باهر حارق.

يصيبه العماء لخمس ثوان، وعندما يتمكن من الرؤية مرة أخرى، يحدث كل شيء فجأة.

ينفجر كل الزجاج في الجيب...

أشجار الصنوبر في منتزهه يقع قبالتها مباشرة تنحني بشدة على جانبي الطريق حتى تلمس رؤوسها الأرض...

حطام هيكل من مجمع تجاري مفكك يتدفق عبر الطريق، مدفوعاً بريح هوجاء...

رجل كان يدفع عربة تسوق على الرصيف ينقذف خمسين قدماً في الهواء...

وبعد ذلك تنقلب سيارتهما الجيب، واحتكاك المعدن بالإسفلة يصم الآذان بينما يدفع بهما الارتجاج عبر الطريق، والشرارات تتطاير في وجه باري.

عندما تستقر الجيب عند الرصيف، تصل ضجة الانفجار، وهي أعلى صوت سمعه في حياته - علو صوت نهاية العالم، علو صوت

تحطم الصدر - وتمر فكرة واحدة ممزقة عقله: أن موجة صوت الانفجار وصلتهما أسرع من اللازم.

في غضون ثوان.

هما أقرب بكثير لنقطة الانفجار من أن يبقيا على قيد الحياة لوقت طويل.

يغدو كل شيء ثابتا.

أذناه تصفران.

ملابسه كلها موسومة بثقوب حلقات نارية مازالت تأكل النسيج.

ثمة إيصال في أحد تجويفات حمل أكواب القهوة احترق تماما.

الدخان يتدفق عبر فتحات التهوية.

الجيب مستقرة على جانبها الأيمن، وهو مازال مربوطا بحزامه إلى المقعد، يرى من جانب واحد ما تبقى من العالم. يمسك رقبتة كي يتطلع إلى هيلينا، التي مازالت مربوطة بحزامها خلف عجلة القيادة، ورأسها متدلٍ بلا حراك.

يهتف باسمها، لكنه لا يمكنه حتى أن يسمع صوته في رأسه.

لا شيء غير ذبذبة في حنجرتة.

يفك حزام مقعده ويلتفت بألم ليووجه زوجته.

عينها مغلقتان ووجهها أحمر متوهج، جانبه الأيسر مغطى بشظية زجاج من النافذة.

يمد يده ويفك حزام مقعدها، وعندما تسقط من المقعد عليه، تنفتح عينها وتشهق فجأة.

تتحرك شفاتها، محاولة أن تقول شيئاً ما، لكنها تتوقف عندما تدرك أن لا أحد منهما بإمكانه أن يسمع شيئاً، ترفع يدها التي احمرّت نتيجة حروق من الدرجة الثانية وتشير إلى النافذة الأمامية الخالية من الزجاج.

يومئ باري برأسه، ويخرجها عبرها، مجاهدين في النهاية كي يقفا في منتصف الطريق، محاطين بدمار لا يمكن إدراكه إلا في الكوابيس. اختفت السماء.

تحولت الأشجار إلى هياكل عظمية وأوراقها المنصهرة تنجرف ساقطة منها كمطر من نار.

هيلينا تمضي بالفعل متعثرة في الطريق. وبينما يهرع باري في أثرها، يلاحظ يديه لأول مرة منذ الانفجار. هما بنفس لون وجه هيلينا، وتتكون عليهما بالفعل بثور نتيجة الوميض الأبيض الساخن للإشعاع الحراري.

وعندما يرفع يده ليلمس وجهه ورأسه، تخرج فيها خصلة من الشعر.

يا للمسيح!

يدب الذعر.

يحاذي هيلينا، التي تعرج مهولة الآن على الطريق المرصوف، المغطى بحطام يتصاعد منه الدخان.

الجو مظلم ظلمة المساء، والشمس غير مرئية.

الأم يزحف.

في وجهه، في يديه، في عينيه.

تعاوده قدرته على السمع.

صوت خطواته.

صرخات جهاز إنذار سيارة.

شخص يصرخ ويبكي من بعيد.

الصمت الرهيب لمدينة مذهولة.

ينعطفان في الشارع التالي، ويقدر باري أنهما مازالا على بُعد نصف ميل من محطة الإطفاء.

تتوقف هيلينا فجأة، وتحنني، وتتقيأ في منتصف الشارع.

يحاول أن يضع يده على ظهرها، لكن عندما يلمس كفه سترتها، يبعدها بصورة غريزية في ألم.

"أنا أحتضر يا باري. وأنت أيضا."

تعتدل واقفة، وتمسح فمها.

يتساقط شعر هيلينا، ويبدو صوت تنفسها متألما وغير منتظم.
بالضبط مثله.

يقول: "أعتقد أنه يمكننا أن ننجح في الأمر.."

"لا بد أن ننجح. لماذا كانوا ليضربون دينفر؟"

"إذا كانوا قد أطلقوا ترسانتهم كاملة، فهم يضربون كل مدينة كبرى في أمريكا، بآلاف من رؤوس الصواريخ، ربما على أمل أن يكونوا محظوظين ويدمروا الكرسي."

"ربما فعلوا."

يستمران في التحرك، أقرب إلى نقطة سقوط الصاروخ بالنظر إلى سحابة الرماد والحريق، التي مازالت تلتف وتتصاعد على بُعد غير محدد.

يمران بحافلة مدرسية مقلوبة، وقد تحول أصفرها إلى السواد، وتحطم زجاجها، وانبعثت أصوات الصراخ من داخلها.

يبطئ باري من حركته وينطلق نحوها، لكن هيلينا تصيح به: "الطريقة الوحيدة التي يمكنك مساعدتهم بها هي أن نصل إلى البيت." يعلم أنها على حق، لكن يتطلب الأمر منه كل طاقته كي لا يحاول على الأقل أن يساعد، حتى بكلمة مواساة.

يقول: "أتمنى لو أننا لم نعش أبدا لنرى يوما كهذا."

يهرولان مارين بشجرة تحترق، وقد حمل الانفجار دراجة بخارية وسائقها ملقيا بهما في غصونها، على ارتفاع ثلاثين قدما.

ثم تظهر امرأة تترنح صلعاء وعارية في منتصف الشارع وجلدها متقشر مثل لحاء شجرة بتولا وعيناها كبيرتان وبيضاوان بشكل غير طبيعي، كما لو أنهما قد اتسعتا لتستوعبا الرعب المحيط بها من كل جانب. لكن الحقيقة أنها عمياء.

"تجاهل هذا!" تقول هيلينا باكية. "سنغير هذا."

يشعر باري بطعم الدم في فمه، والألم يطوق عالمه ببطء. يشعر وكأن أحشائه تنصهر.

انفجار آخر، لكنه أبعد بكثير، يرج الأرض تحت أقدامهما. "ها هي.." تقول هيلينا.

تربض محطة الإطفاء أمامهما مباشرة.

هما واقفان في منتصف حيّهما، لكنه بالكاد لاحظ. بسبب الألم.

والأغلب لأنه لا يبدو كشارعهما بأي حال من الأحوال.

كل بيت مشيد بالخشب تساوى بالأرض، وانخلعت خطوط الكهرباء، وهب الهواء اللافح فحرق الأشجار وجردها من كل لمحة خُضرة.

تناثرت المركبات في كل مكان - بعضها مقلوبة على رؤوسها، وأخرى على جوانبها، وقلّة منها مازالت تحترق.

تمطر رمادا وغبارا إشعاعيا سيصيبهما بالتسمم الإشعاعي الحاد إذا ظلا في هذه البقعة من الجحيم قبل حلول الليل.

الحركة الوحيدة في أي مكان تأتي من أشكال مسودة تتلوى على الأرض.

في الشارع.

في الساحات الأمامية المختنقة بالدخان لما كانت بيوتا ذات يوم.

يشعر باري بموجة من الغثيان العاجز إذ يدرك أن هذه الأشكال أشخاص.

محطة الإطفاء خاصتهما مازالت قائمة.

النوافذ محطمة، محاجر عيون سوداء فاغرة، والطوب الأحمر تحول إلى لون الفحم.

يغدو الألم في وجهه ويديّ باري حادا بينما يصعدان السلم إلى المدخل ويدخلان عبر الباب الأمامي، الذي يرقد مشقوقا ومسطحا عبر الردهة.

رغم الألم، فإن صدمة رؤية بيتهما طوال واحد وعشرين عاما على هذا الحال صدمة مدمرة.

يتقاطر ضوء ضعيف عبر النوافذ، كاشفا عن مكان من الخراب التام.

لقد انفجر أغلب الأثاث ببساطة.

تفوح من المطبخ رائحة الغاز الطبيعي، وفي الركن القصي من المبنى، يتدفق الدخان في خيط رفيع عبر الرواق المفتوح إلى حجرة نومهما، حيث يلوح على الجدران ارتعاش ألسنة اللهب.

وبينما يندفعان عبر البيت، يفقد باري توازنه في المدخل المقنطر بين حجرتي الطعام والمعيشة. يتشبث بجانب المدخل ليمنع نفسه من السقوط ويصرخ في ألم، تاركاً خلفه طبعة كف من الدماء والجلد في المكان الذي وضع فيه يده على الحائط.

المدخل إلى مختبرهما الآمن باب قبو آخر، هذه المرة في مقصورة التخزين الكبيرة لما كان سابقاً حجرة المكتب. الباب نفسه متصل إلكترونياً ببقية البيت، لذا فإن استخدام لوحة المفاتيح من الخارج. تفتح هيلينا تطبيق كشف النور في هاتفها وتنقر المزيج المكون من خمسة أرقام يدويًا في شبه الظلام.

تمد يدها للعجلة، لكن باري يقول: "دعيني أقم بهذا".

"لا بأس".

"ما زال عليك أن تموت في الحوض".

"معقول".

يخطو في اتجاه الباب ويمسك المقبض ذا الثلاث شُعَب، ويئن متوجعاً بينما يشده ليلوي العجلة. لا شيء يتحرك غير طبقات الجلد التي يتجرد منها، وتخطر له فكرة مرعبة - ماذا لو أن حرارة الانفجار قد صهرت الأجزاء الداخلية من الباب؟ ثمّة رؤية ليومهما الأخير معا - يطهيهما الإشعاع الحراري ببطء في القشرة المحترقة لما كان بيتهما، غير قادرين على الوصول إلى الكرسي، عارفين أنهما فشلا. وعندما

يحدث الانتقال التالي، لو حدث أصلا، سيختفيان من الوجود تماما أو يكونان في عالم من صنع شخص آخر.

تتزعزع العجلة، ثم تنصاع أخيرا.

تراجع الأقفال وينفتح الباب متأرجحا، كاشفا سلما حلزونيا يهبط مؤديا إلى مختبر مطابق تقريبا لذلك الذي شيداه في الصحراء خارج توسون. لكن هنا، وبدلا من الحفر في الأرض، فقد بطننا القبو الحجري لمحطة الإطفاء القديمة بجدران فولاذية.

ليس هناك ضوء.

يترك باري جزءا من يده على العجلة بينما يفلتها ويتبع هيلينا، هابطين في حركة حلزونية السلم في الضوء الهزيل لهااتفها مدعوما بفلاش الكاميرا.

المختبر صامت على نحو غريب.

لا طنين المراوح التي تبرد الخوادم.

ولا مضخة الحرارة التي تُبقي الماء في حوض العزل في درجة حرارة ثابتة تساوي درجة حرارة الجلد البشري.

يمسح ضوء الهاتف الجدران بينما يتحركان في اتجاه نهاية رف الخادم الحاسوبي، حيث بنك طاقة من بطاريات ليثيوم أيون هي الشيء الوحيد المتوهج في المختبر.

يتوجه باري إلى لوحة مفاتيح على الحائط تحول الطاقة من الشبكة الكهربائية إلى البطاريات. يواجه لحظة أخرى من الرعب الخالص، لأنه لو كان الانفجار قد دمر البطاريات أو الموصلات لأي من الأجهزة، سيكون كل هذا بلا جدوى.

"باري؟" تقول هيلينا. "ماذا تنتظر؟"

ينقر المفاتيح.

تومض مصابيح أعلى رأسيهما.

تبدأ الخوادم في الطنين.

تجلس هيلينا بالفعل في بطاء على المقعد عند البوابة الحاسوبية، التي كانت قد بدأت تتابعها التمهيدي.

تقول: "ستمحننا البطاريات ثلاثين دقيقة من الطاقة فقط.."

"لدينا مولدات والكثير من الجاز."

"نعم، لكن سيتطلب الأمر زمنا حتى نعيد توجيه الطاقة."

يلقي بسترته المحترقة وبنطاله المبطن ويجلس على المقعد المجاور لهيلينا، التي تنقر بالفعل على لوحة المفاتيح بأسرع ما تسمح لها أطراف أصابعها المحروقة، والدم يسيل من زوايا فمها وعينيها.

وعندما تبدأ في التخلص من ملابسها الشتوية، يتوجه باري إلى الخزانة ويتناول الخوذة الوحيدة الباقية المشحونة بالكامل. يشغلها ويضعها بحرص على قمة رأس زوجته، التي امتلأت بالبثور.

الحروق من الدرجة الثانية في وجهه تدخل مجال الوجد الطاحن. هناك مورفين في خزانة الأدوية، يدعو، لكن أيضا ليس هناك وقت.

تقول له: "سأنهي وضع الخوذة. فقط ائبِ بمنفذ الحقن."

يتناول منفذا ويفتحه، متأكدا من أن وصلة البلوتوث مع البوابة متصلة بالإنترنت.

في تناقض حاد مع يديها المسمرتين بالأشعة النووية، فإن ساعدي هيلينا أبيضان وناعمان، حمتهما سترتها المبطنة بالفراء من الوميض الأول مع عدة طبقات من القمصان والملابس الداخلية الحرارية. يتطلب الأمر منه عدة محاولات بأصابعه التالفة كي يغرس الأنبوب في

وريدها. وأخيرا يربط المنفذ بساعدها ويتوجه إلى حوض العزل. الماء
أبرد من درجة الحرارة المثالية 98.6 بدرجة ونصف، لكن سيتوجب
أن تكون كافية.

يرفع الغطاء ويلتفت إلى هيلينا، التي تسير متعثرة في اتجاهه
كملاك مكسور.

يعرف أنه لا يبدو أفضل حالا.

يقول: "أتمنى لو كان باستطاعتي أن أقوم بهذا الجزء التالي بدلا
منك.."

"فقط سيكون هناك ألم لفترة أطول قليلا.." تقول والدموع تنسكب
على وجنتيها. "علاوة على ذلك، أنا أستحق هذا."

"هذا ليس صحيحا."

تقول: "ليس عليك أن تسلك هذا الطريق معي مرة أخرى."

"سأسلكه قدر ما يتطلبه من مرات."

"أأنت واثق؟"

"تماما."

تقبض على جانب الحوض وتؤرجح ساقيها فوقه.

وعندما تلمس يداها الماء، تصرخ باكية.

يسألها باري: "ما الأمر؟"

"الملح. آه يا إلهي..."

"سأحضر المورفين."

"لا، قد يفسد إعادة تنشيط الذكرى. فقط أسرع من فضلك."

"طيب، سأراك قريبا."

يغلق الغطاء على زوجته، التي تطفو معذبة في الماء المالح.

يندفع عائدا إلى البوابة، ويبدأ تسلسل الحقن. ومع إطلاق العقار المصيب بالشلل، يحاول أن يجلس، لكن الألم أكثر شمولاً من أن يستطيع البقاء ساكناً.

يجتاز المختبر ويصعد السلم الحلزوني، ومنه إلى المكتب والبقايا التي فجرتها النيران من بيته هو وهيلينا.

هناك في الخارج على سلم محطة الإطفاء، الجو مظلم كالليل والسماء تمطر نتفا من النيران.

يهبط باري السلم ويسير خارجاً إلى منتصف الشارع.

تتطاير جريدة محترقة عبر الرصيف.

وعلى الجانب الآخر من الطريق، يرقد هيكل مسود في الوضع الجنيني، متكوماً قرب الرصيف في مستقره الأخير.

هناك همس رياح ساخنة.

صراخ وأنات بعيدة.

ولا شيء آخر.

يبدو مستحيلاً أنه منذ أقل من ساعة، كان يجلس في فرجة غابة مكسوة بالجليد على ارتفاع عشرة آلاف قدم، يطل على دينفر في ظهيرة ربيعية نموذجية.

لقد جعلنا تدمير أنفسنا أمراً أسهل من اللازم.

لم يعد بمقدوره التحمل أكثر من هذا.

تلتوي ركبته، ويسقط.

يجلس الآن في منتصف الشارع أمام محطة الإطفاء، مراقباً العالم وهو يحترق ومحاولاً ألا يترك الألم يغلبه.

لقد مرت عدة دقائق منذ غادر المختبر.

هيلينا تحتضر في الحوض.

يتمدد على الإسفلت ويحدق في السماء السوداء إلى مطر النار المتساقط عليه.

يشق قضيب لامع من الألم مؤخرة جمجمته، ويميز موجة من الارتياح، عارفاً أن هذا يعني أن النهاية قادمة، أن ثنائي ميثيل التريبتامين يغمر مخ هيلينا بينما تعود في النفق المؤدى إلى ذكرى سيرها نحو سيارة تشيفروليه باللونين الأبيض والأزرق كفتاة في السادسة عشرة من عمرها وحياتها بأكملها أمامها.

سيفعلان كل هذا من جديد، والأمل أن يكون على نحو أفضل في المرة القادمة.

وتدريجياً تسقط هباءات النار أبطأ وأبطأ، حتى تغدو معلقة في كل مكان حوله في الهواء مثل مليار حشرة مضيئة...

الجو بارد ورطب.

يشم ملح البحر.

يسمع الأمواج وهي ترتطم بالصخور والطيور تصرخ محلقة فوق المياه المفتوحة.

تتأرجح رؤيته حتى تثبت.

هناك شاطئ وعر على بُعد مائة ياردة، وضباب يمتد فوق المياه ذات الزرقة الرمادية، مشوشا أشجار الصنوبرية على البُعد، الأشجار التي تقف بطول الشاطئ مثل سطر من خط يد مضطرب. اختفى ألم وجهه المنصهر.

هو جالس في زورق كاياك مرتديا بدلة سباحة مبتلة، وثمة مجداف على حجره، يمسح الدم عن أنفه ويتساءل أين يكون. أين هيلينا؟

لماذا لا توجد ذكريات من هذا الخط الزمني بعد؟

كان متمددا في منتصف الشارع أمام محطة الإطفاء خاصتهما في دينفر منذ ثوان فقط، ناظرا في ألم بينما تمطر السماء نارا.

والآن هو... حيثما يكون. تبدو حياته أشبه بحلم، يرفرف من واقع إلى آخر، ذكريات تصبح واقعا يصبح كابوسا. كل شيء حقيقي في هذه اللحظة، لكنه عابر كذلك. بقاع من الأرض وعواطف في حالة تدفق دائمة، ومع ذلك ثمة منطق ملتوٍ فيها جميعا - بالطريقة التي يصبح للحلم معنى فقط عندما تكون بداخله.

يغمس مجدافا في الماء ويدفع بالكاياك إلى الأمام.

يتراءى أمامه خليج مظلّل، حيث تنحدر الجزيرة صاعدة برفق عدة مئات من الأقدام عبر غابة من شجر التنوب الداكن، تتخلله ضربات فرشاة بيضاء من أشجار البتولا.

على الجانب الأدنى من التل، يقوم منزل على رقعة فسيحة من العشب الزمردى، محاطا ببنائيات أصغر - مَصِيفَتان، برج مراقبة، نزولا إلى قرب الشاطئ حيث حظيرة قوارب ورصيف للرسو.

يجدّف إلى داخل الخليج، وتزايد سرعته مع اقترابه من الأرض، مندفعاً بالكاياك إلى الشاطئ فوق قاع من الصخور المحطمة. وبينما

يجذب نفسه بصعوبة من تجويف الزورق، تسقط في عقله ذكرى واحدة - الجلوس في ذلك البار في بورتلاند بينما تصعد هيلينا فوق مقعد البار إلى جواره للمرة الثالثة في وجودهما العجيب الاستعادي.

"تبدو وكأنك تريد أن تدعوني إلى شرب."

كم يبدو غريباً أن تحمل ثلاث ذكريات مختلفة لما هو بالأساس نفس اللحظة من الزمان.

يتحرك حافياً عبر الشاطئ الصخري وفوق العشب، متأهباً لموجة مد الذكريات، لكنها تتأخر اليوم.

البيت مشيد على أساس حجري، وقد تحول الخشب إلى ما يشبه خشباً طافياً رمادياً بفعل عقود من الملح والشمس والرياح والمياه القاسية.

كلب ضخيم يأتي متقافزاً نحوه عبر الساحة. إنه كلب أباتل أسكتلندي، بنفس لون كسوة البيت الحائلة بفعل العوامل الجوية، ويحيي باري بمحبة تسيل باللعاب، واقفاً على ساقيه الخلفيتين ليلاقيه عيناً بعين ويلعق وجهه.

يصعد باري السلم إلى الشرفة، التي تزدهو بمنظر أسر للخليج والبحر من خلفه.

يفتح الباب الزجاجي الزلّاق، ويخطو داخل حجرة معيشة دافئة مشيدة حول مدفأة حجرية قائمة بذاتها وتنهض مرتفعة وسط قلب البيت.

النار الصغيرة المشتعلة على الحامل الحديدي تملأ داخل البيت برائحة دخان الخشب المحترق.

"هيلينا؟"

لا أحد يرد.

يظل البيت صامتا.

يتحرك عبر مطبخ ريف فرنسي بعوارض مكشوفة ودكة تحيط بمنضدة كبيرة مغلقة الجوانب وعليها خشبة لتقطيع اللحم.

ثم يقطع ممرا طويلا مظلما، شاعرا كأنه يتعدى على بيت شخص آخر. في نهاية الممر، يتوقف عند مدخل مكتب مكسب بشكل يبعث على الراحة. ثمة موقد حطب، ونافذة تطل على الغابة، ومائدة قديمة في وسط الحجرة تنوء بحملها من أكوام الكتب. وبالقرب منها تقف سبورة سوداء، مغطاة بمعادلات غير مفهومة ورسوم بيانية لما يبدو أنها خطوط زمنية متشعبة بشكل معقد.

تهبط عليه الذكريات في لمحة عين.

في لحظة ليس هناك شيء.

وفي اللحظة التالية، يعرف أين هو بالضبط، والمسار الكامل لحياته منذ وجدته هيلينا، وماذا تعني المعادلات الموجودة على السبورة بالضبط.

لأنه كتبها.

إنها استقراءات لمصفوفة شفارتسكيلد؛ وهي معادلة تحدد ما يجب أن يكونه نصف القطر لأي شيء، بناء على كتلته، لتكوين نقطة تفرد. بعد ذلك تشكل نقطة التفرد تلك ثقباً دودوياً أو جسر آينشتين-روزين يمكنه، نظرياً، الربط على الفور بين مناطق نائية من المكان، وحتى من الزمان.

ولأن وعيه القادم من خطوط زمنية سابقة يمتزج مع وعيه الخاص بهذا الخط، فإن منظوره لعملهما خلال السنوات العشر الماضية جديد تماماً ومألوف بشدة في نفس الوقت وعلى نحو متناقض. يراه في نفس الوقت بعينين جديدتين وفقدان تام للموضوعية.

قضى وقتاً طويلاً من حياته يدرس فيزياء الثقوب الأسود. ورغم أن هيلينا كانت معه في البداية، إلا أنها خلال السنوات الخمس الماضية، ومع اقتراب يوم 16 أبريل 2019 دون أن يلوح في الأفق أي تقدم كبير، بدأت في الانسحاب.

معرفة أنها ستضطر إلى القيام بكل هذا مرة أخرى كسرتها ببساطة.

على زجاج النافذة المطلة على غابة الشجر، مازالت الأسئلة الجوهريّة التي كتبها بقلم التأشير الفلوماستر الأسود منذ سنين عديدة تهرأ به، واقفة بلا إجابة...

ما هو نصف قطر شفارتسشيلد لأي ذكرى؟

تصور مجنون... عندما تموت، هل تخلق الجاذبية الهائلة لذكرياتنا المنطوية ثقباً أسود متناهي الصغر؟

تصور أكثر جنونا... هل يقوم إجراء إعادة تنشيط الذكرى - في لحظة الموت - بفتح ثقب دودي يربط وعينا بنسخة أقدم من أنفسنا؟

سيفقد كل هذه المعرفة. ليس الأمر أنها كانت بالفعل أكثر من نظرية - محاولة لجذب الستار وفهم لماذا فعل كرسي هيلينا ما فعله. لا شيء من معرفته يعني أي شيء بدون اختبار علمي. فقط خلال السنتين الأخيرتين خطر ببال باري أنه ينبغي عليهما أن يأخذا جهازهما إلى مختبر (سيرن) في جنيف بسويسرا، ويقتلا شخصا ما في الحوض في حضور كاشفات الجسيمات (لمُصادم الهدرونات الكبير)⁽¹⁾. لو

(1) المسارع النووي الكبير أو مصادم الهدرونات الكبير هو أضخم مُعجّل جسيمات وأعلاها طاقة وسرعة، يستخدم هذا السينكروترون لمصادمة جسيمات دون ذرية وهي البروتونات بطاقة تصل إلى 7 تيرا-إلكترون فولت.

أمكنهم أن يثبتوا ظهور المدخل لثقب دودي متناهي الصغر في اللحظة التي يموت فيها شخص ما في الحوض، وظهور مخرج ثقب دودي في اللحظة التي يولد فيها وعيه من جديد في جسده عند نقطة سابقة من الزمن؛ فقد بدأوا في فهم الآليات الصحيحة لعودة الذكرى.

كرهت هيلينا الفكرة. لم تصدق أن مكافأة المعرفة تستحق المخاطرة بإخراج تقنيتيها إلى البرية من جديد، وهو ما سيحدث غالبا بشكل مؤكد لو تشاركا معرفتهما بالكروسي مع المجتمع العلمي المختص (بمُصادم الهدرونات الكبير). علاوة على ذلك، سيستغرق الأمر سنوات لإقناع السلطات العليا بالسماح لهما بالوصول إلى كاشف جسيمات، وسنوات فوق هذه، بالإضافة إلى فرق من العلماء لكتابة الخوارزميات والبرمجيات اللازمة لاستخراج البيانات الفيزيائية للنظام. وفي نهاية الأمر، سيكون الوضع أكثر صعوبة واستهلاكا للوقت كي يدرسوا فيزياء الجسيم الخاصة بالكروسي مما كان ليغدو عليه لو صنعنا ما يحتاجانه بالفعل.

لكن الوقت هو ما يملكه.

"باري."

يلتفت.

تقف هيلينا في المدخل، وتأتي صدمة رؤية هذه النسخة من زوجته، على النقيض من النسختين السابقتين، لتدوي كجرس إنذار بداخله. تبدو أشبه بنسخة مفككة من المرأة التي يحبها - نحيلة للغاية، وعيناها مسودتان وخاويتان، وعظام محاجرهما بارزة أكثر قليلا مما يجب.

ثمّة ذكرى تهيمن على عقله - حاولت هيلينا أن تقتل نفسها منذ عامين. ومازالت الندوب البيضاء ظاهرة على ساعديها. وجدها في حوض الاستحمام القديم ذي الأقدام المخملية في تجويف الحائط ذي

النوافذ المظلمة على البحر، وقد تحول ماء الاستحمام إلى لون النبيذ. يتذكر كيف رفعها وهي ميتة تقريبا، وجسدها يقطر ماء، ووضعها على البلاط. كيف لف رسيها محمومًا بشاش طبي في الوقت المناسب بالكاد لإيقاف النزيف.

كانت ميتة تقريبا.

أصعب ما في الأمر أنه لم يكن هناك شخص آخر يمكنها الحديث معه. ولا طبيب نفسي يمكنها أن تشاركه عبء وجودها. لم يكن لديها إلا باري، وكان ذنب عدم كفايته لها يأكله منذ سنوات.

في هذه اللحظة، وهو يحرق فيها واقفة في المدخل، يحتاجه إخلاصه لهذه المرأة.

يقول: "أنت أشجع شخص عرفته في حياتي."

ترفع هاتفيها: "انطلقت الصواريخ منذ عشر دقائق. فشلنا مرة أخرى." تأخذ رشفة من كأس النبيذ الأحمر في يدها.

"لا ينبغي أن تشرب هذا قبل الدخول في الحوض."

تتجرع البقية الباقية في الكأس. "إنها مجرد رشفة لتهدئة أعصابي."

كان الوضع صعبا بينهما. لا يمكنه تذكر آخر مرة نام فيها في فراشها. آخر مرة مارسا فيها الجنس. آخر مرة ضحكا فيها على شيء غبي. لكنه لا يستطيع أن يحمل ضغينة تجاهها. بالنسبة له، تبدأ علاقتهما مع كل تكرار في بار بورتلاند، عندما يكون في الواحدة والعشرين من عمره وهي في العشرين. يقضيان تسعة وعشرين عاما معا، وبينما تبدو كل حلقة جديدة تماما بالنسبة له (حتى يصل إلى هذه اللحظة المقدورة ويكتسب هو ذكريات الخطوط الزمنية السابقة)، أما من منظورها؛ فقد كانت مع نفس الرجل لمدة سبعة وثمانين عاما،

تعيش من جديد - مرة بعد مرة - نفس الامتداد الزمني من عمرها في العشرين إلى التاسعة والأربعين.

نفس المعارك.

مكتبة

t.me/t_pdf

نفس المخاوف.

نفس الديناميكية.

نفس... كل شيء.

لا مفاجآت حقيقية.

فقط الآن، في هذه اللحظة القصيرة، يكونان متساويين. حاولت هيلينا أن تفسر سابقا، لكنه يفهم أخيرا، وهذه المعرفة تُذكره بشيء قاله سليد في مختبره بالفندق، قبل موته بالضبط - يتغير منظورك عندما تعيشين حيوات لا حصر لها.

ربما كان لدى سليد بعض الحق. لا يمكنك حقا أن تفهم نفسك حتى تعيش حيوات كثيرة. ربما لم يكن الرجل مجنونا يهذي تماما.

تخطو هيلينا داخلة الحجرة.

يسألها: "هل أنت مستعدة؟"

"هل يمكنك أن تسترخي لدقيقة لعينة؟ لا أحد سيرسل صاروخا نوويا إلى ساحل (مين). ستسقط بوسطن ونيويورك وميدويست، لكن هذا بعد ساعات."

لقد تشاجرا حول هذه اللحظة ذاتها - عندما أصبح واضحا في آخر سنتين أنهما لن يجدا حلا في هذه الحلقة، دعا باري إلى قتل هذا الخط الزمني وإعادة هيلينا إلى الوراء قبل أن يتذكر العالم نهايته العنيفة في الخط الزمني السابق، ويعاني نهاية جديدة مرة أخرى في هذا الخط. لكن هيلينا رأت أنه حتى أقل فرصة لعدم عودة أي

ذكريات زائفة كانت لتستحق تركها لتجرب حظها. والأهم أنها أرادت، حتى لو لأقل فسحة من الوقت فقط، أن تكون مع نسخة باري الذي يتذكر كل الخطوط الزمنية وكل شيء مرا به معا. وإذا كان صادقا مع نفسه، فقد أراد ذلك أيضا.

هذه هي اللحظة الوحيدة في وجودهما المشترك بأكمله التي يمكنهما أن يكونا معا حقا فيها.

توجه إلى النافذة وتقف إلى جواره.

بإصبع واحد، تبدأ في محو الكتابة على الزجاج.

تقول: "كان هذا كله هباء، هه؟"

"كان ينبغي علينا أن نذهب إلى (سيرن)."

"وإذا ثبتت صحة نظريتك عن الثقب الدودي؟ ماذا إذا؟"

"أنا أصر على اعتقادي في أننا لو تمكنا من فهم كيف ولماذا يمكن للكرسي أن يرسل وعينا عائدا إلى ذكرى ما، سنكون في مكان أفضل لمعرفة كيف نوقف الذكريات الزائفة."

"هل وضعت في اعتبارك أبدا إمكانية أن يكون هذا أمرا غير قابل للمعرفة؟"

يسألها: "هل تفقدين الأمل؟"

"أوه يا حبيبي، لقد ضاع منذ زمن طويل. بعيدا عن ألمي الشخصي، في كل مرة أعود فيها، أدمر وعي تلك الفتاة ذات الستة عشر عاما التي تسير خارجة إلى الشاحنة في لحظتها الأولى من الحرية الحقيقية. أقتلها مرة بعد مرة بعد مرة. هي لم تحصل قط على فرصة أن تعيش حياتها. بسبب ماركوس سليد. بسببي."

"إذا دعيني أحمل الألم عن كلينا لفترة."

"لقد حملته."

"دعيني أستمِر في حمّله."

تنظر إليه. "مازلت تؤمن أننا سنجد طريقة لإصلاح هذا."

"نعم."

"متى؟ في التكرار التالي؟ الثلاثون؟"

يقول: "شيء غريب جداً..."

"ماذا؟"

"دخلت هذه الحجرة منذ خمس دقائق ولم تكن لديّ فكرة عمّ تعنيه هذه المعادلات. ثم فجأة أتنّي ذكريات هذا الخط الزمني وفهمت المعادلات التفاضلية الجزئية." يومض جزء من محادثة من عمر آخر في الهيكل العصبي لمخه. يقول: "أتذكرين ما قاله ماركوس سليد عندما وضعناه تحت تهديد السلاح في مختبره في ذلك الفندق؟" "أنت تعلم أنه، من منظوري، كان ذلك منذ حوالي مائة عام ومنذ ثلاثة خطوط زمنية."

"أخبرتيه أنه لو حدث وعرف العالم بوجود الكرسي، لن يمكن إعادة هذه المعرفة إلى الورا قط. وهو بالضبط من نحارب ضده الآن. أتذكرين؟"

"بشكل مشوش."

"وقال هو أن محدوديتك تعميك، وأنتك مازلتِ لا ترين الصورة كاملة، وأنتك لن تريها قط، إلا إذا تمكنتِ من السفر بالطريقة التي سافر هو بها..."

"كان مجنوناً."

"هذا ما اعتقدته أيضا. لكن الفرق بينك في ذلك الخط الزمني الأول، وبينك الآن - قد يكون هذا شيئا يقودك إلى الجنون، لكنك أتقنت معرفة مجالات علمية كاملة، وعشت حياة كاملة لم تكن هيلينا الأولى لتحلم بها. ترين العالم بطريق لم ترها بها قط. والأمر نفسه بالنسبة لي. ومن يعرف كم حياة عاشها سليد، وماذا تعلم؟ ماذا لو أنه اكتشف بالفعل طريقة ما؟ مخرج ما للالتفاف حول مشكلة الذكرى الميتة؟ شيء كنت تحتاجي من هذه الحلقات ما هو أكثر بكثير مع ذلك لتكتشفيه بنفسك؟ ماذا لو كان يفوتنا طوال هذا الوقت شيء هام جدا؟"

"مثل ماذا؟"

"ليست لدي فكرة، لكن ألا تودين أن تسألي سليد؟"

"وكيف تقترح أن نفعل هذا أيها المحقق؟"

"لا أعرف، لكن لا يمكننا أن نكتفي بالاستسلام."

"لا، أنا لا يمكنني أن أستسلم. يمكنك الانسحاب في أي وقت تريد وأن تعيش حياتك في نعمة الجهل بقدوم هذا اليوم."

"أوصل بك الأمر فعلا إلى التفكير في وجودي في حياتك على هذا القدر من الاحتقار؟"

تتنهد. "بالطبع لا."

تشخص ثقالة ورق على المائدة خلفهما.

ويمتد عبر زجاج النافذة شق مثل شبكة العنكبوت.

دمدمة خفيفة لانفجار بعيد ترج عظامهما.

"هذا نوع من الجحيم.." تقول وقد اربد وجهها. "أستعد أنت

للنزول إلى المختبر وقتلي من جديد، حبيبي؟"

لم يعد باري موجودا في المختبر أسفل الأرض على جزيرته هو وهيلينا خارج ساحل (مين)، لكنه يجلس بدلا من ذلك إلى مكتب مألوف الشكل في حجرة مألوفة الشكل. رأسه تؤلمه بإحساس لم يمر به منذ بعض الوقت - ذلك النبض خلف العينين الذي تشعر به مع دوار شديد بعد الشرب.

يصدق في إفادة شاهد على شاشة حاسوب أمامه، ورغم أنه لا توجد أي ذكريات لهذا الخط الزمني بعد، إلا أنه يدرك، برعب متنام، أنه في الطابق الرابع للإدارة الرابعة والعشرين لشرطة نيويورك.

غرب الشارع 100.

الجانب الغربي الشمالي.

مانهاتن.

لقد عمل هنا من قبل. ليس فقط في هذا المبنى. في هذا الطابق. في هذا المكان. وليس على مكتب مثل هذا. بل هذا المكتب بالضبط. بل إنه يميز بقعة الحبر من حادثة قلم حبر.

يُخرج هاتفه، ويتفحص شاشة الصفحة الرئيسية: 16 أبريل 2019.

ذكرى الخط الزمني الرابع لموت هيلينا في ذلك المختبر الخاص بداربا.

ماذا يحدث بحق الجحيم؟

ينهض من مقعده - شاعرا أنه أثقل بصورة ملحوظة مما كان في (مين) وكولورادو وأريزونا - وداخل سترته، يشعر بثقل شيء لم يضعه منذ عصور - جراب كتف.

حل صمت غريب على مقصورات الطابق الرابع بأكمله.

لا أحد ينقر على لوحة مفاتيح.

لا أحد يتكلم.

مجرد صمت مذهول.

يرفع عينيه لينظر إلى المرأة الجالسة في مواجهته - شرطية يتذكرها، ليس من هذا الخط الزمني، لكن من الخط الأصلي؛ قبل أن يتكسر الوقت بفعل كرسي هيلينا. هي محققة جرائم قتل اسمها شيلا ريدلنج، كانت تلعب في مركز لاعب الانتقال السريع في بطولة دوري السوفتبول الخاص بهم. كان لديها ذراع جبار، كانت أفضل سكيّة في الفريق. الدم يجري سائلا من أنف شيلا ويتساقط على بلوزتها البيضاء، والنظرة على وجهها هي دون شك نظرة امرأة في حالة من الرعب الخالص.

الرجل في المقصورة المجاورة أنفه ينزف أيضا وتجري الدموع على وجهه.

رصاصة تفجر الصمت -الذي كان يمكن أن تسمع فيه صوت دبوس يقع- على الجانب الآخر من الطابق، تتبعها شهقات وصرخات تتماوج عبر متاهة المقصورات.

ثمة رصاصة أخرى، وهذه المرة أقرب.

يصرخ أحدهم: "اللعة! ماذا يحدث؟ ماذا يحدث؟"

بعد الرصاصة الثالثة، يد باري يده داخل سترته ليسحب مسدسه الجلوك، متسائلا إن كانوا يتعرضون لهجوم، لكنه لا يستطيع رؤية أي تهديدات في المنطقة المحيطة به.

مجرد بحر من الوجوه الحائرة.

تقف شيلا ريدلنج فجأة، وتسحب سلاحها، تضع المسدس على رأسها، وتطلق النار.

وعندما تسقط على الأرض، يندفع الرجل الذي يشاركها مقصورة الحائط من مقعده، ويسحب مسدسها من بركة الدماء، ويضعه في فمه.

يصرخ باري: "لا!"

وعندما يطلق النار ويسقط فوق شيلا، يدرك باري أن هذا كله له معنى فظيع من نوع ما. ذكرياته من الخط الزمني السابق مع هيلينا على ساحل (مين)، لكن هؤلاء الأشخاص كانوا في قلب هجوم نووي على مدينة نيويورك، حيث ماتوا جميعا أو كانوا يعانون سكرات موت رهيب، بعد أن عانوا للتو نفس المصير في الخط الزمني السابق، حيث كان هجوم نووي آخر قد حدث للتو.

والآن تنكسر ذكريات هذا الخط الزمني كموجة متكسرة.

انتقل إلى نيويورك في أوائل عشرينياته وأصبح شرطيا.

تزوج جوليا.

ترقى في صفوف إدارة شرطة نيويورك ليصبح محققا في قسم السطو المركزي.

عاش حياته الأصلية كلها من جديد.

ويصدمه الأمر كطلقة في كليتيه - هيلينا لم تأت إليه قط في ذلك البار ببورتلاند. لم يقابلها قط. لم يصله شيء منها قط. لسبب ما، اختارت أن تعيش هذا الخط الزمني دونه. هو فقط يعرفها في ذكريات ميتة. يُخرج هاتفه الخلوي ليتصل بها، محاولا أن يتذكر رقمها، ويدرك أنه لا يمكن أن يكون نفس الرقم في هذا الخط الزمني. لا طريقة لديه للاتصال بها، وعجز هذه المعرفة تقريبا أكبر مما يحتمل في هذه اللحظة، وتتوالى الأفكار ممزقة عقله...

هل يعني هذا أنها انفصلت عنه؟

وجدت شخصا آخر؟

اكتفت أخيرا من عيش نفس الحلقة من السنوات التسع والعشرين مع نفس الرجل؟

مع انفجار مزيد من الرصاصات حوله وشروع الناس في الهروب من المنطقة، يعود بتفكيره إلى المحادثة الأخيرة التي أجراها مع هيلينا في بيتهما في (مين) وفكرته عن إيجاد سليد.

ركز على هذا. إذا كانت الأعمار السابقة بمثابة دليل إرشادي بأي شكل، فلديك فقط قدر محدود من الوقت قبل أن ينهمر الجحيم على نيويورك.

يتجاهل الفوضى من حوله وينزلق بمقعده نحو مكتبه، موقظا حاسوبه.

البحث في جوجل عن "ماركوس سليد" يؤدي إلى صفحة وفيات في جريدة سان فرانسيسكو كرونيكل، تذكر بالتفصيل أن سليد مات من جرعة مخدرات زائدة في الكريسماس الماضي.
اللعة.

يبحث بعد ذلك عن "جي-وون تشيركوفر" ويجد مصادر عديدة. تشيركوفر يدير مؤسسة (رأس مال مخاطر) في الجانب الشرقي الشمالي اسمها أبيكس فينتشر. يلتقط باري صورة لبيانات الاتصال من على موقعهم الإلكتروني، ويسحب مفاتيحه، ويندفع نحو السلم.

وبينما يهبط الدرجات، يتصل بشركة أبيكس.

"كل الدوائر مشغولة، من فضلك حاول الاتصال..."

يعدو بأقصى سرعته عبر بهو الطابق الأرضي، خارجاً إلى الظهيرة المتأخرة، حتى يصل إلى رصيف شارع ويست المائة، مقطوع الأنفاس، وثمره تنبيه جديد يضيء شاشة صفحته الرئيسية:

تنبيه طارئ

تهديد بصواريخ باليستية موجهة إلى أهداف عديدة في الولايات المتحدة. ابحثوا عن ملجأ فوري. هذا ليس تدريباً عسكرياً. وينزلق بأصابعه إلى أسفل بحثاً عن المزيد.

يا يسوع!

في الوقت الذي تأتيه ذكريات هذا الخط الزمني، تشمل هويته، بطريقة عابرة، بكل الأعمار التي عاشها. لسوء الحظ، هذا المنظور متعدد الخطوط الزمنية سينتهي حالماً تضرب الصواريخ.

يتساءل: ماذا لو أن هذا هو كل ما تبقى من حياته؟

من حياة الجميع؟

نصف ساعة من نفس الرعب اللانهائي المتكرر.

نوع ما من الجحيم.

عالياً في الطابق الخامس عشر بمبنى في الجهة المقابلة من الشارع، تنكسر نافذة، وينهمر الزجاج فوق الرصيف، متبوعاً بمقعد وبعده رجل في حلة مقلمة.

يصطدم هابطاً برأسه بسقف سيارة، يبدأ جهاز إنذارها في صراخ حاد.

الناس يجرون مارين بباري.

على الأرصفة.

في الشوارع.

مزيد من الرجال والنساء يتساقطون من ناطحات السحاب؛ لأنهم يتذكرون كيف كان الحال مع الموت في هجوم نووي.

تبدأ سارينه الدفاع المدني في الصراخ، والناس يتدفقون خارجين من المباني المحيطة كالفتران وينصبون داخل جراج صف سيارات تحت الأرض ليأخذوا ساترا.

يقفز باري داخل سيارته ويشغل المحرك. أليكس في الجانب الشرقي الشمالي، في مواجهة المنتزه بالضبط، على مبعده حوالي ستة مجمعات أبنية من موقعه الحالي.

يستوي بسيارته في منتصف الشارع، لكن كل ما يمكنه فعله هو أن يزحف بها إلى الأمام وسط جحافل الناس.

يبقي باري يده على بوق سيارته، وينعطف أخيرا إلى تقاطع كولومبوس، الذي لا يقل ازدحاما عن سابقه إلا قليلا.

يقود عكس الاتجاه وينعطف يمينا في أول زقاق يقابله، منطلقا بسرعة في الظلال ما بين العمارات.

يشعل وحدة إضاءة الطوارئ أعلى سقف سيارته ويطلق سارينته ويشق طريقه بالقوة عبر شارعين آخرين مليئين بأناس محمومين هيسترين.

ثم يزيد من سرعة سيارته الكراون فيك قاطعا ممر مشاة في منتزه سنترال بارك، محاولا أن يتصل بأليكس مرة أخرى.

هذه المرة، يرن الهاتف.

من فضلك، من فضلك، من فضلك ارفع السماعة.

ويرن.

ويرن.

هناك عدد من الناس أكبر من اللازم في الممر أمامه، لذا ينحرف خارجا إلى داخل منتزه نورث ميدو، مارقا عبر ملاعب البيسبول التي كان يلعب بها في الماضي.

"آلو؟"

يضغط باري الفرامل ويوقف سيارته في منتصف الملعب ويفتح سماعة الهاتف.

"من المتحدث؟"

"جي-وون تشيكوفر. هل أنت باري؟"

"كيف عرفت؟"

"كنت أتساءل إن كنت ستتصل."

في المرة الأخيرة التي تعامل فيها باري مع جي-وون، كان هو وهيلينا قد أطلقا عليه الرصاص في مختبر سليد بينما كان يندفع عاريا نحو مسدس.

يسأله باري: "أين أنت الآن؟"

"مكتبي في الطابق الثلاثين من بنايتي. أطل على المدينة، منتظرا أن أموت مرة أخرى، مثلنا جميعا. هل أنت وهيلينا من تفعلون هذا؟"

"كنا نحاول أن نمنع هذا. أردت أن أجد سليد..."

"مات العام الماضي."

"أعرف. لذا أحتاج إلى سؤالك - عندما عثرنا أنا وهيلينا على سليد في الفندق، ألمح إلى وجود طريقة لإبطال الذكريات الميتة. طريقة مختلفة من السفر إلى الماضي. من استخدام كرسي الذاكرة."

يسود الصمت على الجانب الآخر من الخط.

"تقصد عندما قتلتماني."

"نعم."

"ماذا حدث بعد..."

"اسمع، ليس هناك وقت. أحتاج إلى هذه المعلومات إن كنت تمتلكها. لقد كنت في حلقة لمدة ثلاثة وثلاثين عاما مع هيلينا محاولين أن نجد طريقة لمحو معرفة العالم بكرسي الذاكرة. لا شيء يفلح. لذلك نستمر في بلوغ هذه اللحظة الأبوكاليسية مرة بعد مرة. وستظل تحدث إلا إذا..."

"يمكنني أن أقول لك هذا، وهو كل ما أعرفه.. آمن ماركوس بوجود طريقة لإعادة ضبط أي خط زمني، وبالتالي لا توجد أي ذكريات ميتة. بل إنه فعل هذا مرة."

"كيف؟"

"لا أعرف التفاصيل. اسمع، أنا بحاجة للاتصال بوالدي. من فضلك أصلح هذا إن استطعت. نحن جميعا في الجحيم."

يغلق جي-وون الخط. يلقي باري هاتفه على المقعد المجاور ويخرج من السيارة. يجلس على العشب، ويريح يديه على ساقيه. إنهما ترتعشان.

جسده بأكمله يرتعش.

في الخط الزمني القادم، لن يتذكر المحادثة التي أجراها للتو مع جي-وون حتى 16 أبريل 2019.

هذا إذا كان هناك خط زمني قادم أصلا.

يحط طائر قربه ويمكث ساكنا جدا، ينظر إليه.

تنهض مباني الجانب الشرقي الشمالي أعلى محيط المنتزه، وضوء المدينة أعلى بكثير مما ينبغي أن تكون - طلقات رصاص، صرخات، سارينات الدفاع المدني، سارينات سيارات الإطفاء والدوريات والإسعاف - تمتزج كلها في سيمفونية متنافرة.

تخطر بباله فكرة.

فكرة بشعة.

ماذا لو أن هيلينا ماتت في تلك الفترة البالغة أربعة أعوام ما بين 1986 و1990، قبل الوقت الذي كان من المفترض أن تجده فيه في بورتلاند؟ هل يمكن أن يعتمد مصير الواقع نفسه بالفعل على عدم تعرض شخص واحد لصدمة عشوائية من حافلة؟

أو ماذا لو قررت ألا تفعل أيًا من هذا؟ فقط أن تعيش حياتها ولا تبني الكرسي قط وتترك العالم يدمر نفسه؟ سيكون من الصعب لومها، لكن سيعني هذا أن تحول الواقع التالي سيكون من اختيار شخص آخر. أو لن يحدث أي تحول على الإطلاق لو قضى العالم على نفسه بنجاح.

المباني من حوله والملعب المفتوح والأشجار كلها تتوهج بأسطح بيضاء رآه باري في حياته - أسطح حتى من دينفر.

ليس هناك من صوت.

يخبو الوهج بالفعل، وفي محله تأتي نار جهنم مندفعة نحوه عبر الجانب الشرقي الشمالي، حرارة شديدة بشكل لا يطاق، لكن فقط لمدة النصف ثانية التي تتطلبها لتحرق أطراف الأعصاب في وجه باري.

من بعيد، يرى الناس يعدون عبر الملعب، محاولين النجاة من لحظتهم الأخيرة.

ويتهياً لأن يتلعه جدار النار والموت العكر بلون الحمم البركانية بينما ينتشر عبر سنترال بارك، لكن موجة الصدمة تضرب أولاً، قاذفة إياه فوق المرج بمعدل سرعة لا يمكن تخيله لكنه يتباطأ.

يتباطأ.

يتباطأ.

لكن ليس فقط هو.

كل شيء.

يحتفظ بالوعي بينما يتباطأ هذا الخط الزمني حتى يصل إلى التوقف التام، تاركاً إياه معلقاً على ارتفاع ثلاثين قدماً من الأرض ومحاطاً بالحطام الذي أنت به موجة الصدمة - قطع من الزجاج والصلب، سيارة شرطة، أناس بوجوه منصهرة.

توقفت كرة النار على بعد ربع ميل، في منتصف الطريق عبر نورث ميدو، وتوقفت المباني في كل مكان حوله في لحظة التبخر - الزجاج، الأثاث، المشتعلات، الناس، كل شيء ما عدا الإطارات الفولاذية المنصهرة يتفجر مثل عطسة - وسحابة الموت الوشيك المرتفعة فوق مدينة نيويورك من نقطة الاصطدام تتوقف بعد ميل من صعودها في السماء.

يبدأ العالم في فقد الألوان، ورؤية كل شيء مجمداً بينما ينزف الوقت منه تشعل عقله بالأسئلة...

إذا كانت المادة لا تفنى ولا تُستحدث من العدم، أين ستذهب كل هذه المادة عندما يتوقف هذا الخط الزمني عن الوجود؟ ماذا حدث للمادة من كل الخطوط الزمنية التي تركوها خلفهم؟ هل هي محفوظة في كبسولات زمنية بعيداً في أبعاد أعلى لا يمكن الوصول

إليها؟ وإذا كان الأمر كذلك، ماذا تكون المادة دون الزمن؟ المادة التي لا تبقى؟ ماذا ستكون عليه حتى؟

يأتيه إدراك واحد آخر قبل أن ينقذف وعيه من هذا الواقع المحتضر - هذا التباطؤ للزمن يعني أن هيلينا قد تكون حية في مكان ما، تموت داخل الحوض في هذه اللحظة نفسها كي تقتل هذا الخط الزمني وتبدأ خطأ آخر.

وتسري بداخله ومضة من الفرح مع احتمال أنها حية، والأمل في أنه خلال هذا الواقع القادم - حتى لو فقط للحظة - سيكون معها مرة أخرى.

باري متمدّد على الفراش في ظلمة خفيفة لحجرة باردة. وعبر نافذة مفتوحة، يمكنه سماع مطر خفيف يتساقط. ينظر في ساعته - 9:30 مساءً. توقّيت غرب أوروبا. يسبق توقّيت مانهاتن بخمس ساعات.

يتطلّع إلى زوجته طوال أربعة وعشرين عاماً، تقرأ بجواره في السرير.

يقول: "الساعة التاسعة والنصف".

في حياتها السابقة، صعدت إلى حوض العزل في حوالي الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة مساءً، بالتوقيت الشرقي، لذا فهما يقتربان سريعاً من ذكرى الخط الزمني الخامس ليوم 16 أبريل 2019.

في هذه اللحظة، منظور باري هو أنه قد عاش عمراً واحداً. هذا العمر. اقتحمت هيلينا باب حياته عندما كان في الواحدة والعشرين في بار بورتلاند، ولم يفترقا قط من وقتها. بالطبع، هو يعرف كل شيء عن حيواتهما الأربع السابقة معاً. عملهما. حبهما. كيف ينتهي الأمر

دائماً بموتها في حوض العزل يوم 16 أبريل 2019، عندما يتذكر العالم وجود كرسي الذاكرة وكل الرعب الذي صنعه. قضيا الخط الزمني السابق متفرقين. مكثت قريباً من والديها في بولدر، وصنعت الكرسي بنفسها، واستخدمته لتحسين نوعية حياة أمها بعد أن تمكن منها الألزهايمر. لكنها لم تحقق أي تقدم قط في منع هجوم الذكريات الميئة، التي تُقسم أنها ستعثر عليه في أي لحظة الآن. لا تعرف ماذا فعل باري بحياته الماضية، ولا هو يعرف.. حتى الآن. في هذه الحياة، استكملا سعيهما لفهم كيف يتعامل المخ مع الذكريات الميئة، وخاضا أعمق في دراسات فيزياء الجسم المتعلقة باستخدام الكرسي. بل وأقاما بضع علاقات بأشخاص في مختبر (سيرن)، يأملان في استخدامها في الخط الزمني التالي.

لكن الحقيقة هي أنهما، كما هو الحال في التكرارات السابقة من حياتهما، لم يحققا أي تقدم ذي معنى نحو منع ما هو على وشك أن يحدث. فهما في الأخير ليسا إلا شخصين اثنين، والمشكلة التي يواجهانها معقدة على نحو هائل. ربما لا يمكن التغلب عليها.

تغلق هيلينا كتابها وتتطلع إلى باري. ضجة المطر المطلق على الألواح الخشبية لقصر الإقطاعي من القرن السابع عشر الذي يسكنه ربما يكون صوته المفضل في العالم.

تقول: "أخشى أنه عندما تأتي ذكرياتك من الخط الزمني الماضي، ستشعر وكأنني قد هجرتك. كأنني خدعتك. لم أقض الخط الزمني الماضي معك، لكن هذا ليس لأنني لم أحبك أو أحتاجك. أمل أنه يمكنك سماع هذا. فقط أردت لك أن تعيش حياة لا يلوح فيها شبح نهاية العالم، وأمل أنها كانت حياة طيبة. أمل أن تكون قد وجدت الحب. فأنا لم أجده. افتقدتك كل يوم. احتجت إليك كل يوم. كنت أكثر وحدة مما كنت على الإطلاق في حيواتي الكثيرة."

"أنا متأكد أنك فعلت ما كنت بحاجة لفعله. أعلم أن هذا بالقطع أصعب عليك مما هو عليّ."

ينظر إلى ساعته بينما يتغير الوقت من 9:34 إلى 9:35.

لقد أخبرته بكل شيء سيحدث. الصداق، والفقدان المؤقت للوعي والسيطرة. كيف سيبدأ العالم على الفور في التداعي والانحيار. ومع ذلك هناك جزء منه مازال لا يمكنه أن يصدق تماماً أن هذا سيحدث. ليس الأمر ظناً منه بأن هيلينا تكذب. لكن من الصعب تخيل أن أزمات العالم يمكنها الوصول إليهما هنا.

يشعر باري ببارقة ألم خلف عينيه.

حادة وتغشي الأبصار.

يتطلع إلى زوجته. "أعتقد أنها بدأت."

قبل منتصف الليل، يكون هو باري ذا الأعمار الكثيرة، رغم أن الحياة السابقة - في مدينة نيويورك، هي للغرابة آخر ما يصل إليه. ربما لأن هناك الكثير للغاية منها، تأتي الذكريات ببطء أكبر من أي من ذكرى المرات السابقة.

ينهار باكيا في المطبخ من الفرحة لأن هيلينا عادت إليه، وتجلس على حِجره عند المائدة الصغيرة وتقبل وجهه وتمرر أصابعها في شعره وتخبره كم هي آسفة، واعدة إياه أنها لن تتركه أبدا مرة أخرى.

"اللعة.." يقول باري: "فقط تذكرت."

"ماذا؟"

يرفع عينيه ناظرا إلى هيلينا. "كنتُ على حق. هناك طريقة للخروج من هذه الحلقة الأبوكاليبسية. لقد عرف سليد كيف يوقف الذكريات الميتة."

"عم تتحدث؟"

"بحثت عن سليد في الإنترنت خلال اللحظات الأخيرة من الخط الزمني السابق. كان قد مات في الكريسماس السابق، لكنني تحدثت إلى جي-وون. قال إن سليد قد عاد وبدأ خطأ زمنيا جديدا لم يسبب أي ذكريات ميتة عند لحظة ذكرى تكراره."

"يا إلهي! كيف؟"

"لم يعرف جي-وون. أغلق الخط معي، وبعد ذلك انتهى العالم."

تصفر غلاية الشاي.

تتجه هيلينا إلى الموقد وترفع الغلاية عن الحرارة، ثم تصب الماء المغلي على كوبيهما لصنع الشاي والمزودين بمصفاة خاصة لكل واحد. يقول باري: "في الخط الزمني التالي، وحتى نبلغ الذكرى السنوية، لن أتذكر أيا من هذا. عليك أن تحملي هذه المعرفة معك."

"سأفعل."

يسهران طوال الليل، وفقط عندما ينبلج النهار يجروآن على تشغيل الأخبار. هذه أطول مرة على الإطلاق يتركان فيها خطأ زمنيا يستمر بما يتجاوز نقطة ذكرى التكرار. يبدو كما لو أنه قد تم إطلاق كل الأسلحة النووية الموجودة على الكوكب، وضربت كل مدينة كبرى في الولايات المتحدة وروسيا والصين. حتى مناطق التجمعات الكبرى لحلفاء الولايات المتحدة جرى استهدافها، بما في ذلك لندن وباريس وبرلين ومدريد. كانت أقرب ضربة لهيلينا وباري هي جلاسجو، على

بُعد مائة وثمانين ميلاً إلى الجنوب. لكنهما أمانان حتى الآن. حيث يأخذ التيار النفاث⁽¹⁾ الغبار النووي شرقاً إلى إسكندنافيا.

ينطلقان عند الفجر عبر الساحة الخلفية ليضع باري هيلينا في حوض العزل. اشترى هذه العزبة منذ خمسة عشر عاماً وجددا كل شبر فيها. المنزل عمره أكثر من ثلاثمائة عام، وتطل الحقول المحيطة به على بحر الشمال، حيث يحيط بشبه الجزيرة عند ذراع (كرومارتي فيرث)، وفي الاتجاه المقابل؛ جبال المرتفعات الأسكتلندية الشمالية.

لقد أمطرت طوال الليل؛ فكل شيء يقطر ماء.

ما زالت الشمس أسفل البحر، لكن السماء مليئة بالضوء. رغم الفظائع في الأخبار، إلا أن كل شيء يبدو عادياً بشكل صادم. الأغنام ترقبهما من المراعي. الهدوء البارد. رائحة التربة المبتلة. الطحالب على الجدران الحجرية. وقع أقدامهما على الممشى المفروش بالحصى.

يتوقفان عند مدخل المضيقة، التي حولها إلى مختبرهما، ويلتفت كلاهما إلى المنزل الذي قضيا فيه حياتهما، والذي لن يرياه مرة أخرى قط. من بين كل الأماكن التي جعلوها بيتاً لهما معاً، من بين كل الأعمار، كان هذا أكثر بيت أحبه باري.

يقول: "لدينا خطة، أليس كذلك؟"

"نعم."

يقول: "سأنزل معك.."

(1) التيار النفاث أو التيار المنطلق عبارة عن تدفق للهواء بصورة أفقية تقريباً وبسرعة عالية جداً، وذلك في أعالي التروبوسفير، ويتخذ هذا التيار شكل حزمة ضيقة سمكها يزيد عن 1000 م وعرضها يتراوح بين 500-650 كم، وسرعة تدفق الهواء تتراوح بين 150-500 كم في الساعة وأحياناً أكثر.

"لا، لماذا لا تذهب لتطل على الحقول حتى ينتهي الأمر؟ أنت تحب ذلك المنظر."
"متأكدة؟"

"متأكدة. هكذا أريد أن أتركك في هذه الحياة."
نُقبله.

مكتبة
t.me/t_pdf

يمسح دموعها.

في الحياة التالية، يسير باري مع هيلينا في اتجاه الإسطبل. هواء الليل عذب، والتلال المتموجة المحيطة بواديهما تلمع أسفل النجوم.
تسأله: "لا شيء بعد؟"
"لا."

يبلغان الباب في الحظيرة ذات الهيكل الخشبي ويدخلان، عبر حجرة سروج، وبعد ذلك عبر ممر من المرباط الشاغرة التي لم تأو خيولا لأكثر من عقد.

المدخل مخفي خلف زوج من الأبواب الزلاّقة. تُدخل هيلينا الشفرة، ويهبطان السلم الحلزوني إلى قبو عازل للصوت.

الصومعة مطوقة من جانبين بحائطين حجريين، ومن الجانبين الآخرين بألواح من الزجاج فائق القوة المثقوب بفتحات للتهوية. وداخل الصومعة، هناك مرحاض، ودُش، ومنضدة صغيرة، وسرير يرقد فوقه ماركوس سليد.

يغلق الكتاب الذي كان يقرأه وينهض واقفا، محدقا في خاطفيه.

في هذا الخط الزمني، جعلتا بيتهما في ريف مقاطعة مارين، على بعد ثلاثين دقيقة شمال سان فرانسيسكو، كي يكونا قريبين من سليد

ويستعدا لهذه اللحظة بالضبط. اختطفاه قبل أن يتمكن من الإفراط في الشرب في الكريسماس الأخير، وجلباه عائدين إلى مزرعة الخيول. استيقظ سليد في هذه الصومعة أسفل الحظيرة، حيث احتجراه من وقتها.

يجذب باري مقعدا ناحية الزجاج ويتخذ مجلسه.

تذرع هيلينا محيط الصومعة.

سليد يراقبهما.

لم يخبراه لم هو هنا. ولا عن الخطوط الزمنية السابقة أو كرسي الذاكرة. لا شيء.

ينهض سليد من فوق طرف السرير ويقرب من الزجاج. يحدق في باري، وهو يرتدي بنطالا رياضيا، ولا يرتدي قميصا. لحيته مشعثة، وشعره ملبد غير مغسول، وعيناه خائفتان وغاضبتان في نفس الوقت. وبينما يراقبه باري عبر الزجاج، لا يملك إلا أن يشعر بالشفقة تجاه الرجل، رغم ما فعله في خطوط زمنية أقدم. ليس لديه فكرة عن سبب وجوده هنا. لقد أقسم له باري وهيلينا في مناسبات عديدة أنهما لا يمتلكان أي نوايا لإيذائه، لكن لا شك أن هذه التطمينات بدت خاوية.

للحق، كان باري غير مرتاح بعمق تجاه ما يفعلانه. لكن بين معرفة هيلينا المسبقة وبنائها لكرسي الذاكرة بقدراته المستحيلة، هو يثق في زوجته على نحو مطلق. حتى عندما أخبرته أنهما بحاجة لاختطاف رجل اسمه ماركوس سليد قبل أن يموت من جرعة مخدر زائدة في شقته ذات الدور العلوي بحي دوجباتش.

"ماذا؟" يسأل سليد. "هل جئتما أخيرا إلى هنا كي تخبراني لماذا تفعلان هذا؟"

"في غضون لحظات.." تقول هيلينا "ستفهم كل شيء."

"ماذا يعني هذا بحق اللعنة..."

يسيل الدم من أنف سليد. يترنح عائدا إلى الوراء، ممسكا بصدغيه، ووجهه ملتوٍ في ألم، والآن يضرب ألم طاعن خافق خلف عينيّ باري، جاعلا إياه ينثني فوق المقعد.

لقد حلت ذكرى الخط الزمني، ويئن الرجلان بينما تبدأ الأعمار السابقة في اللحاق بهما.

سليد جالس الآن على طرف فراشه. ذهب الخوف من عينيه. حتى لغة جسده تغيرت لتعكس ثقة داخلية ورباطة جأش لم تكن موجودة من قبل.

يبتسم، ويومئ برأسه.

يقول: "باري.. من اللطيف رؤيتك مرة أخرى يا هيلينا."

باري يترنح. أن يقال له ما حدث في كل تلك الخطوط الزمنية الأخرى شيء، وشيء آخر تماما أن تأتيه ذكريات ابنته الميتة ومشاهدة العالم يدمر نفسه مرة بعد مرة. أو الموت في وسط منتزه سنترال بارك بينما تضربه موجة الصدمة. لا يذكر الخط الزمني الأخير بعد. لقد أخبرته هيلينا أنه حدث في أسكتلندا، حيث من الواضح أنه جاء بهذه الفكرة، لكن الذكريات تجيء ببطء كقطرة في أنبوب وريدي.

ينظر باري إلى سليد ويقول: "هل تذكر فندقك في مانهاتن؟"

"بالطبع."

"هل تذكر الليلة التي مت فيها هناك؟ ما قلته لهيلينا قبلها مباشرة؟"

"قد أحتاج إلى القليل من الإنعاش حول هذا."

"أخبرتها أن الذكريات الميئة من الخطوط الزمنية الأقدم يمكن إبطالها لو عرفت كيف تسافر بالطريقة التي سافرت أنت بها." "آه." ويتسم سليل مرة أخرى. "لقد بنيتما أنتما الاثنان كرسيكما الخاص."

تقول هيلينا: "بعد أن متَّ في فندقك، جاءت (داربا) وأخذت كل شيء. كانت الأمور طيبة في البداية، لكن يوم 16 ابريل 2019، منذ ستة خطوط زمنية اليوم، اندلعت التكنولوجيا في البرية. كانت هناك مقاعد ذاكرة تُستخدم في كل مكان في العالم. ونُشرت التخطيطات على ويكيليكس. بدأ الواقع في التحول بشكل مستمر. عدت إلى الوراء ثلاثة وثلاثين عاما كي أبدأ خطأ زمنيا جديدا، حتى تكون لديّ فرصة كي أجد طريقة لإيقاف الذكريات الميئة. لكنها تأتي دائما. العالم يتذكر الكرسي دائما، مهما نفعل."

"إذاً أنت تبحثين عن طريقة للخروج من هذه الحلقة؟ إعادة ضبط؟"

"نعم."

"لماذا؟"

"لأن ما أخبرتك أنه سيحدث حدث بالضبط. لقد انفتح صندوق باندورا على مصراعيه. ولا أعرف كيف أغلقه."

يتوجه سليل إلى الحوض، ويرش وجهه بالماء.

ويعود ليقترّب من الزجاج.

تسأله هيلينا: "كيف نوقف الذكريات الميئة؟"

"لقد قتلتيني في حياة. وخطفتيني في أخرى. لذا دعيني أسألك -
لماذا سأساعدك؟"

"لأنه ربما مازال لديك ذرة من شرف؟"

"تستحق البشرية فرصة للتطور بما يتجاوز سجن الزمن. تستحق
فرصة لتقدم حقيقي. كان عمل حياتك هو الكرسي. أما تقديمه
للبشرية فكان عمل حياتي."

يشعر باري بموجة من الغضب تجتاحه.

يقول: "ماركوس، اسمعني.. ليس هناك أي تقدم يحدث. الآن حالاً،
يتذكر العالم وجود كرسي الذاكرة؛ وهذه الذكريات المبتة ستطلق
نهاية نووية للعالم."

"لماذا؟"

"لأن أعداءنا يعتقدون أن الولايات المتحدة تحور التاريخ."

"أتعرف كيف يبدو هذا لي؟" يسأله سليد. "هراء."

ينهض باري ويتحرك نحو الزجاج. "لقد رأيت ما يكفي من الرعب
لألف عمر. قُتلنا أنا وهيلينا تقريباً في دينفر عندما ضربتها الصواريخ.
رأيت مدينة نيويورك تتبخر. مئات الملايين من الناس لديهم أربع
مجموعات مختلفة من الذكريات عن موتهم في محرقة نووية."

تنظر هيلينا إلى باري وترفع الهاتف. "لقد جاء التنبيه للتو. عليّ
أن أدخل المختبر."

يقول باري: "فقط انتظري لحظة.."

"نحن قريبان من سان فرانسيسكو أكثر من اللازم. لقد تحدثنا
عن هذا."

يحدق باري بغضب في سليد عبر الزجاج. "ما هي تلك الطريقة الخاصة للسفر؟"

يأخذ سليد خطوة إلى الوراء ويجلس ببطء على طرف الفراش.

يقول باري: "لقد عشت ما يقرب من سبعين عاما كي أسألك هذا السؤال، وأنت فقط ستحدق في الأرض؟"

يشعر بهيلينا تلمس كتفه. "عليّ أن أذهب."

"انتظري."

"لا أستطيع. أنت تعرف هذا. أحبك. سأراك في قاع العالم. ستستمر في مطاردة الثقوب الدودية المجهرية. أظن أن هذا هو كل ما يمكننا فعله، أليس كذلك؟"

يلتفت باري ويُقبلها. تهرع صاعدة السلم الحلزوني، ووقع أقدامها يدوي على الدرجات المعدنية.

ثم لا يكون إلا باري وسليد في القبو.

يُخرج باري هاتفه، ويُري سليد تنبيه الطوارئ، القائل بوجود صواريخ باليستية موجهة إلى أهداف عديدة في الولايات المتحدة.

يبتسم سليد. "كما قلت، قتلتنني، وخطفتني، وربما تكذب عليّ الآن..."

"أقسم أنني أخبرك بالحقيقة."

"أثبت ذلك. اعطني دليلا أن هذا ليس تنبيها زائفا يمكنك أن تجعله يُرسل إلى هاتفك. دعني أرى ذلك بعينيّ أو اذهب إلى الجحيم."

"ليس لدينا وقت."

"لديّ كل ما في العالم من وقت."

يتوجه باري إلى الباب الزجاجي في الصومعة، يُخرج المفتاح ويفتح القفل.

"ماذا؟" يسأله سليد. "أعتقد أن بإمكانك الحصول على السر عن طريق ضربي؟"

بالتأكيد لا يود باري شيئاً أكثر من أن يخبط رأس سليد في الحائط الحجري حتى لا يبقى منها شيء.

يقول باري: "هيا نذهب.."

"أين؟"

"سنشاهد نهاية العالم معاً."

يصعدان السلم، ويمران بالمرابط، ويخرجان من الحظيرة، ويتسلقان عبر العشب الطويل لأحد التلال حتى يكونا في موضع عال فوق المزرعة.

القمر عال في السماء، يسطع بنوره على الريف. إلى الغرب، على مبعدة عدة أميال، يتلأأ الامتداد المظلم للمحيط الهادي.

أضواء منطقة خليج سان فرانسيسكو تلمع إلى الجنوب.

يجلسان في صمت للحظة.

ثم يسأل باري: "ما الذي جعلك تقتل هيلينا في ذلك الخط الزمني الأول؟"

يتنهد سليد. "كنت لا شيء. نكرة. كنت لأمضي كالسائرين نياماً عبر الحياة. وعندئذ قُدمت لي هذه... المنحة بفرصة. لأن لأقوم بالأمر كله مرة أخرى من جديد. فلتظن ما تشاء بي، لكنني لم أحتفظ بالكروسي لنفسي."

تنفجر كرة من الضوء الأبيض الساخن قرب جسر جولدن جيت، مضيئة السماء والبحر بشكل أكبر من أسطح ظهيرة. ضوء مغش للأبصار حتى أن باري لا يملك إلا أن يشيح بناظريه بعيدا. وعندما يلتفت من جديد، يجد موجة الصدمة تنتشر عبر الخليج ومنتزه بريسيديو، ممتدة نحو حي المال والأعمال.

مع انفجار رأس صاروخ ثان فوق مدينة بالو ألتو، ينظر باري إلى سليد. "كم من الناس تعتقد ماتوا للتو في هذه الومضة التي دامت جزءا من الثانية؟ وكم سيعاني عدد أكبر من موت معذب نتيجة التسمم الإشعاعي خلال الساعات القليلة التالية إذا لم تعد هيلينا ضبط هذا الخط الزمني؟ ما يحدث لسان فرانسيسكو يحدث في كل أنحاء أمريكا. وللمدن الكبرى لحلفائنا. ونحن نفرغ ترسانتنا فوق روسيا والصين. هذا هو ما قادنا إليه حلمك العظيم. وهذه هي المرة الخامسة التي يحدث فيها ذلك. فكيف تجلس هناك فقط عارفا أن دماء كل هؤلاء الناس في عنقك؟ أنت لا تساعد البشرية على التطور يا ماركوس. أنت تعذبنا. لا يوجد أي مستقبل لجنسنا بعد هذا."

وجه سليد جامد بينما يشاهد برجين من النار يصعدان في السماء كشعلتين. شبكات الإضاءة لسان فرانسيسكو وأوكلاند وسان خوسيه أظلمت، لكن المدن تحترق بطيئا بدخانها مثل بقايا نار تموت. يصل إليهما الانفجار الارتجاجي لرأس الصاروخ الأول، وعلى هذا البعد، يبدو مثل مدفع تتردد أصداؤه من جوانب التلال. ويجعل الأرض ترتعش أسفلهما.

يحك سليد ذراعيه العاريين. "عليكما أن تعودا إلى ما حدث أولاً."

"حاولنا ذلك، مرات عديدة. عادت هيلينا إلى عام 1986..."

"توقف عن التفكير بطريقة خاطئة. ليس إلى بداية هذا الخط الزمني. ولا حتى الخمسة أو الستة السابقة. عليكما أن تعودا إلى الواقعة التي بدأت كل هذا، وتلك موجودة في الخط الأصلي."

"الخط الزمني الأصلي موجود فقط في ذكرى ميتة."

"بالضبط. عليكما أن تعودا وتعيدا تشغيلها. تلك هي الطريقة الوحيدة لمنع الناس من التذكر."

"لكنك لا تستطيع أن ترسم خريطة ذكرى ميتة."

"هل حاولت؟"

"لا."

"سيكون أصعب شيء فعلته على الإطلاق. ربما ستفشل، وهو ما يعني أنك ستموت. لكنه ممكن."

"كيف تعرف؟"

"اكتشفت هيلينا كيف تفعلها على منصة النفط خاصتي."

"هذا ليس صحيحا. لو كانت قد فعلت هذا، لكنا..."

يضحك سليد. "حاول أن تتابع هنا يا باري. كيف تعتقد أني أعلم أنها تفلح؟ بمجرد أن اكتشفنا التكنيك، استخدمته. عدت إلى ذكرى ميتة وأعدت ضبط الخط الزمني قبل أن تكتشف هي الأمر بالضبط." يطرق أصابعه. "و، بوم، مسح ذكرياتها عن الاكتشاف. ذكرياتها وذكريات كل شخص آخر."

"لماذا؟"

"لأن أي شخص عرف كان يمكنه أن يفعل بالضبط ما تقترحه الآن. كان بمقدورهم أن ينتزعوا الكرسي مني، أن يجعلوه وكأنه لم يكن موجودا قط." ينظر في عيني باري مباشرة، وضوء النيران القادم

من المذن المحترقة يلتمع في بؤبؤيه. "كنت لا شيء. مدمن مخدرات. ضاعت حياتي. جعلني الكرسي شيئا مميزا. أعطاني فرصة كي أفعل شيئا سيغير مسار التاريخ. لم يكن بمقدوري أن أجازف بكل هذا." يهز رأسه ويتسم. "وهناك أناقة ما في الحل، ألا تظن ذلك؟ أن تستخدم الاكتشاف ليمحو نفسه."

"ما الواقعة التي بدأت كل هذا؟"

"قتلت هيلينا يوم 5 نوفمبر 2018، في الخط الزمني الأصلي. ارجع إلى أقرب ما يمكنك من هذا التاريخ... وامنعني."
"كيف يمكننا..."

ومضة ضوء أخرى، إلى الجنوب بمائة ميل، تشعل البحر كله.

"اذهب.." يقول سليد. "إذا لم تنجح في الوصول إلى هيلينا قبل أن تموت في الحوض، لن تتذكر ما أخبرتك إياه للتو حتى الخط التالي من..."

وينهض باري ويجري، هابطا التل بأقصى سرعته نحو البيت الأساسي، باحثا عن هاتفه الخلوي في جيبه حتى يخرج، يقع، ويعود زاحفا ليقف على قدميه، ويتصل أخيرا برقم هيلينا.

يرفع الهاتف إلى أذنه بينما يعدو نحو أضواء بيتهما.

يرن.

يرن.

تصله الموجة الصوتية من الانفجار الثاني.

مازال الهاتف يرن.

ويؤدي به إلى البريد الصوتي.

يلقي به أرضاً عندما يصل إلى مستوى الأرض، والعرق يلسع عينيه،
والبيت أمامه مباشرة.

يصرخ: "هيلينا! انتظري!"

البيت منزل ريفي ضخم مشيد بمحاذاة جدول يتلوى عبر الوادي.

يعدو باري صاعداً درجات الشرفة الأمامية ويندفع عبر الباب
الأمامي، صارخاً باسم هيلينا بينما يسابق نفسه عبر حجرة المعيشة،
مصطدماً بمائدة وموقعاً بكوب من الماء يتهشم على البلاط.

ثم يقطع ممر الجناح الشرقي، ماراً بالجناح الرئيسي، متجهاً نحو
آخر البيت، حيث تُرك باب القبو المؤدي إلى المختبر مفتوحاً.

"هيلينا! توقف!"

يطوي السلام طياً هابطاً نحو المختبر تحت الأرض الذي يأوي
كرسي الذاكرة وحوض العزل. لديهما الإجابة. أو على الأقل شيء
يجربانه ولا يتطلب ثلاثة وثلاثين عاماً أخرى. النظرة التي كانت على
وجه سليد، المتوهج في ضوء الحرائق النووية البعيدة، لم تكن نظرة
لرجل يكذب؛ بل لرجل بدأ يتفهم فجأة ما فعله. الألم الذي سببه.

يهبط باري من الدرجة الأخيرة داخل المختبر. هيلينا غير ظاهرة
للعين في أي مكان، وهو ما يعني أنها بالفعل في حوض العزل. وتؤكد
هذا شاشات البوابة الحاسوبية، حيث تومض إحداها برسالة باللون
الأحمر: تم الكشف عن إطلاق ثنائي ميثيل التريبتامين.

يصل إلى حوض العزل، ويضع يديه على الغطاء ليرفعه...

يبتطن العالم من سرعته حتى يتوقف.

يفرغ المختبر من ألوانه.

يصرخ باري من داخله، عليه أن يمنع هذا من الحدوث، فلديهما الإجابة.

لكنه لا يستطيع أن يتحرك، لا يستطيع أن يتكلم.
هيلينا رحلت، وكذلك رحل هذا الواقع.

يغدو واعيأ أنه راقد على جانبه في ظلمة تامة.
ينهض جالسا، وتحفز حركة باري لوح إضاءة أعلاه، خافتا في البداية، ثم يسطع ببطء، مُظهرا إلى الوجود حجرة صغيرة بلا نوافذ تضم السرير وخزانة ومنضدة سرير.
يلقي بالبطاطين عنه ويهبط من السرير، واقفا مترنحا.
يذهب إلى الباب ويخطو خارجا إلى رواق مقفر. بعد خمسين قدما، يتفرع إلى شريان أساسي يصل إلى هذا الممر وثلاثة آخرين بينما ينفتح أيضا على الجانب الآخر مؤديا إلى حجرة معيشة أسفل بطابق واحد.
يرى مطبخا كاملا.

طاولات بلياردو وتنس طاولة.
وتلفاز كبير توقفت شاشته على وجه امرأة. لديه معرفة غامضة بوجهها، لكنه لا يستطيع استحضار اسمها. تاريخ حياته كاملا يربض أسفل السطح فقط، لكنه لا يستطيع أن يقبض عليه تماما.
"أهلا؟"

يتردد صدى صوته عبر البناء.
ولا من مجيب.

يتوجه قاطعا الرواق الرئيسي، مارا بلافتة مثبتة على الحائط إلى جوار الفتحة المؤدية إلى الممر التالي.

الجناح 2 - المستوى 2 - المختبر

ولافتة أخرى.

الجناح 1 - المستوى 2 - المكاتب

ثم يهبط بعض الدرجات ويصل إلى المستوى الرئيسي.

هناك دھليز منحدر قليلا أمامه مباشرة تزايد البرودة فيه مع كل خطوة، ينتهي أخيرا عند باب يبدو معقدا بما يكفي ليوصد مركبة فضائية.

ثمة شاشة رقمية على الحائط بجواره تعرض أحوال الوقت الحالي على الجانب الآخر:

الرياح: شمالية شرقية بسرعة 56.2 ميلا في الساعة؛ 90.45 كيلومتر في الساعة

درجة الحرارة: -51.9 فهرنهايت؛ -46.6 درجة مئوية

برودة الرياح: -106.9 فهرنهايت؛ -77.2 درجة مئوية

الرطوبة: 27%

قدماء تتجمدان في الجورب، وهنا بالداخل تحمل الرياح أنينا كأنه صادر عن شبح عميق الصوت. يقبض على الرافعة المثبتة بالباب، واتباعا للتعليمات البصرية، يجذبها بقوة إلى أسفل وعكس حركة عقارب الساعة.

تتحرر سلسلة من الأقفال، وينعقب الباب ليتأرجح على مفصلاته.

يدفعه لينفتح، وتلفح وجهه أبرد هبة هواء واجهها من قبل بإحساس يتجاوز درجة الحرارة. كأنها أظافر تنشب في جلده. وعلى

الفور، يشعر بشعيرات أنفه تتجمد، وعندما يجذب نفسا، يغص بالألم منه وهو ينزلق في مريئه.

عبر النافذة المفتوحة، يرى ممرا يهبط بزاوية من المحطة إلى الغطاء الجليدي، والعالم متسربل بالظلام وبدوامات من إبر الثلج التي تلسع وجهه كالشظايا.

مدى الرؤية أقل من ربع ميل، لكن في ضوء القمر يمكنه فقط أن يميز أبنية أخرى في الجوار. سلسلة من خزانات أسطوانية كبيرة يظن أنها محطة لمعالجة المياه. برج متمايل إما أنه نوع من الروافع أو منصة حفر. تليسكوب مُنكَّس في مواجهة العاصفة. مركبات من أحجام متنوعة على مسارات متواصلة.

لا يمكنه تحمل الأمر أكثر من ذلك. يقبض على الباب بأصابع بدأت بالفعل في التصلب ويجذبه بقوة ليغلقه. تنعقد الأقفال. تنتقل الرياح من الصراخ إلى ذلك الأنين الدائم والشبحي.

يخرج من الدهليز وتحت أضواء المحطة الأصلية والتي يبدو أنها فارغة، يشتعل وجهه إذ يستيقظ مرة أخرى من أبسط لمسة لعضة الصقيع.

في هذه اللحظة، هو رجل بلا ذاكرة، والشعور بأنه جانح في الزمان عبارة عن رعب وجودي ساحق. أشبه بالاستيقاظ من نوم قلق، بينما مازالت الخطوط الفاصلة بين الواقع والحلم مشوشة وأنت تنادي على أشباح.

كل ما يتذكره اسمه الأول، وإحساس مشوش بنفسه.

في مساحة الجلوس حول التلفاز، يرى علبة دي في دي مفتوحة وجهاز تحكم عن بعد. يجلس على إحدى الأرائك، ويتناول جهاز التحكم، ويضغط زر التشغيل.

على الشاشة، تجلس المرأة بالضبط حيث يجلس، على كتفها فردت بطانية وعلى المنضدة أمامها كوب من الشاي يتصاعد منه البخار.

تبتسم للكاميرا وتزيح خصلة من الشعر الأبيض عن وجهها، يخفق قلبه لمراها.

"هذا شيء غريب." وتضحك بعصبية. "ينبغي أن تشاهد هذا يوم 16 أبريل 2019 - يومنا المفضل في التاريخ. لقد انتقل وعيك وذكرياتك للتو من الخط الزمني السابق. أو ينبغي أن يكون. مع كل تكرار جديد، تأتي ذكرياتك ببطء أكبر وأكثر عشوائية. أحيانا تفقد أعمارا كاملة. لذا صنعت هذا الفيديو - أولا لأخبرك ألا تخاف، لأنك ربما تتساءل لماذا أنت موجود في محطة أبحاث في أنتاركتيكا. وثانيا، لأنني أريد أن أقول شيئا لباري الذي يتذكر كل الخطوط الزمنية، الذي يختلف إلى حد كبير عن الرجل الذي أعيش معه الآن. لذا من فضلك، أوقفني حتى تصل ذكرياتك."

يوقف الفيديو.

الجو هادئ للغاية هنا.

لا شيء غير هدير الرياح.

يذهب إلى المطبخ، وبينما يصنع لنفسه كوبا من القهوة، يشعر بضيق في صدره.

ثمة عاصفة من المشاعر تلوح في الأفق.

تدق رأسه بشدة عند قاعدة جمجمته، ويفاجئه نزيف من الأنف.

كشفها البطيء عمن تكون.

شراء هذه المحطة القديمة للأبحاث في مطلع الألفية.

قاما بتجديدها، ثم طارا بالكروسي وأجزاء مكوناته إلى هنا بطائرة شارتر 737 علقت في هبوط مروع على مدرج الهبوط والإقلاع القطبي.

أحضرا معهما فريقا من علماء فيزياء الجسيمات كانا قد تحريرا عنهم على ما يبدو في خط زمني سابق، ولم يكن لديهم أي تصور عن الطبيعة الحقيقية لبحثهم. حفروا في دائرة قطر نواها 1.5 قدما وبعمق 8000 قدم في الغطاء القطبي وأنزلوا كاشفات ضوء عالية الحساسية لأكثر من ميل تحت الثلج. كانت أجهزة الاستشعار مصممة لكشف النيوتريونات، أحد أكثر الجسيمات غموضا في الكون. فالنيوتريونات لا تحمل أي شحنة، ونادرا ما تتفاعل مع المادة العادية، وتظهر عادة من (ولذلك تشير إلى) أحداث كونية مثل المستعر الأعظم⁽¹⁾ ونويات المجرة والثقوب السوداء. وعندما يتصادم نيوتريون مع ذرة على الأرض، يخلق جسيما يُسمى ميون، وهو يتحرك أسرع من الضوء في محيط صلب، جاعلا الثلج يبعث الضوء. هذه الموجات الضوئية التي تسببها الميونات المارة عبر الثلج الصلب هي ما يبحثون عنه.

(1) المُسْتَعِرُّ الأعظم هو حدث فلكي يحدث خلال المراحل التطورية الأخيرة لحياة نجم ضخم، حيث يحدث انفجار نجمي هائل يقذف فيه النجم بغلافه في الفضاء عند نهاية عمره، ويؤدي ذلك إلى تكون سحابة كروية حول النجم، وبراقة للغاية من البلازما، وسرعان ما تنتشر طاقة الانفجار في الفضاء وتتحول إلى أجسام غير مرئية في غضون أسابيع أو أشهر.

كانت نظرية باري، المنتقلة من خطوط زمنية أسبق، أنه إذا كانت الثقوب السوداء والثقوب الدودية متناهية الصغر تومض وتنطفئ في الوجود سريعاً عندما يولد وعي شخص ما من جديد في ذكرى أقدم، فإن كاشفات الضوء تلك ستسجل الموجات الضوئية التي تسببها الميونات التي تسببها النيوتريونات المنبعثة من الثقوب السوداء والمصطدمة بنوى الذرات الأرضية.

لم يصلوا إلى أي مكان.

لم يكتشفوا أي شيء.

عاد فريق فيزيائي الجسيمات إلى ديارهم.

ست أعمار يسعون فيها وراء فهم أعمق لكروني الذاكرة، وكل ما استطاعوا أن يفعلوه هو تأجيل المحتوم.

يتطلع إلى الشاشة، حيث تجلس هيلينا مجمدة في منتصف إيماءة.

الآن تأتي الذكريات الميتة للخطوط الزمنية الأسبق، حيواتهما في أريزونا ودينفر وعلى ساحل مين الوعر. حياته بدونها في مدينة نيويورك، حياتهما معا في أسكتلندا. لكن مازالت هناك فجوات. لديه ومضات من الخط الزمني الأخير قرب سان فرانسيسكو، لكنها غير كاملة - لا يمكنه تذكر آخر أيامه، عندما تذكر العالم.

يضغط زر التشغيل.

"إذاً تذكرت؟ طيب. السبب الوحيد في مشاهدتك لهذا هو أنني رحلت."

تنفست الدموع. إنه أغرب إحساس. في الوقت الذي يعلم باري ابن هذا الخط الزمني أنها ميتة، تشعر نسخ باري من الخطوط الزمنية الأسبق في نفس الوقت بألم فقدتها لأول مرة.

يتذكر اليوم الذي ماتت فيه، منذ ثمانية أسابيع. كانت قد أصبحت طفلة تقريبا قبل تلك اللحظة، بعد أن ذهب عقلها. كان عليه أن يطعمها، ويلبسها، ويحميها.

لكن كان هذا أفضل من الوقت الذي سبق هذه الفترة مباشرة، عندما كانت لديها وظائف معرفية باقية تكفي لإدراك حيرتها الكاملة. في لحظات صفاء تفكيرها، كانت تصف هذا الإحساس بأنها كالضائعة في غابة من غابات الأحلام - بلا هوية، بلا وعي بمتى أو أين كانت. أو بدلا من ذلك، تكون واثقة بشكل مطلق أنها في الخامسة عشرة من عمرها وما زالت تعيش مع والديها في بولدر، وتحاول أن تقيس محيطاتها الغريبة بإحساسها بالمكان والزمان والذات. وكثيرا ما تساءلت إن كان هذا ما أحست به أمها في عامها الأخير.

”هذا الخط الزمني - قبل أن يبدأ عقلي في التشقق - كان أفضلها جميعا. الأفضل في حياتي الطويلة للغاية. هل تذكر تلك الرحلة التي قمنا بها - أعتقد أنها كانت خلال حياتنا الأولى معا - لرؤية طيور بطريق الإمبراطور أثناء هجرتها؟ أتذكر كيف وقعنا في حب هذه القارة؟ في حب الطريقة التي تُشعرك بها وكأنك الشخص الوحيد في العالم؟ طريقة ملائمة بعض الشيء، أليس كذلك؟“ تنظر بعيدا عن الكاميرا وتقول: ”ماذا؟ لا تكن غيورا. ستشاهد هذا يوما ما. ستحمل المعرفة بكل لحظة قضيناها معا، كل السنوات المائة والأربع والأربعين.“

تعود للنظر إلى الكاميرا. ”يجب أن أخبرك يا باري، أنني لم أكن لأستطيع أن أتحمل كل هذا الوقت بدونك. لم أكن لأستمر في محاولة إيقاف المحتوم. لكننا نتوقف اليوم. كما تعرف قبل قليل من الآن، لقد فقدت القدرة على رسم خريطة الذكريات. مثل سليلد،

استخدمتُ الكرسي مرات أكثر من اللازم. لذا لن أعود. وحتى لو عدت أنت إلى نقطة في خط الزمن كان فيها وعيي شابا وغير منهك، لا توجد ضمانة أن بإمكانك إقناعي ببناء الكرسي. ولأي غاية؟ لقد جربنا كل شيء. الفيزياء، علم الأدوية، علم الأعصاب. بل إننا فشلنا في محاولتنا مع سليد. لقد حان الوقت كي نعترف بفشلنا ونترك العالم يمضي نحو تدمير نفسه، والذي يبدو أنه حريص على أن يفعلَه."

يرى باري نفسه يخطو داخل الكادر ويتخذ مجلسه إلى جوار هيلينا. يضع ذراعه حولها. وتشد نفسها إليه، واضعة رأسها على صدره. ياله من إحساس سريالي وهو يتذكر الآن ذلك اليوم عندما قررت أن تسجل رسالة لباري الذي سيندمج مع وعيه يوما ما.

"لدينا أربعة أعوام قبل يوم القيامة."

"أربعة أعوام وخمسة شهور وثمانية أيام.." يقول باري الذي على الشاشة. "لكن من سيحسب؟"

"سنقضي هذا الوقت معا. لديك هذه الذكريات الآن. أمل أن تكون جميلة."

وهي كذلك.

قبل أن ينهار عقلها تماما، قضيا عامين طيبين، عاشاهما متخففين من عبء محاولة منع العالم من التذكر. عاشا هذين العامين ببساطة وهدوء. تمشيات على الغطاء الجليدي لمشاهدة أضواء الشفق القطبي العجيبة. ألعاب وأفلام وطبخ هنا في الطابق الرئيسي. الرحلة من وقت لآخر إلى جزيرة نيوزيلندا الجنوبية أو إلى باتاجونيا. مجرد أن يكونا معا. ألف لحظة صغيرة، لكنها كافية لجعل الحياة تستحق العيش.

كانت هيلينا على حق. كانت أفضل سنوات حيواته أيضا.

تقول: "هذا غريب. أنت تشاهد هذا الآن، من المحتمل بعد أربعة أعوام من هذه اللحظة، رغم أنني واثقة من أنك ستشاهده قبل ذلك لترى وجهي وتسمع صوتي بعد أن أرحل."

هذا صحيح. لقد فعل هذا.

"لكن لحظتي تبدو حقيقية بالنسبة لي كما تبدو لحظتك لك. هل كلاتهما حقيقتان؟ هل هو وعينا فقط ما يجعلها كذلك؟ يمكنني تخيلك جالسا هناك بعد أربعة أعوام، رغم أنك إلى جواربي هنا في هذه اللحظة، في لحظتي، وأشعر كما لو كان بمقدوري أن أمد يدي عبر الكاميرا وأمسك. أتمنى لو أستطيع. لقد جربت أكثر من مائتي عام، وفي نهاية هذا كله، أعتقد أن سليل كان على حق. إن الطريقة التي ندرك بها الواقع والزمن من لحظة إلى لحظة هي مجرد نتاج لتطورنا. كيف نفرق بين الماضي والحاضر والمستقبل. لكننا غلّك ما يكفي من الذكاء كي نعي وجود الوهم، حتى ونحن نعيش به، وبالتالي؛ في لحظات مثل هذه - عندما يمكنني تخيلك جالسا بالضبط حيث أجلس، منصتا لي، محبا لي، مفتقدا لي - نتعذب نحن الاثنان. لأنني محبوسة في لحظتي، وأنت محبوس في لحظتك."

يمسح باري عينيه، وهو ينوء تحت الثقل العاطفي الكامل لآخر عامين معها، والشهرين اللذين قضاهما وحيدا. لقد انتظر فقط أن يمر بهذه الذكرى للخط الزمني السابع ليرى كيف يبدو شعور شخص له تواريخ عديدة. ليفهم نفسه بشكل تام. أن يخبروك بأنه كانت لك ابنة شيء، وأن تتذكر صوت ضحكها شيء آخر تماما. اللحظات الأولى لحملها. إن إجمالي اللحظات كلها أكثر مما يمكنه أن يتحمل.

"لا تعد من أجلي يا باري."

لكنه عاد بالفعل. في صباح اليوم الذي انقلب فيه مستيقظا ووجدها ميتة إلى جواره، استخدم الكرسي ليعود شهرا ليكون معها

وقتا أطول قليلا. ثم عندما ماتت، فعلها مرة أخرى. ومرة أخرى. قتل نفسه عشر مرات في الحوض كي يؤجل الصمت والوحدة الهائلين للحياة بدونها في هذا المكان.

تقول هيلينا: "والآن ها هو قد رحل عن هذا العالم الغريب قبلي بقليل. وهذا لا يعني شيئا. فالأشخاص الذين على شاكلتي، هؤلاء الذين يؤمنون بالفيزياء، يعرفون أن الفرق بين الماضي والحاضر والمستقبل ما هو إلا مجرد وهم مستمر بعناد. 'هذا ما قاله أينشتاين عن صديقه ميشيل بيسو. جميل، أليس كذلك؟ أعتقد أنه كان على حق."

باري الذي في الشاشة يبكي.

وباري ابن هذه اللحظة يبكي.

"كنت لأقول إن الأمر كان يستحق أن أُنبي بالصدفة كرسيا مدمرا للعالم لأنه أتى بك إلى حياتي، لكن ربما تكون هذه صيغة سيئة. لو استيقظت يوم 16 أبريل 2019، ولم يتذكر العالم بطريقة ما وينهار، أتمنى أن تكمل بدوني وتعيش حياة رائعة. أبحث عن سعادتك. لقد وجدتها معي، وهو ما يعني أنها ممكنة التحقيق. أما لو تذكر العالم، فقد فعلنا ما بمقدورنا، وإذا شعرت بالوحدة في النهاية يا باري، اعلم أني معك. ربما ليس في لحظتك. لكني في هذه اللحظة. يا قلبي."

تُقبل باري الذي إلى جوارها وتلقي بقبلة إلى الكاميرا.

تظلم الشاشة.

يفتح نشرة الأخبار، ويشاهد لمدة خمس ثوان قارئنا متوترا للأخبار على قناة بي بي سي يقول أن كتلة اليابس الأساسية للولايات المتحدة

قد تعرضت للضرب بعدة آلاف من رؤوس الصواريخ النووية، وبعد ذلك يغلق التليفزيون.

يقطع باري الدهليز، نحو الباب الذي يبقيه محميا من البرد القاتل.

لديه الآن ذكرى قديمة لجوليا. فيها جوليا شابة، وكذلك هو. ميجان موجودة، وهم يخيمون عند بحيرة (دمعة الغيوم)، عاليا في جبال آديرونداك.

تبدو اللحظة قريبة بما يكفي للمسها. رائحة الأشجار دائمة الخضرة. صوت ابنته. لكن ألم الذكرى يعلق كغيمة سوداء في صدره. مؤخرا كان يقرأ الفلاسفة والفيزيائيين العظام. من أفلاطون إلى أرسطو. من زمن نيوتن المطلق إلى نسبية أينشتين. تطفو على السطح حقيقة واحدة من كل هذا الخليط من النظريات والفلسفات - لا أحد يملك مفتاح السر. قالها القديس أوغسطين بطريقة نموذجية قديما في القرن الرابع: "ما هو الزمن إذًا؟ إذا لم يسألني أحد، فأنا أعرف. وإذا أردت أن أشرحه لهذا الذي يسأل، لا أعرف."

في بعض الأيام، يبدو أشبه بنهر يتدفق بجواره. وفي أيام أخرى، يشبه شيئا ينزلق هو على سطحه. أحيانا، يبدو وكأنه قد حدث كله بالفعل، وهو فقط يمر بشرائح تدريجية، من لحظة إلى أخرى، ووعيه مثل إبرة في لفات أسطوانة موجودة بالفعل - بداية، ووسط، ونهاية. وكأن اختياراتنا، وأقدارنا، مثبتة منذ أول أنفاسنا.

يفحص الشاشة على الباب:

الرياح: هادئة

درجة الحرارة: -83.9 فهرنهايت، -64.4 درجة مئوية

برودة الرياح: -83.9 فهرنهايت، -64.4 درجة مئوية

الرطوبة: 14%

لكن في ليلة مثل هذه، ليلة عقل لا يقر له قرار وأحلام بأشباح، يبدو الوقت ثانويا بالنسبة للمحرك الأساسي الحقيقي - الذاكرة. ربما الذاكرة هي الأساسية، الشيء الذي ينبثق منه الزمن.

لقد ولى ألم الذكرى، لكنه لا يحمل ضغينة ضد زيارته. لقد عاش طويلا بما يكفي كي يعرف أن الذكرى تؤلم لأنه منذ سنوات عديدة، في خط زمني ميت، مر بلحظة رائعة.

لا يهم ما الوقت. لأنه طوال الشهور الستة التالية، سيكون ليلا دائما.

لقد همدت الرياح، لكن درجة الحرارة تراجعت إلى درجة تجمد رموش العين بلغت ثمانين تحت الصفر. تقف محطة الأبحاث على بُعد نصف ميل، الأثر الوحيد لضوء من صنع الإنسان في الصحراء القطبية الفسيحة.

لا توجد ملامح للأرض يمكن الحديث عنها. من حيث يجلس، ليس هناك من شيء إلا سهل أبيض مسطح من جليد نحتته الرياح يمتد بعيدا نحو كل أفق.

يبدو من المستحيل، وهو جالس هنا وحيدا تماما في السكون التام، أن بقية العالم ستتحطم أشلاء. والأغرب أن هذا كله بسبب كرسي خلقتة بالمصادفة المرأة التي يحب.

هي مدفونة في الجليد إلى جواره، على عمق أربعة أقدام في تابوت صنعه من كسرات صنوبر من محل الأخشاب. وصنع لافتة صغيرة من أفضل قطعة بلوط استطاع أن يجدها وحفر عليها كلمة قصيرة - هي غايته الوحيدة في هذين الشهرين الأخيرين.

هيلينا جراي سميث

ولدت 19 يوليو 1970، بولدر، كولورادو

ماتت 14 فبراير 2019، شرقي أنتاركتيكا

عبقريّة شجاعة جميلة

معشوقة باري ساتون

منقذة باري ساتون

يتطلع عبر الغطاء الجليدي.

ولا حتى هبة ريح.

لا شيء يتحرك.

عالم متجمد على نحو مثالي.

وكانه خارج الزمن.

مكتبة
t.me/t_pdf

الشهب ترسم خطوطاً في السماء، وأضواء الشفق القطبي بدأت
للتو الرقص في الأفق - شريط رجراج من الأخضر والأصفر.

يحدث باري من فوق حافة الحفرة المجاورة لحفرة هيلينا.

يأخذ نفساً متجمداً، ثم ينزلق بإحدى ساقيه من فوق الجانب
ويهبط بجسده أسفل سطح الوادي.

تلمس كتفاه الجانبين، وثمة فراغ مجوف بين حفرتيه وحفرة هيلينا
بحيث يمكنه أن يمد يده عبره ويلمس تابوتها المصنوع من خشب
الصنوبر.

إحساس جيد أن يكون بقربها مرة أخرى. أو ما كانت هي يوماً ما.

تؤطر أبعاد قبره سماء الليل.

النظر إلى الفضاء من أنتاركتيكا يبدو مثل النظر إلى الفضاء من الفضاء. في ليلة كهذه - بلا رياح، بلا طقس، بلا قمر - تبدو آثار درب اللبانة أقرب إلى نار سماوية، مترعة بألوان لم تكن لتراها قط من أي مكان آخر على الأرض.

الفضاء واحد من الأماكن القليلة التي يكون للزمن معنى فيها بالنسبة له. هو يعرف، على مستوى فكري، أنه عندما ينظر إلى أي شيء، فهو ينظر إلى الوراء في الزمن. في حالة النظر إلى يده، يستغرق الضوء نانوثانية - أي جزء من مليار من الثانية - لينقل الصورة إلى عينيه. وعندما ينظر إلى محطة الأبحاث من على بُعد نصف ميل، فهو يرى الهيكل كما كان موجودا منذ 2.640 نانوثانية.

يبدو الأمر فوريا، وبكل المعاني، هو كذلك.

لكن عندما ينظر باري إلى سماء الليل، فهو يرى نجوما استغرق ضوءها عاما أو مائة عام أو مليون عام كي يصله. التلسكوبات التي تحدد في الفضاء البعيد تنظر إلى ضوء عمره عشرة مليارات عام من نجوم التحمت بعد أن بدأ الكون للتو.

هو ينظر إلى الوراء، ليس فقط عبر المكان، بل عبر الزمان.

يشعر ببرودة أكبر مما كان يشعر بها عندما يخرج للتمشية إلى موقع القبر، لكنها ليست برودة كافية. سيكون عليه أن يفتح معطفه المبطن بالفراء ويزيل بعض الطبقات.

ينهض في جلسته، ويخلع القشرة الخارجية لقفازه الأيمن، ويبحث في جيبه.

يُخرج قارورة ويسكي، ظلت بشكل ما دافئة بقربها من جسده والهواء المحبوس بين طبقات الملابس. خارجا في الخلاء، الجو أبرد مما يكفي لتجميد ما بداخلها خلال دقيقة.

بعد ذلك، يُخرج زجاجة أوكسي. تحتوي على خمسة أقراص بتركيز 20 مجم، وإذا لم تقتله على الفور، فستجعله بالتأكيد يذهب في سبات عميق بينما يتكفل البرد بالقضاء عليه.

يفتح الزجاجة ويلقي بالحبوب في فمه، ويلعها بعدة جرعات من الويسكي البارد كالثلج الذي مازال يشعره بالحرارة عندما يضرب معدته.

لقد كان يتخيل هذه اللحظة بطريقة مُلحة منذ ماتت هيلينا.

كانت الوحدة لا تطاق بدونها، ولم يبق لدى العالم بعدها أي شيء من أجله، هذا إذا استمر أصلا في الوجود. هو لم يعد يريد أن يعرف ما سيحدث بعد ذلك.

يعود للتمدد في القبر، مفكرا أنه سينتظر كي يفتح سترته حتى يشعر بأول آثار المخدر، عندما تأتيه ذكرى.

ظن أنه تذكر كل شيء، لكن الآن تومض في ذهنه اللحظات الأخيرة من الخط الزمني السابق.

سليد يقول...

"عليكما أن تعودا إلى ما حدث أولاً."

"حاولنا ذلك. مرات عديدة. عادت هيلينا إلى عام 1986..."

"توقف عن التفكير بطريقة خاطئة. ليس إلى بداية هذا الخط الزمني. ولا حتى الخمسة أو الستة السابقة. عليكما أن تعودا إلى الواقعة التي بدأت كل هذا، وتلك موجودة في الخط الأصلي."

"الخط الزمني الأصلي موجود فقط في ذكرى ميتة."

"بالضبط. عليكما أن تعودا وتعيدا تشغيلها. تلك هي الطريقة الوحيدة لمنع الناس من التذكر. قتلُ هيلينا يوم 5 نوفمبر 2018، في

الخط الزمني الأصلي. ارجع إلى أقرب ما يمكنك من هذا التاريخ...
وامنعني".
اللعنة.

يتذكر العدو هابطا التل بأقصى سرعته، إلى داخل البيت، صارخا باسمها. يداه مجمدتان على غطاء حوض العزل بينما ينتهي الخط الزمني.

ماذا لو كان سليلد على حق؟ ماذا لو أن هذه الخطوط الزمنية القديمة مازالت موجودة هناك؟ مثلا ذكرى بحيرة دمة الغيوم. بإمكانه رؤية وجهي جوليا وميجان بوضوح. تذكر صوتيهما. ماذا لو كان بمقدوره أن ينعش ذكرى ميتة بالقوة الخالصة لوعيه نافخا الحياة والنار في الرماد؟

هل هناك فرصة قد تعيد وعي كل شخص آخر إلى ذلك الخط الزمني الميت كذلك؟

وإذا كان بمقدوره العودة، ليس فقط إلى خط زمني سابق، بل إلى الخط الأصلي، لن تكون هناك أي ذكريات زائفة من الخطوط الزمنية اللاحقة، ولا ذكريات من خطوط سابقة أيضا.

لأنه لا توجد خطوط زمنية تسبق الأصلي.

سيكون الأمر وكأن شيئا من هذا لم يحدث.

لقد تناول الحبوب بالفعل. لعل أمامه نصف ساعة، وربما أطول، قبل أن يسيطر عليه المخدر.

ينهض في جلسته بالقبر، بيقظة حادة.

والأفكار تتسابق.

ربما كان سليد يكذب، لكن أليس البقاء هنا، قاتلا نفسه إلى جوار جسد هيلينا بينما يغرق في ذكراها هو نفس الهوس الفيتشي بالنوستالجيا الذي فعله مع ميجان؟ مجرد مثال آخر للحنين إلى الماضي الذي لا يمكن الوصول إليه؟

هناك في المحطة، بمسك باري بخوذة وباللوح الذي يتحكم عن بعد في البوابة الحاسوبية. يعتلي الكرسي ويخفض ميكروسكوب ميج على الخوذة، التي تبدأ في الطنين بنعومة.

لقد عدا نصف الميل من موقع قبر هيلينا إلى المحطة، ويتصور أن لديه من عشر إلى خمس عشرة دقيقة قبل أن يبدأ تأثير الأوكسي. لقد عاش وقائع الخط الزمني الأصلي عدة مرات - جوليا، ميجان، موت ابنته، طلاقه، حياته كشرطي في مدينة نيويورك. في ذهنه، تكسو الذكريات الميتة إحداها الأخرى، وكل عمر يتجلى في عين عقله كلوحة رمادية مسكونة بالأشباح. لكن كلما كان الخط الزمني أقدم، كلما أصبح أكثر سوادا، مثل الويسكي المتبقي في البرميل. وأخيرا يحيط بأقدم خط زمني - أكثر سوادا من أكثر (فيلم نوار) كآبة ويحمل الجاذبية الملموسة للخط الأصلي.

يوقظ اللوح ويفتح ملفا جديدا لسجل الذكرى.

الوقت ينفذ منه.

لا يتذكر أي شيء عن يوم 5 نوفمبر 2018. إنه مجرد تاريخ في رأسه سمعه من سليد، ومن محادثة أجراها مع هيلينا منذ أعمار كثيرة، كثيرة.

لكن يوم 4 نوفمبر هو عيد ميلاد ميجان. وهو يعرف بالضبط أين كان.

يضغط باري زر التسجيل ويتذكر.

وعندما ينتهي، ينتظر حتى يحسب البرنامج عدد المشبكيات العصبية للذكرى. يخطر له أن إذا تبين أن الرقم أقل من اللازم، سيكون عليه أن ينبش في البرنامج ويعطل جدار الحماية، وسيستغرق هذا وقتاً أطول مما لديه.

يومض اللوح برقم.

121.

بالكاد في المنطقة الآمنة.

يلصق باري منفذ حقن بساعده الأيسر ويُحمل كوكتيل العقاقير داخل الآلية.

يظل مفكراً أنه يشعر بأول علامات الأوكسي بينما يرمج تسلسل إعادة تنشيط الذكرى عند البوابة، لكنه سرعان ما يتعري ويصعد إلى داخل الحوض.

طافياً على ظهره في الماء، يمد يده إلى أعلى ويجذب الغطاء ليغلقه فوقه.

عقله يذهب في ألف اتجاه مختلف.

سيفشل هذا وستموت فقط في هذا الحوض.

اللعنة على العالم، انقذ ميغان.

عد إلى هناك ومِت إلى جوار زوجتك مثلما كنت تنوي طوال الشهرين الماضيين.

عليك أن تستمر في المحاولة. كانت هيلينا ستريد هذا.

ثمة ذبذبة خفيفة في ساعده الأيسر. يغلق عينيه ويأخذ نفساً عميقاً، متسائلاً إن كان هذا هو نفسه الأخير.

باري

يقف العالم ساكنا كلوحة - لا حركة، ولا حياة، ولا لون - ومع ذلك، هو واعٍ بوجوده نفسه.

لا يمكنه أن يرى إلا في الاتجاه الذي يواجهه، محدقا عبر صف من الموائد غربا نحو النهر، والماء أسود غالبا.

كل شيء مجمد.

كل شيء في ظلال من الرمادي.

أمامه مباشرة، نادل - أسود كخيال ظل - يحمل إبريق ماء مثلج.

يشغل الناس موائد تعلوها مظلات، عالقين في لحظات ضحك وأكل وشرب، حاملين مناديل إلى أفواههم. لكن ليست هناك أي حركة. قد يكونون كذلك نقوشا على جرة.

أمامه مباشرة، يرى جوليا، جالسة بالفعل إلى مائدتهما. هي تنتظره، متوقفة في لحظة تأملية قلقة، ويشعر بخوف مرعب من كونها ستنتظر إلى الأبد.

لا يشبه هذا إطلاقا العودة إلى ذكرى في خط زمني حيّ. تلك عملية تتجسد فيها ذاك ببطء بينما تجتاحك أحاسيس الذكرى. تصل إلى الفعل والطاقة.

أما هنا، فلا شيء من هذا.

ويخطر له - أنا أخيرا في لحظة اسمها الآن.

أيا كان ما هو عليه أو ما قد أصبح عليه، يشعر باري بحرية حركة لم يعرفها قط. هو لم يعد في فضاء ثلاثي الأبعاد، ويتساءل إن كان هذا ما قصده سليد بجملة: وربما لن تريها قط، إلا إذا تمكنت من السفر بالطريقة التي سافرت بها. هل هكذا عاين سليد الكون؟

على نحو مستحيل، يتلفت داخل نفسه ويحدق إلى الوراء عبر...

لا يعرف ما هو بالضبط.

ليس حالا، على الأقل.

هو عالق عند الحافة الأمامية لشيء يُذكره بمسار نجم جرى تصويره بتقنية التصوير المتقطع لإظهار مرور الوقت، غير أن هذا المسار جزء منه، امتداد لكيانه بنفس القدر الذي لذراعه أو لعقله، مسار يمتد بعيدا ويتلولب حول نفسه ليتخذ شكلا متوهجا جزيئيا أجمل وأكثر غموضا من أي شيء في خبرته. وهو يعرف، على مستوى لا يمكنه أن يبدأ في شرحه، أن هذا هو خط عامله الأصلي، وأنه يحتوي على اتساع وجوده كما شكلته الذاكرة.

كل ذكرى صنعها.

كل ذكرى صنعته.

لكن هذا ليس هو هو خط عالمه الوحيد. ثمة خطوط أخرى تتفرع من هذا الخط، تتلوى وتلتف على أنفسها عبر الزمكان. يشعر بخط عالم الذكريات الذي أنقذ فيه ميجان من حادثة صدمة وفرار.

ثلاثي من خطوط عالم أصغر، انتهى كل واحد منها بموته في فندق سليد .

الأعمار التالية التي عاشها هو وهيلينا في محاولتهما لتجنب نهاية الواقع.

حتى التفرعات التي خلقها في حياتهما الأخيرة في أنتاركتيكا - خطوط ذكريات كمحاور العجلة تشكل المرات العشر التي مات فيها في الحوض كي يكون معها مرة أخرى.

لكن لا شيء من هذا يهم بعد ذلك.

الخط الزمني الذي هو فيه الآن هو الخط الأصلي، وهو يسرع سابحا ضد التيار في نهر حياته، مصطدما بلحظات منسية، مستوعبا أخيرا أن الذاكرة هي كل ما يكونه.

هي كل ما يتكوّن منه أي شيء.

عندما تلمس إبرة وعيه ذكرى ما، تبدأ حياته في العمل، ويجد نفسه في لحظة مجمدة...

رائحة أوراق الشجر المليئة ولسعة برد الخريف في المدينة، جالسا في غابة الشجر في سنترال بارك، يبكي بعد توقيع أوراق طلاقه.

يتحرك مرة أخرى...

أسرع الآن...

عبر ذكريات أكثر مما يمكنه أن يحصي.

كثيرة كالنجوم - مثل التحديق عبر كون ليس إلا هو نفسه.

جنازة أمه، يُطرق ناظرا في تابوتها المفتوح، يداه على يديها
وتصلبهما البارد بينما يتفحص وجهها مفكرا: ليست تلك أنتِ...
جسد ميجان على منضدة التشريح - جذعها المحطم مغطى
بكدمة سوداء.

العثور عليها على جانب الطريق قرب بيتهم.

لماذا هذه اللحظات؟ يتساءل.

قيادة السيارة عبر الضواحي في ليلة باردة مظلمة ما بين عيد
الشكر وليلة الكريسماس، جوليا في المقعد المجاور، ميجان في الخلف،
الكل هادئ وراض، يشاهدون أضواء الكريسماس عبر النوافذ - زفرة
ارتياح وسط رحلة الحياة، ما بين العواصف، حيث استقر كل شيء
في انتظام عابر.

يُنْتزع بعيدا من جديد، مندفعا الآن عبر نفق تصب جدران
ذاكرته نارها عليه.

ميجان خلف عجلة قيادة سيارته الكامري، ونصفها الخلفي قد
اخترق باب الجراج، وجه ميجان أحمر والدموع تنساب فوقه بينما
تتشبث يداها في ذعر بعجلة القيادة.

ركبتا ميجان الملطختان بالعشب بعد مباراة كرة قدم، في السادسة
من عمرها، وجهها متورد وسعيد.

أول خطوات ميجان المتهادية في الاستوديو الذي كان لهما في
بروكلين.

ما هو واقع هذه اللحظة؟

أول مرة يلمس فيها ابنته في حجرة مستشفى - يده على جانب وجنتها الضئيلة.

جوليا وهي تأخذه من يده، وتقوده إلى حجرة النوم في شقتهم الأولى، تجلسه وتخبره أنها حامل.

أنا في لحظاتي الأخيرة داخل حوض العزل في أنتاركتيكا، أستعرض حياتي بينما تنسل مبتعدة؟

قيادة السيارة عائدا إلى البيت بعد مواعده الأول مع جوليا وبهجة وخفة الأمل في أنه ربما قد وجد شخصا ليحبه.

ماذا لو أن هذا ليس أكثر من الانبعاثات الكهربائية الأخيرة لعقلي المحتضر؟ نشاط عصبي محموم يلوي إدراكي للواقع ويستحضر ذكريات عشوائية؟

هل هذا ما يمر به كل إنسان عند الموت؟

النفق والضوء؟

هذه الجنة الزائفة؟

هل يعني هذا أنني فشلت في إنعاش الخط الزمني الأصلي وانتهى العالم؟

أم أنني خارج الزمان، أنجذب إلى داخل الثقب الأسود الساحق، ثقب ذكرياتي الأسود؟

يداه على تابوت والده والإدراك القاسي أن الحياة أم وستكون دوما هكذا.

في الخامسة عشرة من العمر، يُستدعى إلى مكتب الناظر حيث تجلس أمه على الأريكة، تبكي، ويعرف حتى قبل أن يخبروه أن شيئا حدث لوالده.

الشفتان الجافتان واليدان المرتعشتان لأول فتاة قبلها على الإطلاق
في الصف الأول الثانوي.

أمه وهي تدفع عربة تسوق عبر ممر القهوة ملتجئة بقالة وهو
في أثرها، وفي جيبه قطعة حلوى مسروقة.

واقف مع أبيه ذات صباح في ممر السيارات المؤدي لبيتهم في
بورتلاند، أوريجون، وقد هدأت الطيور، كل شيء ساكن، والهواء بارد
كالليل. وجه أبيه وهو يشاهد لحظة اكتمال الخسوف أكثر تأثرا من
الخسوف نفسه. كم مرة في حياتك تشهد والديك ممتلئين بالرهبة؟
راقدا في الفراش بالطابق الثاني من بيت جديه الريفي المبني في
القرن التاسع عشر في نيوهامبشير بينما تهب عاصفة صيفية قادمة
من جبال وايت، تبلل الحقول وأشجار التفاح وتدق على السطح
الصفيح.

المرة التي حطم فيها دراجته وكسر ذراعه عندما كان في السادسة.
ضوء قادم عبر نافذة وظلال أوراق الشجر تتراقص على الحائط
فوق مهد. الوقت وقت الأصيل - لا يعرف كيف يعرف هذا -
ونغمات غناء أمه تتخلل الجدران إلى حجرة نومه وهو رضيع.
ذكراي الأولى.

ليس بمقدوره أن يشرح السبب، لكنها تبدو وكأنها الذكرى التي
كان يبحث عنها طوال حياته، وجاذبية النوستالجيا المغوية تسحب
وعيه إلى داخلها؛ لأنها ليست مجرد الذكرى الجوهرية للموطن الأول،
إنها اللحظة الآمنة والمثالية - قبل أن تحمل الحياة أي ألم حقيقي.
قبل أن يفشل.

قبل أن يفقد الأشخاص الذين أحبهم.

قبل أن يمر بخبرة الاستيقاظ على الخوف من أن أفضل أيامه قد ولت.

يشك في استطاعته وضع وعيه داخل هذه الذكرى كرجل عجوز يوضع في سرير دافئ وثير.

عش هذه اللحظة المثالية إلى الأبد.

ربما تكون هناك أقدار أسوأ.

وربما لا يوجد أفضل من هذا.

هل هذا هو ما تريده؟ أن تُسقط نفسك داخل لوحة طبيعة صامتة لأن الحياة قد كسرت قلبك؟

لأعمار كثيرة جدا، عاش في حالة من الندم الأبدي، عائدا بطريقة مهووسة ومدمرة إلى الأوقات الأفضل، إلى اللحظات التي تمنى لو كان باستطاعته تغييرها. لقد عاش أغلب هذه الأعمار محدقا في مرآة الرؤية الخلفية.

حتى جاءت هيلينا.

تأتي الفكرة تقريبا كصلاة - لا أريد أن أنظر إلى الوراء أكثر من ذلك. أنا مستعد لتقبل أن وجودي سيشمل الألم أحيانا. لا مزيد من محاولات الهرب، سواء عن طريق النوستالجيا أو كرسي الذاكرة. فهما الاثنان نفس الشيء اللعين.

الحياة بشفرة للغش ليست حياة. وجودنا ليس شيئا نهندسه أو نحسنه كي نتجنب الألم.

هذا هو ما يعنيه أن تكون إنسانا - الجمال والألم، لا معنى لأحدهما دون الآخر.

وها هو في المقهى مرة أخرى.

تتحول مياه نهر هرسون إلى اللون الأزرق وتبدأ في التدفق. تملأ الألوان السماء ووجوه الزبائن والمباني وكل سطح. يشعر بهواء الصباح البارد يهب من النهر على وجهه. يشم رائحة الطعام. ينبض العالم فجأة بالحياة، ممتلئاً بأصوات ضحك الناس وحديثهم في كل مكان من حوله.

إنه يتنفس.

إنه يرمش.

يبتسم ويبيكي.

ويتحرك أخيراً نحو جوليا.

الخاتمة

لا يمكن فهم الحياة إلا بالرجوع إلى الوراء، لكن لا بد من عيشها بالتقدم إلى الأمام.

سورين كيركجارد

باري

4 نوفمبر 2018

تحتل المقهى بقعة فاتنة على ضفاف نهر هدرسون، في ظلال طريق ويست سايد السريع. يتشارك باري وجوليا عنقا قصيرا هشا.

تسأله: "هل أنت بخير؟"

"نعم."

"أنا سعيدة لأنك جئت."

يجيئهما نادل ليتلقى طلبيهما من المشروبات، ويثرثران قليلا حتى تصل القهوة.

إنه الأحد، والحشود الخارجة لتناول وجبة الإفطار المتأخر حاضرة بكامل قوتها، وفي البداية، وسط الصمت القاتل مع جوليا، يراجع باري ذكرياته.

ابنته ماتت منذ أحد عشر عاما.

بعدها بقليل طلقتة جوليا.

لم يقابل قط ماركوس سليد أو آن فوس بيترز.

ولم يسافر عائدا قط إلى إحدى ذكرياته كي ينقذ ميجان.

متلازمة الذاكرة الزائفة لم تصب العالم قط.

لم تنحل خيوط الواقع والزمن قط في عقول المليارات.

ولم تقع عيناه قط على هيلينا سميث. أعمارهما الكثيرة التي قضياها معا محاولين إنقاذ العالم من تأثيرات الكرسي جرى نفيها إلى أرض الذاكرة الميتة اليباب.

لا شك - يمكنه الشعور بالأمر في صميم تكوينه.

هذا الخط الزمني هو الأول، الأصلي.

ينظر باري من وراء المائدة إلى جوليا ويقول: "من الطيب حقا أن أراك."

يتحدثان عن ميجان، عما يتخيل كل واحد منهما أنها كانت لتفعله بحياتها، وكل ما يمكن لباري فعله هو ألا يخبر جوليا أنه يعرف بالفعل. أنه قد رأى ذلك مباشرة في ذكرى بعيدة لا يمكن الوصول إليها. أن ابنتهما كانت لتغدو أكثر حيوية وأكثر إثارة للاهتمام وألطف مما يمكن لأي من تخميناتهما أن يبدأ في منحها حقها من الذكرى.

عندما يأتي الطعام، يتذكر ميجان وهي جالسة إلى المائدة معهما. ويقسم أن بمقدوره الشعور بحضورها تقريبا، مثل وهم الشعور بطرف مبتور. ورغم أن هذا مؤلم، إلا أنه لا يكسره بالطريقة التي كان يفعلها بها من قبل. تؤلمه ذكرى ابنته لأنه مر بشيء جميل رحل

من ساعتها. نفس الأمر مع جوليا. نفس الأمر مع كل الخسارات التي مر بها.

في المرة الأخيرة التي عاش فيها هذه اللحظة مع جوليا، حكيا ذكرياتهما عن رحلة عائلية إلى جبال آديرونداك، إلى بحيرة دمة الغيوم، منبع الهدسون.

والفراشة التي ظلت تحوم حوله جعلته يفكر في ميجان.

تقول جوليا: "تبدو أفضل حالا."

"فعلا؟"

"نعم."

إنها أواخر الخريف في المدينة، وباري يعتقد أن هذا الواقع يبدو أكثر صلابة مع مرور كل دقيقة. لا تحولات تهدد بانقلاب كل شيء.

إنه يتشكك في ذكرياته عن كل الخطوط الزمنية الأخرى. حتى هيلينا تبدو أقرب إلى وهم خافت من امرأة لمسها وأحبها.

ما يبدو حقيقيا في هذه اللحظة ليس ذكراه الشبحية عن مشاهدة موجة صدمة تبخر الحي الغربي الشمالي. ما يبدو حقيقيا هو أصوات المدينة، الناس على الموائد في كل مكان حوله، زوجته السابقة، الأنفاس الداخلة والخارجة من رئتيه.

بالنسبة للجميع إلاه، الماضي مفهوم مفرد.

بلا تواريخ متصارعة.

بلا ذكريات زائفة.

أما الخطوط الزمنية الميتة للفوضى والدمار فله وحده كي يتذكرها.

عندما تأتي فاتورة الحساب، تحاول جوليا أن تدفع، لكنه يخطف الورقة بعيدا ويلقي ببطاقته.

"أشكرك يا باري."

يمد يده عبر المائدة ويمسك بيدها، لامحا الدهشة في عينيها من هذه الإيماءة من الحميمية.

"أحتاج إلى أن أخبرك بشيء يا جوليا."

يتطلع إلى نهر هدسون. النسيم القادم من الماء يحمل لسعة باردة، والشمس دافئة على كتفيه. المراكب السياحية تقطع النهر جيئة وذهابا. ضوءاء المرور لا تتوقف على الطريق السريع في الأعلى. صفحة السماء مليئة بتقاطعات الخطوط البيضاء المتلاشية لألف طائرة نفاثة.

"كنت غاضبا منك لوقت طويل."

تقول: "أعرف.."

مكتبة
t.me/t_pdf

"ظننت أنك تركتيني بسبب ميجان."

"ربما. لا أعرف. كان الأمر أكبر من قدرتي على الاستمرار في تنفس نفس الهواء الذي تتنفسه في تلك الأيام السوداء."

يهز رأسه. "أعتقد أنه لو استطعنا أنا وأنت أن نعود إلى ما قبل موتها، حتى لو تمكنا بطريقة ما من منعه، كنت أيضا ستذهبين في طريقك، وسأمضي أنا في طريقي. أعتقد أنه كان مقدورا لنا أن نكون معا لوقت ما. ربما قصر فقد ميجان فترة الحياة بيننا، لكن حتى لو عاشت، كنا سنصبح مفترقين في هذه اللحظة."

"أعتقد ذلك حقا؟"

"أعتقد، وآسف لأنني تمسكت بالغضب. آسف لأنني أرى هذا الآن فقط. لقد عشنا لحظات مثالية كثيرة، ولوقت طويل، لم أستطع أن أقدرها حق قدرها. لا يمكنني إلا أن أنظر ورائي في ندم. هذا هو ما أردت أن أخبرك به: لم أكن لأغير أي شيء. أنا سعيد لأنك دخلت حياتي

عندما دخلتها. أنا سعيد بالوقت الذي قضيناه. أنا سعيد بميجان،
وأنها جاءت منا نحن الاثنين. أنها لم يكن من الممكن أن تأتي من أي
اثنين آخرين. لم أكن لأراجع عن ثانية واحدة من كل هذا.

تمسح دموعه. "طوال هذه السنوات، ظننت أنك كنت تتمنى لو لم
تقابلني قط. ظننت أنك تلومني لتدمير حياتك."

"كنت فقط أتألم."

تضغط على يده. "آسفة لأننا لم نكن الشخصين المناسبين لبعضنا
البعض يا باري. أنت محق بشأن هذا، وأنا آسفة على كل شيء آخر."

باري

5 نوفمبر 2018

شقة الدور العلوي موجودة في الطابق الثالث لمستودع مُعدّل في حي دوجباتش بسان فرانسيسكو، حي قديم لبناء السفن على الخليج.

يصفُ باري سيارته المستأجرة على بعد ثلاثة بلوكات ويسير إلى مدخل المبنى.

الضباب كثيف للغاية حتى أنه يشوش حواف المدينة، ملقيا بطبقة رمادية على كل شيء ومبهدا الضوء القادم من مصابيح الشارع، محولا إياها إلى أجرام أثرية. يذكره هذا، من ناحية ما، بلوحة ألوان ذكرى ميتة، لكنه يحب ستار التخفي الذي يوفره.

امرأة خارجة لقضاء المساء تفتح الباب الأمامي. ينسل من جانبها ويدخل البهو، ثم يصعد رأساً مجموعتين من السلم قبل أن يقطع ممراً طويلاً نحو الوحدة 7.

يطرق الباب وينتظر.

لا أحد يجيب.

يطرق الباب مرة أخرى، بطريقة أقوى هذه المرة، وبعد لحظة، ينساب عبر الباب صوت رجل ناعم.

"من بالباب؟"

"المحقق ساتون." يتراجع باري ويرفع شارته إلى العين السحرية. "هل يمكن أن أتحدث معك؟"

"حول ماذا؟"

"فقط افتح الباب من فضلك."

تمر خمس ثوان.

يفكر باري: هو لن يسمح لي بالدخول.

يبعد شارته، وبينما يتراجع ليكمل الباب، يأتي صوت سلسلة تنفك على الجانب الآخر، ومزلاج يُزاح.

يقف ماركوس سليد على العتبة.

"كيف يمكنني مساعدتك؟" يتساءل سليد.

يدخل باري متجاوزاً إياه إلى شقة علوية صغيرة مليئة بالفوضى، لها نوافذ كبيرة تطل على حوض بناء سفن، والخليج، وأضواء أوكلاند وراءه.

"مكان لطيف.." يقول باري بينما يغلق سليد الباب.

يتحرك باري نحو منضدة المطبخ ويلتقط تقويمًا رياضيًا للتسعينيات، وبعد ذلك مجلدًا ضخماً بعنوان (الكتاب الأخضر لشركة أبحاث الأوراق المالية SRC لـ 35 عاماً من الرسوم البيانية التاريخية للأسهم).

يسأله: "القليل من القراءات الخفيفة؟"

يبدو سليد متوتراً ومنزعجاً. يضع يديه في جيبي سترته الصوفية الخضراء، وتستمر عيناه في الانتقال إلى الأمام وإلى الخلف، وهما ترمشان في فواصل زمنية غير منتظمة.

"ماذا تعمل يا سيد سليد؟"

"أعمل لصالح شركة إيون للصناعات."

"في أي قسم؟"

"الأبحاث والتطوير. أنا مساعد لواحدة من علمائهم الكبار."

"وأي نوع من العمل تقومون به يا شباب؟" يسأل باري، متصفحاً كومة من الأوراق طُبعت للتو من موقع إلكتروني - الأرقام الفائزة باليانصيب تاريخياً في كل ولاية.

يندفع سليد ويختطف الأوراق من يد باري.

"طبيعة عملنا محمية باتفاقية عدم الكشف عن المعلومات. لماذا أنت هنا أيها المحقق ساتون؟"

"أنا أتحري عن جريمة قتل."

يعتدل سليد. "من قُتل؟"

"حسن، تلك حالة غريبة." ينظر باري في عيني سليد. "لم تحدث بعد."

"لا أفهم."

"أنا هنا بشأن جريمة قتل ستحدث في وقت لاحق الليلة."

يبتلع سليد ريقه، ويرمش. "وفيم يتعلق هذا بي؟"

"ستحدث في مكان عملك، واسم الضحية هيلينا سميث. تلك رئيستك، صحيح؟"

"نعم."

"وهي أيضا المرأة التي أحب."

سليد واقف في مقابل باري، وبينهما منضدة المطبخ، وقد اتسعت عيناه. يشير باري إلى الكتب. "إذن أنت تحفظ كل هذه الأشياء في ذاكرتك؟ بالتأكيد لا يمكنك أن تأخذها معك."

يفتح سليد فمه ويغلقه من جديد. ثم يقول: "أريدك أن ترحل."

"ستنجح بالمناسبة."

"لا أعرف عم تتكلم..."

"خطتك. ستنجح بشدة. ستصبح غنيا ومشهورا. لكن للأسف، ما ستفعله الليلة سيسبب معاناة للمليارات من الناس ونهاية الواقع والزمن كما نعرفهما."

"من تكون؟"

"مجرد شرطي من مدينة نيويورك." يحدق في سليد بقوة لمدة عشر ثوان طويلة.

"اخرج."

لا يتحرك باري. الصوت الوحيد في شقة الدور العلوي هو الصوت غير المنتظم لتنفس سليد المتسارع. يئز هاتف سليد على المنضدة. يلقي باري نظرة، ويرى رسالة نصية جديدة من "هيلينا سميث" تظهر على صفحة الشاشة الرئيسية.

بالتأكيد. يمكنني لقاءك بعد ساعتين. ما المشكلة؟

أخيرا يتحرك باري نحو الباب.

قبل ثلاث خطوات منه يسمع تكة. وأخرى. وأخرى.

يلتفت ببطء وينظر عبر الشقة إلى سليد، الذي يحدق مصعوقا في المسدس 357 الذي كان سيقفل به هيلينا في خلال ساعات قليلة. يتطلع إلى باري، الذي كان ينبغي أن يكون متمددا على الأرض الآن، ينزف حتى الموت. يصبو سليد المسدس نحو باري ويجذب الزناد، لكنه لا يصدر إلا تكة خاوية من جديد.

يقول باري: "اقتحمت البيت في وقت سابق اليوم بينما كنت في العمل، وشحنت الخزانات بأغلفة قذائف فارغة. كنت بحاجة لأن أرى بنفسى ماذا كنت قادرا عليه."

ينظر سليد في اتجاه حجرة نومه.

"لا يوجد رصاص حي في البيت يا ماركوس. حسنٌ، هذا ليس صحيحا تماما." يسحب باري مسدسه الجلوك من جراب كتفه. "مسدسي مليء بها."

البار في حي ميشن، حانة أنيقة مكسوة حوائطها بالأواح الخشب اسمها مونكس كيتل، نوافذها مغطاة ببخار الماء من الداخل في مواجهة الليل البارد والضبابي. لقد حكّت له هيلينا عن هذا المكان في ثلاثة من أعمارهما على الأقل.

يخطو باري إلى الداخل، خارجا من الضباب، ويمرر أصابعه في شعره، الذي تبطط بفعل الرطوبة.

إنها ليلة الإثنين، والوقت متأخر، لذلك فإن المكان خالٍ تقريبا.

يلمحها جالسة في أقصى البار، وحيدة، منحنية على لابتوب. وبينما يقترب منها، تتوتر أعصابه - على نحو أسوأ بكثير مما توقع. يجف فمه، وتتعرق يدها.

تبدو مختلفة كثيرا عن المرأة الدينامو التي قضى ستة أعمار معها. ترتدي سترة صوفية جذب قط أو كلب مائة خيط صغير منها، ونظارات ملطخة، وحتى شعرها مختلف - أطول ومجذوب إلى الورا في ذيل حصان عملي.

وبينما يراقبها، يبدو جليا أن هوسها بكرسي الذاكرة قد استهلكها تماما، ويكسر هذا قلبه.

لا تتعرف عليه بأي شكل بينما يستوي على المقعد إلى جوار مقعدها.

يشم رائحة البيرة في أنفاسها، وفيما وراءها، العطر الأساسي الأرق لزوجته الذي كان ليعرفه في أي مكان، من بين مليون إنسان. يحاول ألا ينظر إليها، لكن انفعاله بالجلوس إلى جوارها أكبر مما يحتمل تقريبا. في المرة الأخيرة التي رأى فيها وجهها، كان يدق مسامير غطاء تابوتها المصنوع من خشب الصنوبر. وهكذا يجلس بهدوء إلى جوارها بينما تكتب رسالة إلكترونية، مفكرا في كل الأعمار التي تقاسماها.

اللحظات الجميلة.

مكتبة

t.me/t_pdf

اللحظات السيئة.

الوداعات، المبتات.

والتحيات الأولى، مثل هذه المرة.

مثل المرات الست التي جاءت إليه في ذلك البار البائس في بورتلاند عندما كان في الحادية والعشرين من عمره، وجلست إلى جواره متوددة، شابة، لامعة العينين، جميلة، ولا تخشى شيئا.

تبدو وكأنك تريد أن تدعوني إلى شراب.

يبتسم لنفسه، لأنها لا تبدو في هذه اللحظة من بعيد كمن يريد أن يدعو غريبا إلى شراب. تبدو، حسنا، مثل هيلينا - غارقة بعمق في عملها وغافلة عن العالم.

يأتي إليه الساقى، يطلب باري شرابا، وبعد ذلك يجلس مع بيرته، سائلا نفسه سؤال اللحظة - ماذا تقول لأشجع امرأة عرفتها في حياتك، والتي عشت معها نصف دسنة حيوات استثنائية، التي أنقذت العالم معها، التي أنقذتك أنت بكل الطرق الممكنة، والتي لا فكرة لديها بوجودك أصلا؟

يأخذ باري رشفة من البيرة ويضع الكوب. يشعر أن الهواء مشحون كهربائيا، مثلما يكون بالضبط قبل عاصفة. وتتساقط الأسئلة في عقله...

هل ستعرفيني؟

هل ستصدقيني؟

هل ستحييني؟

خائفا، مبهتجا، بحواس مرهفة، وقلب يدق بقوة، يلتفت أخيرا إلى هيلينا، التي - بعد أن تستشعر انتباهه إليها - تنظر إليه عبر هاتين العينين الخضراوين بلون الزمرد.

ويقول...

مكتبة
t.me/t_pdf

نبذة عن الكاتب

بليك كراوتش Blake Crouch

كاتب وسيناريست أمريكي من مواليد 1978. يُعد كراوتش من الأسماء المعروفة في قائمة أفضل الكُتّاب مبيعا؛ خاصة بثلاثيته *The Wayward Pines* التي صدرت ما بين 2012 و2014، وتحولت إلى مسلسل تليفزيوني عام 2015. صدرت روايته "المادة السوداء" عام 2016، وصدرت ترجمتها إلى العربية عن دار المحروسة عام 2019. يعيش في كولورادو مع زوجته جاك بن زكري وأطفالهما الثلاثة.

نبذة عن المترجم

عبد الرحيم يوسف

شاعر ومترجم مصري من مواليد 1975. صدر له سبعة دواوين بالعامية المصرية، وخمسة عشر كتاباً مترجماً، نشر عدداً من الترجمات الأدبية في جريدة أخبار الأدب المصرية وشارك كمحرر مساعد في مجلة (ميناء) الثقافية التي صدر منها ثلاثة أعداد في الفترة من 2005 إلى 2009.. ترجم عددا من التقارير لمنظمة هيومان رايتس ووتش، ومكتب اليونسكو بألمانيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان وموقع مدى مصر. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية عام 2017 عن ترجمته لكتاب (ثلاث دراسات حول الأخلاق والفضيلة) لبرنارد ماندفيل.

استدعاء
ذاتي

هل هذا ما يمر به كل إنسان عند الموت؟
النفق والظوء؟ هذه الجنة الزائفة؟ هل
يعني هذا أنني فشلت في إنعاش الخط
الزماني الأصلي وانتهى العالم؟ أم أنني
خارج الزمان، أنجذب إلى داخل الثقب
الأسود الساحق، ثقب ذكرياتي الأسود؟
... لا أريد أن أنظر إلى الوراء أكثر من هذا.
أنا مستعد لتقبل أن وجودي سيشمل
الألم أحياناً. لا مزيد من محاولات الهرب،
الحياة بشفرة للغش ليست حياة. وجودنا
ليس شيئاً نهندسه أو نحسنه كي نتجنب
الألم. هذا ما يعنيه أن تكون إنساناً!
الجمال والألم لا معنى لأحدهما دون
الآخر.

"رواية خيال علمي مثيرة أخرى لصاحب
(المادة السوداء) يخلط فيها كراوتش براءة
بين العلم واللغز، ليخرج لنا -بخرقة- ما يعنيه
أن تكون الإنسانية بعمق"

نيوزويك

"رحلة تثير الهلوس عبر درب الذاكرة إن
عبقرية كراوتش قادرة على محاربة
التحدي الذي وضعه أمامه للتغلب على بنية
الزمن نفسه" - تايم.
"بالقطع رواية لا يمكنك أن تنساها وأنت
تحرم حقيبتك لقضاء إجازة (...). يتمح كراوتش
الحياة في المادة بمزيج من العاطفة
والذكاء والتأملات الفلسفية"
إنترتينمنت ويكلي



الغلاف عمر مصطفى

ISBN 978-977-313-822-6



9 789773 138226

مركز
المكرسة

للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات